

الجمهورية العربية المتحدة
في منظور الصحافة العراقية
١٩٥٨ - ١٩٦١

الدكتور: سعد مهدي شلاش

الجمهورية العربية المتحدة
في منظور الصحافة العراقية
١٩٥٨ - ١٩٦١

الجمهورية العربية المتحدة في منظور الصحافة العراقية ١٩٥٨ - ١٩٦١

إعداد: الدكتور
سعد مهدي شلاش

الكتاب: الجمهورية العربية المتحدة في منظور الصحافة العراقية

١٩٥٨ — ١٩٦١

إعداد: الدكتور سعد مهدي شلاش

الناشر: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر والتوزيع

دار كنعان للدراسات والنشر

دمشق - هاتف ٦٣١٩٣٧٤ - ٦٣٢٨٢٦٧

ص. ب : ٣٠١٩٢

البريد الإلكتروني: alhadaf@mail.sy

التنضيد والإخراج الفني: آمل عصفور

هاتف ٦٣٣٢٣٦٦ - موبايل ٠٩٤/٢٧٩٧٠٥

تصميم الغلاف: م.جمال الأبطح

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

رقم موافقة وزارة الإعلام /٧٧٦٠١/

بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

لا أبالغ إذا قلت أن ميلاد الجمهورية العربية المتحدة في شباط ١٩٥٨ كان حدثاً عالمياً إضافة إلى كونه عربياً، فقد ولدت هذه الجمهورية في ظروف عالمية دقيقة شهدت تصاعد الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، وكان كلاهما يسعى إلى مد نفوذه إلى منطقتنا العربية عن طريق الأحلاف والأنظمة السياسية الحاكمة هنا وهناك. وفي العراق كانت ردود الفعل الشعبية فورية ومؤيدة للوحدة رغم وقوف النظام آنذاك ضدها، فقد خرجت شرائح مختلفة تهتف للوحدة وعبد الناصر.

أدت الصحافة العراقية دوراً مهماً- سلباً وإيجاباً- في الموقف من الجمهورية العربية المتحدة، الصحافة العراقية كانت قد تعرضت هي إلى ضربة شديدة في أيلول عام ١٩٥٤، بعد تأليف وزارة نوري السعيد الثانية عشرة حينما ألغيت امتيازات جميع الصحف، ولم يعط الامتياز إلا إلى عدد محدود منها، ومع ذلك لم تستطع الحكومة كم أفواه هذه الصحف التي تابع بعضها مسيرة العلاقات بين مصر وسوريا في طريق الوحدة، وكتابة المقالات والتعليقات الإيجابية والسلبية للعمل الوحدوي.

ولا بد هنا من الإشارة إلى صحيفتي الحرية لصاحبها المرحوم قاسم حمودي المحامي، واليقظة للمرحوم سلمان الصفواني اللتان وقفتا إلى جانب كل عمل قومي يهدف إلى توحيد جهود نضالهم في سبيل حقوقهم القومية. وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تزايد عدد الصحف ومثلت اتجاهات سياسية متباينة، انطلقت في مواقفها من الاتجاهات التي تعبر عنها. وقد تابعت جميعها في الأشهر الثلاث الأولى من

الثورة- سياسة الجمهورية العربية المتحدة ومواقفها القومية بإيجابية، إلا إن الشرخ الذي حدث في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق اثر اشتداد الصراع السياسي بعد اعتقال عبد السلام محمد عارف، أظهر آراءً متباينة في الصحافة العراقية، التي أخذ بعضها ينتقد بشدة سياسة الجمهورية العربية المتحدة الخارجية والداخلية، وينشر بيانات الجماعات السياسية المعارضة للوحدة، ويدعو للإطاحة بها، وقد استبشرت بعض هذه الصحف خيراً بسقوط تجربة الوحدة في أيلول ١٩٦١.

والكتاب الذي هو في الأصل رسالة ماجستير وأجيزت في العام الدراسي ١٩٩٨، تحت إشرافي، قد كتب وفق المنهج العلمي، لدراسة التاريخ بعيداً عن الانفعال والانحياز، وبروح علمية تهدف إلى خدمة الحقيقة والاقتراب منها، فجاء الكتاب جهداً علميا خالصاً بعيداً عما يؤمن به المؤلف من فكر أو اتجاه سياسيا محدد، فقدم بذلك خدمة للتاريخ العربي على حدث قومي كبير هو الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ وميلاد الجمهورية العربية المتحدة، ولا شك أن هذا الكتاب سيحتل مكانة في المكتبة العربية. فادعوا إلى مؤلفه السيد سعد مهدي شلاش بالموفقية والعطاء العلمي في المستقبل.

أ. د. جعفر عباس حميدي

٦ نيسان ٢٠٠٤

الإهـــداء

إلـى كـل قلـم شـريف نـزف صدقـه علـى صفحات سفر الحقيقة . .

أهدي هذا الجهد . .

عســى أن يكــون إضافــة موفقــةً لجــهد الباحثين . . وليسهم بموضوعيــة ونكـران ذات بالإجابة عن أسئلة التاريخ .

قائمة المختصرات

د. ك. و	دار الكتب والوثائق
ل. ت. ح	لجنة تاريخ الحزب (حزب البعث العربي الاشتراكي)
د. ت	دون تاريخ
ط	الطبعة
FO Freign office	وثائق وزارة الخارجية البريطانية

المحتويات

المقدمة

شهد الوطن العربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تطورات سياسية وفكرية خطيرة اقترنت بتنامي الفكر القومي العربي وتبلورت في أطر متعددة، وانعكس ذلك على ظهور جيل من المفكرين العرب الذين كان لهم دور مهم في تنمية الأذهان إلى ضرورة مواجهة الحركة الاستعمارية التي حاولت السيطرة على الوطن العربي وإبقائه تحت هيمنتها لأطول فترة ممكنة.

ومنذ مطلع القرن العشرين لاحت أولى تباشير الدعوات القومية للتحرر من السيطرة الأجنبية، مهما كان شكلها أو لونها، حتى وأن اختفت وراء ستار الدين الإسلامي، فقامت الثورة العربية الكبرى في الحجاز عام ١٩١٦، بهدف تحقيق أماني وآمال الشعب العربي في الاستقلال والوحدة والتحرر من القهر والتسلط العثماني الذي خذل العرب طوال أكثر من أربعة عقود مضت.

لقد شكلت الوحدة العربية مهمازاً مشتركاً للعديد من الأنظمة العربية التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى بسنوات، فقد طرحت مشاريع ومخططات عدة لكيفية تحقيقها، أقترب قسم منها من الواقع المعاشي، في حين لم يكن القسم الآخر سوى محاولة لإلهاء الجماهير العربية عن طبيعة معاناتها الحقيقية، فجاءت هذه المحاولات وهي تحمل معها بذور فشلها وتراجعها، واتخذت تلك المشاريع صيغة أوسع في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن مجمل تلك المشاريع والخطط لم تحقق الهدف الذي توختة لارتكازها إلى المنطق الإقليمي الضيق، وبخاصة إذا ما أدركنا أن تلك الأنظمة كانت تبغي جعل تلك المشاريع، وسائل لخدمة أغراضها السياسية الأمر الذي لم يجعلها ترى النور، وتصبح حقيقة واقعة.

وكان موقف الصحافة العراقية في تلك الفترات واضحاً وجلياً في المجالات الوطنية والقومية، إذ شكل إسهامها، أثراً كبيراً في تجسيد مفهوم الفكر القومي الوحدوي ونشاطاته السياسية، وفعالياته الفكرية، مما سجل لتلك الصحف موقفاً واضحاً وركيزة قوية تجاه أي لقاء أو مشروع وحدوي، يهدف إلى تقوية الروابط القومية بين الوطن العربي، وقد تميزت الدراسات التي توالت بالدراسة والبحث جانباً أو جوانب عدة من المشاريع الوحدوية على كثرتها.

إن هذه الدراسة تتناول موقف الصحافة العراقية من الوحدة المصرية- السورية (شباط ١٩٥٨- أيلول ١٩٦١) باعتبارها أول تجربة وحدوية في تاريخ أمتنا العربية انتهت بتحقيق الوحدة العربية بين قطرين عربيين وقيام الجمهورية العربية المتحدة وبيان تأثيرات تلك الوحدة على العراق حكومة وشعباً بقواه السياسية في فترتي العهد الملكي والجمهوري من خلال مواقف صحافة العراق.

لقد اقتضت الضرورة أن يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول فيها مشاريع الوحدة العربية للفترة من ١٩١٨ حتى ١٩٥٨ وانعكاساتها في الصحافة العراقية. وقد استهدف هذا الفصل تسليط الضوء على الدعوات الوحدوية التي شهدتها الساحة العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى قيام أول تجربة وحدوية في التاريخ المعاصر للعرب. كما تطرق البحث إلى انعكاسات التجارب الوحدوية بما فيها جامعة الدول العربية التي جاءت كحركة بديلة للوحدة العربية في الصحافة العراقية التي تابعت عن كثب كل ما طرح من مشاريع وحدوية، فيما تناول الفصل الثاني إعلان الوحدة (المصرية- السورية عام ١٩٥٨) موضحاً التطورات السياسية التي شهدها القطران التي دفعتهما إلى إعلان وحدتهما، كما تطرق هذا الفصل إلى موقف الصحافة العراقية من قيام هذه التجربة الرائدة في المجال الوحدوي، ومدى تفاعلها معها عبر سلسلة من المقالات

والدراسات والمتابعات الإخبارية، على الرغم من اختلاف النظام السياسي في العراق عن نظيريه في سوريا ومصر.

وتابع الفصل الثالث موقف الصحافة العراقية من السياسة التي اتبعتها الجمهورية العربية المتحدة على الصعيد الداخلي والخارجي. ومتابعة هذه الصحافة لكل ما كانت تقوم به الدولة الجديدة من ممارسات جعلتها محط أنظار العرب على امتداد ساحة الوطن العربي الكبير.

وأفرد الباحث الفصل الرابع لموضوع الانفصال موضحاً أسبابه وأهدافه، كما تطرق إلى موقف الصحافة العراقية وما طرحته صحف. العراق بجميع اتجاهاتها من آراء وأفكار تجاه الحركة الانفصالية التي عدتها جريمة لا تغتفر. واعتمد الباحث في إعداد هذا الكتاب على مصادر عدة، كان قسم منها معاصراً للأحداث السياسية، وبخاصة الوثائق العراقية المنشورة منها وغير المنشورة، ومنها تقارير السفارات العراقية وقنصلياتها الموجودة في القاهرة ودمشق وعمان، المحفوظة في دار الكتب والوثائق وفي مدرسة الإعداد الحزبي في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والتي كانت عوناً في معرفة الكثير من المعلومات حول الأوضاع الداخلية والخفايا السياسية، وكذلك الكتاب الأردني الأبيض ومذكرات الملك عبد الله بن الحسين، التي قامت بإصدارها المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٧ والتي أعطت للباحث تصورات الهاشميين في الأردن حول مسألة الوحدة وطموحاتهم لضم سوريا الكبرى تحت تاجهم والذي عرف 'بمشروع سوريا الكبرى' فضلاً عن كتاب نوري السعيد رئيس وزراء العراق المعنون 'استقلال العرب ووحدتهم' عام ١٩٤٣ والذي كان له الفضل الكبير في معرفة اتجاه الحكومة والعائلة الهاشمية فيها، ودعوته إلى مشروع الهلال الخصيب، وقد استفاد الباحث كذلك من مجموعة خطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر في سرد الوقائع التاريخية،

ودعمها لدى كتابة موضوع فصل الوحدة مع سوريا، واعتمد الباحث أيضاً على بعض الوثائق البريطانية غير المنشورة 'Public Records Office Foreign Office' التي تحتفظ بها دار الكتب والوثائق العراقية بنسخ مصورة، وهي عبارة عن تقارير للسفارة البريطانية في بغداد حول الوحدة المصرية- السورية عام ١٩٥٨، التي أفادت الباحث في معرفة السياسة التي رسمها أعضاء حلف بغداد وبريطانيا، حول الوحدة وتأثيراتها على منطقة الشرق الأوسط القريبة منها.

كما استفاد الباحث من الوثائق المنشورة باللغة العربية للمشاريع الوحدوية والتي كان من بينها وثائق الوحدة المصرية- السورية ١٩٥٨-١٩٦١، التي احتوت على بعض المعلومات وقد استفاد الباحث كذلك من الرسائل الجامعية المنشورة وغير المنشورة والتي لها علاقة ببحثه فأفادته في رسم الخطوط العريضة لموضوعه ورفده بالمعلومات التي لم يستطع الحصول عليها من مصادرها الأصلية، ومنها رسائل الماجستير للسادة عطية دخيل عباس الطائي والمعنونة 'العراق ومشاريع الوحدة العربية ١٩٣٢- ١٩٥٤' ورسالة السيدة خالدة بلال صالح 'دور العراق والأردن في السياسة العربية ١٩٤١-١٩٥٨' ورسالة السيد خضير حسن سلمان 'موقف حزب البعث العربي الاشتراكي في جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٥٨' ورسالة السيد صلاح الدين إسماعيل الشيخلي 'العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٢- ١٩٦١'، وكذلك أطروحة الدكتوراه للسادة غانم محمد صالح 'العراق والوحدة العربية بين ١٩٣٩-١٩٥٨'، والسيد محمد رشيد عبود الراوي 'التطورات السياسية في سوريا ١٩٥٨-١٩٦٣'، وكذلك سامي عصاصة المعنونة 'أسرار الانفصال مصر- وسوريا'..

وخلال دراسة الباحث للاطروحات المشار إليها استطاع تكوين فكره واضحة حول تسلسل المشاريع العربية الوحدوية ومواقف العراق منها أو ما يخص أسرار الانفصال الذي أعقب وحدة ١٩٥٨. كما

شكلت الكتب والمؤلفات العربية والأجنبية مصدراً مهماً للبحث، لكون بعض مؤلفيها قد عاصروا الأحداث وأسهموا في صنعها.

هذا وقد اعتمد الباحث على كتب ومؤلفات أخرى مبينة في قائمة المصادر، كما أسهمت الكتب الأجنبية بدور مهم في تزويد البحث ببعض معلوماته المهمة، ويأتي في مقدمتها كتاب باتريك سيل 'الصراع على سوريا' وكتاب ولدمار غولمن 'عراق نوري سعيد' وهما كتابان جيدان، ومع ذلك فأنهما لا يخلوان من المواقف الغربية المعادية للأمة العربية وتطلعاتها، ومن المصادر الأخرى غير المترجمة كتاب:

"Gordan Waterfield, Egypt Delek Hopwood, Egypt, Politics & Socity 1945-1981".

وقد استعان الباحث بعدد من المجلات والبحوث التي نشرت في المجلات العربية التي كان لها الأثر البالغ في إغناء البحث ورفده بموضوعاته الأساسية وخاصة بحث الدكتور، علي الدين هلال 'الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨- ١٩٦١' المنشور في مجلة المستقبل العربي، فضلاً عن اللقاءات الشخصية بشأن تجربة الوحدة المنشورة في مجلة آفاق عربية ومجلة الأبحاث البيروتية.

كما اعتمد الباحث على عدد غير قليل من الصحف العراقية والعربية، فقد كان للصحف العراقية التي صدرت في خلال تلك المرحلة، حيزاً واسعاً في الدراسة لما اتسمت بها من مواقف وما حملته مقالاتها من أحداث ووقائع وتعليقات مما أغنى البحث وأمده بتصور كامل حول الآراء الرسمية والشعبية تجاه الوحدة، وختاماً فأنني في الوقت الذي أتمنى فيه أن أكون قد وفقت في وضع دراسة متواضعة في هذا الموضوع، فكلي أمل أن تتبعها دراسات أكثر عمقاً واتساعاً خدمة للعمل الوحدوي وتعميقه ورفداً للمكتبة العربية وتثقيفاً للأجيال العربية بهدف خلق مجتمع عربي موحد يقود أمتنا العربية نحو تحقيق أهدافها في الأماني والآمال ومن الله التوفيق.

الفصل الأول

المشاريع الاتحادية العربية ١٩١٨ – ١٩٥٨
وانعكاساتها في الصحافة العراقية

العراق والدعوة للاتحاد العربي
النماذج الاتحادية
وموقف الصحافة العراقية منها حتى عام ١٩٤٥

إن اليقظة الفكرية العربية، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دفعت العديد من رجالات الأدب والفكر والسياسة المتطلعين للخلاص من نير الاستعمار العثماني، بالدعوة إلى الاستقلال العربي، في ظل دولة عربية واحدة كما ساعدت سياسة قادة الانقلاب العثماني (١٩٠٨)، الهادفة إلى إقامة مركزية متسمة بالنزعة القومية التركية (الطورانية) على استثارة لوعي القومي العربي وبروز الاتجاهات الفكرية[١]، التي دعت إلى فصل الأراضي العربية عن الدولة العثمانية. وعبرت تلك الاتجاهات الفكرية عن مساعيها من خلال قيام الجمعيات والمنظمات والأحزاب العربية، العلنية والسرية، التي عملت بنشاط على نشر الفكر القومي في الأقطار العربية، وبشكل خاص في بلاد الشام والعراق.

لقد تأخر الوعي القومي في العراق عنه في الولايات العربية، إذ أن الجمعيات السياسية الراقية خلال الفترة ما بين ١٩٠٨م- ١٩١٢م، كانت امتداداً لتلك الأحزاب والجمعيات السياسية الموجودة في تركيا[٢]. ولعل خيبة الأمل التي أصابت المخلصين ناشئة عن تجاهل دستور عام ١٩٠٨ لأماني العرب القومية، مما عجّل في انتشار الفكر القومي في العراق، وظهور جمعيات لها ارتباطات عربية، كالجمعية الإصلاحية في البصرة التي ترأسها طالب النقيب، التي أبدت معارضة قوية للعثمانيين[٣]. كما أصدرت هذه الجمعية جريدة الدستور الناطقة باسمها ولما عطلتها السلطات العثمانية، أصدرت بدلاً عنها جريدة

صدى الدستور. كما تأسس (النادي الوطني العلمي) في بغداد ١٩١٢، الذي أصدر جريدة النهضة[٤]. في حين تشكلت في الموصل عام ١٩١٤ جمعية (العلم السرية) فضلاً على مشاركة العراقيين في الجمعيات العربية التي تأسست في استانبول، كالجمعية القحطانية، وجمعية العهد، وقد ضمت الأخيرة أعداداً كبيرة من الضباط العراقيين العاملين في الجيش العثماني.

وعند اندلاع الثورة العربية في الحجاز في حزيران ١٩١٦، عبرت عن قوميتها منذ الوهلة الأولى من خلال الأهداف التي طرحتها، بتحرير العرب، وقد اشترك فيها أبناء العرب من جميع أقطارهم وقاتلوا تحت لواء العروبة جنباً إلى جنب، بعيدين عن نزعاتهم الإقليمية[٥].

وللباحث هنا وقفة وتساءل عما كان يدور في خلد الشريف الحسين بن علي من أفكار وهل أنه كان يعتبر قومياً عربياً وفق مسمياتها الحديثة والمعاصرة؟! أم أن الشريف الحسين قائد الثورة العربية كان يطمح أولاً لتأسيس عائلة من أبناء وأحفاد يحكمون من خلال أنظمة ملكية وراثية قبل أن تتبلور لديه الفكرة القومية. ومع هذا وذاك فقد أسهم العراقيون فيها بجهد فعال، كما أسهموا في النشاطات السياسية والعسكرية، بإشغال المناصب القيادية في حكومة فيصل العربية ١٩١٨- ١٩٢٠، وفي الوقت نفسه أسهم العراقيون في مقاومة الاحتلال البريطاني لبلادهم، والدعوة إلى استقلال العراق وضمه إلى لواء الوحدة العربية. حيث تأسست في عام ١٩١٩ جمعية العهد العراقي، وحزب حرس الاستقلال، وقد دعيا إلى تحرير العراق والسعي للوحدة العربية[٦]. وخاض الشعب العراقي نضالاً مريراً لمقاومة الاحتلال تمثل بالثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠ التي أدت إلى إقامة الدولة العراقية الحديثة.

لقد سعى الملك فيصل الأول (١٩٢١ -١٩٣٣)، إلى تحقيق الأهداف القومية للثورة العربية، رغم السياسة الاستعمارية الداعية إلى التجزئة والقطرية، وذلك بالدعوة إلى سياسة عربية قومية والى تقارب الأقطار العربية، بعد تجاوز الخلافات بينها وإزالة الجفاء بين الأقطار الشقيقة[٧].

ويود الباحث مناقشة هذا النص المصدري المدون من قبل الدكتور عبد الرزاق الزيدي عن ماهية الأهداف القومية التي سعى إليها فيصل الأول؟ أنه كان يحكم في العراق ولم يمتلك تصورا عن مصر مثلا، أو دول المغرب العربي.... حتى أن العراق كمملكة أتعبته كثيرا، وكان متشائما في نظرته للحكم وخاصة في الفترة التي أعقبت إبرام معاهدة ١٩٢٢ والشروع في تأسيس المجلس التأسيسي وحتى الثلاثينات، وكان يقول حسب ما يتردد على لسانه (أن العراق عبارة عن كتل قبلية وعشائرية ومن الصعب أن يكون دولة)! وفي حديث خاص مع فيصل الأول أجراه عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية فيقول عزام 'سألت فيصل: لماذا لا نسعى إلى وحدة عربية أو اتحاد عربي؟ أجاب فيصل يا عزام: صفر+ صفر+ صفر كم تساوي؟ فقلت يا جلالة الملك صفر... لكن ١ + ١ + ١= ٣، فقال فيصل: إلى أن يصبح الصفر واحدا تعال وكلمني في الوحدة العربية'، وكان الحديث في العشرينات من القرن العشرين ومن هنا نلاحظ نظرة فيصل للأمور حتى نطلق عليه أنه ذو أهداف قومية وهل يجوز أن نعد هذه النظرة وهذا التشاؤم يصدران من رجل قومي ذي أهداف قومية. وهو المتشائم من وضع قطر عربي واحد...؟! ومع ذلك فإن فيصل الأول بدأ يكثف جهوده من أجل القضية العربية، وطرح موضوع تجاوز الصراع بين البيت الهاشمي والسعودي، لكي يسير العرب سيرا حثيثا في طريق الوحدة[٨]. فقد دعا منذ بداية الثلاثينات إلى إقامة حلف عربي يضم كلا من العراق وشرق الأردن ومملكة الحجاز ونجد واليمن، وحدد أهداف الحلف بالسعي لرفع الموانع التي تمنع الاتصال بين الأقطار

العربية، وعقد معاهدات صداقة وحسن الجوار ورفع الحواجز الجمركية، وتسهيل انتقال المواطنين، وتوحيد الثقافة العربية[٩].

لقد واصل الملك فيصل الأول بعد استقلال العراق في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢، ودخوله عصبة الأمم، سعيه لتنفيذ خططه القومية، فدعا إلى التعاون بين الزعماء القوميين من العرب والعراقيين[١٠]. وفي الوقت نفسه، عمل على اتباع سياسة قومية تعمل على تهيئة الأسس للعمل الوحدوي، وخاصة في السعي لاستقلال سوريا ووحدتها مع العراق، لكونه لم ينسَ في يوم من الأيام عاصمته القديمة (دمشق)، وكان العراق منذ عام ١٩٣٢ القطر العربي الوحيد الذي نال استقلاله اسمياً ودخل عصبة الأمم، وجلس جنباً إلى جنب مع مندوبي الدول ذات السيادة. ولهذا انعقدت الآمال عليه قبل غيره ليصبح موحد العرب وأن يسهم في استقلالهم، وعلى وجه الخصوص بعد تدفق النفط من أرضه منذ العشرينات، وأصبح يملك أضخم ثروة نفطية في المنطقة ولذا فقد تمنى الوطنيون فيصلاً خارج العراق ممولاً لحركاتهم السياسية الإقليمية، وتمناه العرب سنداً لهم للمستقبل[١١].

هكذا نجد العراق أصبح قبلة الوطنيين العرب من الأقطار العربية المحيطة به (سوريا وفلسطين وشرق الأردن)، ونجح العشرات منهم ليشكلوا تياراً قومياً ينادي بتحرير الأقطار العربية، ويدعو فيصلاً إلى الخروج وقيادة حرب التحرير لإقامة دولة عربية واحدة من العراق والأقطار الثلاثة المذكورة[١٢].

وبعد وفاة الملك فيصل الأول، سار ابنه الملك غازي الأول (١٩٣٣-١٩٣٨) على هدي سياسة والده في تحقيق وحدة العرب واستقلالهم، وعد نفسه مسؤولاً عن تلك الرسالة القومية. وقد سعى بشتى الوسائل لمساعدة الأقطار العربية على التحرر عن السيطرة الأجنبية، وفسح المجال واسعاً أمام النشاط القومي، الذي شهد في عهده تصاعداً ملحوظاً. وأصبح للعراق دوره الفعال في نمو حركة

الثورة العربية وتطورها، ومثّل الاتجاه القومي في تلك الفترة جمعية الجوال ١٩٣٤ ونادي المثنى ١٩٣٥، وجمعية الدفاع عن فلسطين فضلاً عن كتلة الضباط القوميين في الجيش، ودعا الملك غازي إلى ضرورة إنقاذ الأقطار العربية التي تعاني من التجزئة والاستعمار، ثم السير حثيثاً[١٣] في طريق الوحدة العربية. وفي الوقت نفسه، آمن بأن التفاهم والتقارب بين الحكام العرب، يعمل على خدمة قضايا الأمة العربية. وعلى هذا الأساس، استطاع الملك غازي توقيع معاهدة أخوة وتحالف في عام ١٩٣٦ مع المملكة العربية السعودية، والتي انضمت إليها اليمن عام ١٩٣٧ لتشكل الأقطار الثلاثة حلفاً عربياً فيما بينهم[١٤]. وكان الملك غازي يطمح مثل والده إلى وحدة سوريا والعراق، التي كون نواة للوحدة العربية، ولذلك وضع كل إمكاناته لبلوغ ذلك الهدف. وقد شهد عام ١٩٣٩ أوج المشاعر القومية التي عبر عنها السوريون بالانضواء تحت لوائه، وتألفت في سوريا لهذه الغاية جبهة متحدة لضم عدداً من العناصر القومية، للعمل من أجل تحقيق هذا الهدف وذلك باستقطاب الجماهير، وتهيئة أذهانها للوحدة العربية عن طريق توزيع المنشورات التي تؤكد على ضرورة اتحاد سوريا والعراق تحت عرش الملك غازي[١٥].

وقبل الانتقال إلى تطورات الأحداث بعد وفاة الملك غازي استهوى الباحث بعض التساؤل قبل طوي صفحة هذه الفترة من تاريخ العراق وهو: ما الذي حققه غازي للعرب والعالم العربي من إجراءات في العراق على الأقل؟!

إن غازي شابٌ لا علم له بالسياسة ولا بالصراع الدولي، ولا يملك أي معرفة دقيقة حتى بواقع مملكته العراق. سوى أنه ابن فيصل الأول. وكانت سيرة غازي منذ شبابه حتى مقتله سيرة شاب صاحب لهو وسباق سيارات وقيادة الطائرات. ولم يكن له أي هم سياسي.

فأي مشروع وحدوي طرحه غازي؟ وأية رسالة وضعها...؟ كل ما هنالك أنه كان يلقي خطابات ينادي بها أهالي الكويت بالانضمام إلى العراق، حيث كانت له إذاعة صغيرة في قصر الزهور وكان هذا كل همه السياسي ناسياً أن الوحدة العربية لا تتحقق بالإذاعات والمنشورات والهتافات...! إنها أكبر وأضخم من صياح أي حاكم أو زعيم أو رئيس ولذا نعتقد أن دور غازي قد ضُخّم إلى حد كبير فقد أراد غازي أن ينسحب من المشروع البريطاني الكبير (الشرق الأوسط) الذي هو ضمن مشاريع بريطانيا بموجب معاهدة سايكس بيكو ونسي تماماً أن بريطانيا هي التي جاءت بأبيه فيصل ملكاً على العراق بعد أن طرده الفرنسيون من سوريا. وبصريح العبارة فإن الملكية في العراق كانت كيان مصطنع أوجده الإنكليز لامتصاص مشاعر العراقيين ليس إلا.

وبعد وفاة الملك غازي، بقي الكثير من القوميين العراقيين يتطلعون إلى تحقيق الوحدة المنشودة مع سوريا، يؤازرهم في ذلك العديد من القوميين العرب في بلاد الشام وسوريا ذاتها. وقد أراد القوميون استثمار ظروف الحرب العالمية الثانية، لتحقيق استقلال سوريا وفلسطين، وكان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى التصادم بين القوميين في العراق وبريطانيا واندلاع الانتفاضة في شهري نيسان ومايس عام ١٩٤١.

وبعد فشل انتفاضة العراق، وإعادة احتلاله من قبل بريطانيا، أصبحت الأخيرة من الناحيتين السياسية والعسكرية، في وضع يسمح لها بأن توجه السياسة العربية في الشرق الأوسط بأجمعه، لأنها بعد أن احتلت من جديد الأقطار العربية كلها احتلالاً عسكرياً، عدا المملكة العربية السعودية واليمن[١٦]. عزمت على تبني سياسة جديدة في المنطقة العربية، تستند على تحقيق هدفين رئيسيين، هما زعزعة النفوذ الفرنسي عن سوريا ولبنان تمهيداً لخضوعهما لسياستها،

والعمل على جر البلاد العربية جميعاً للسياسة البريطانية في المنطقة، وذلك من خلال التنسيق مع حكام العراق[١٧]. وفي ضوء السياسة البريطانية الجديدة في المنطقة العربية، صرح وزير خارجية بريطانيا انتوني ايدن (Anthony Eden) في التاسع والعشرين من مايس ١٩٤١ أن بلاده ستقف إلى جانب كل مشروع وحدوي، يجمع شمل الأقطار العربية "وأنها سوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة عامة" على حد زعمه[١٨].

إن الحافز الذي دفع الخارجية البريطانية لاتخاذ مثل هذا الموقف السياسي، الذي يعد بمثابة مناورة سياسية هو ضرورات الحرب، لا سيما وأنها تخوض غمار الحرب العالمية الثانية، وتواجه دعاية دول المحور في المنطقة العربية، زيادة على أنه عاملٌ مهمٌ في مواجهة الشعور القومي المتنامي في الوطن العربي، والعمل على كسب وتأييد العناصر القومية لها، ولفت انتباه العرب إلى أن هناك من يحمي مصالحهم، ويحقق أهدافهم في الوحدة[١٩]. وعلى نحو آخر، إتاحة المجال لربط الأقطار الخاضعة لنفوذها، والحيلولة دون أن يكون هناك نفوذ لأية دولة أخرى ويقتضي ذلك، تمهيد الطريق أمام تقارب الأقطار العربية وائتلافها في حلف أو تضامن يسهل على بريطانيا التعامل معها، بصورة مجتمعة بدلاً من الاتصال بكل دولة على حده[٢٠]..

وفي ضوء المستجدات السياسية في المشرق العربي، رحب الهاشميون بالتصريح البريطاني، فأعلن الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن، عن تأييده للمبادرة البريطانية، وأعلن أنه على أتم الاستعداد لتحرير سوريا ولبنان. كما وجد نوري السعيد الذي كان رئيساً للوزراء في العراق- آنذاك- أن الفرصة سانحة لتقديم مشروع عراقي يحقق لبريطانيا مصالحها في المنطقة، كما يحقق في الوقت نفسه "أماني البلاد العربية بتدعيمها كياناً عربياً موحداً"[٢١].

مشروع الهلال الخصيب:

قدم نوري السعيد، وجهة نظره المتضمنة وحدة العراق مع أقطار بلاد الشام وذلك بمذكرة خاصة اختار لها اسم 'استقلال العرب ووحدتهم' بعثها إلى ريتشارد كيسي (Richard Gasey) في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٣[٢٢]. ووزع عدداً محدوداً منها على بعض زعماء العرب[٢٣].

فقد تطرق نوري السعيد في مذكرته إلى التطورات التي حدثت في المنطقة العربية، خلال الفترة الممتدة من ١٩١٨-١٩٤٢ وما بذل فيها من وعود وعهود، كما تطرق إلى المطامع الصهيونية في فلسطين وفي مقدمتها إنشاء دولة يهودية هناك بعد الحرب، وأوضح أن العراق جزء من الأمة العربية التي تربطه وإياها امتن الروابط، وعلى هذا فإنه يرى أن قوة العرب باتحادهم 'إذ بغير هذا الاتحاد لا يتمكن العرب أبداً من الحصول على مكانهم في العالم وإعادة مجدهم السالف الذي يفخرون به بحق'[٢٤].

وأوضح نوري السعيد تصوراته، فأشار إلى 'أن اقتصار الاتحاد في مراحله الأولى على سوريا والعراق سيؤدي إلى تسهيل الاستشارة المشتركة بين جميع الدول العربية وقيامها بعمل مشترك، سواء كانت داخل الاتحاد أو خارجه، لأن الكثير من مشاكلنا واحدة ونحن جميعاً جزء من حضارة واحدة ونفكر تفكيراً واحداً، ولنا مثل عليا واحدة هي مبادئ حرية الكلام أمام القانون والمساواة البشرية'[٢٥].

وهنا يناشد الباحث إعادة نظر نقدية في بعض الطروحات والمنطلقات السياسية حيث أن الأفكار التي طرحها نوري السعيد في ضوء هذه المذكرة والتي سبقت كثيراً من القادة القوميين العرب نضوجاً وجرأة وهي مذكرة تنطوي على تحليل وفهم واقعي للوضع العربي العام في تلك الفترة وهو تحليل ينم على عقل استراتيجي ينظر إلى المستقبل أكثر مما ينظر إلى الحاضر ومشكلة السعيد أنه لم يكن رومانسياً ولا صاحب خيال في عالم السياسة إنما هو واقعي ميداني والعراق بعد

تأسيسه عام ١٩٢١ كان مقدراً له أن يتجزأ. ومشكلة الموصل ماثلة للعيان وبجهود السعيد عادت الموصل وهذه نقطة تسجل له لا عليه.... أما أن نأتي ونضفي عليه صفة من صفات رجال المدرسة الثورية الحماسية ذات الألفاظ الفخمة الرنانة ونتهمه بالرجعية والعمالة فهذا أمر غير سليم لتضارب وجهة نظر المدرستين الواقعية السعيدية والرومانسية القومية. وأحداث ومآسي ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ خير شاهد على متاهاتنا بين طرح المفاهيم الثورية فضللنا الطريق بين الاتحاد الفدرالي والوحدة الثورية وكانت المحصلة ضياع كل شيء يمت بالمشروع القومي العربي.

وفي ختام مذكرته أكد نوري السعيد على أن الحل المنصف الوحيد، لضمان دوام السلم والاطمئنان والتقدم في هذه المناطق العربية، هو:

١- أن يعاد توحيد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن في دولة واحدة.

٢- أن يبت سكان هذه الدولة أنفسهم، في نوع الحكومة التي تتخذها هذه الدولة، سواء أكانت ملكية أم جمهورية، وأيضاً سواء أكانت وحدة أم اتحاداً.

٣- أن تنشأ عصبة عربية ينضم إليها العراق وسوريا فوراً، على أن يباح للدول العربية الأخرى إليها متى شاءت.

٤- أن يكون لهذه العصبة العربية مجلس دائم يضم ممثلي الدول المنظمة إلى تلك العصبة، ويرأسه أحد رؤساء الدول الذي يتم اختياره اختياراً تقبله الدول ذات الشأن.

٥- أن يكون مجلس العصبة مسؤولاً عن الأمور التالية: الدفاع - الشؤون الخارجية- العملة- المواصلات- الجمارك- حماية حقوق الأقليات- التعليم.

٦- يمنح اليهود في فلسطين إدارة شبه ذاتية في المنطقة التي

يكونون أكثرية فيها مع منحهم الحق في إدارة مناطقهم الريفية والمدنية ويشمل ذلك المدارس والمؤسسات الصحية، والشرطة على أن تكون هذه المؤسسات الصحية والشرطة تحت إشراف الدولة السورية بوجه عام.

٧- تكون القدس مدينة يباح دخولها لأبناء جميع الأديان بقصد الزيارة، أو العبادة وتتألف لجنة خاصة من ممثلي الأديان الثلاثة السائدة لضمان ذلك.

٨- أن يمنح الموارنة في لبنان — إذا شاءوا — إدارة ممتازة على نحو ما كانوا يتمتعون به من خلال السنوات الأخيرة من عهد الإمبراطورية العثمانية، وتستند هذه الإدارة الخاصة أسوة بالإدارات التي ستؤسس وفق أحكام الفقرتين (٦) و(٧) السابقتين إلى ضمان دولي[٢٦].

ويبدو لنا بالرغم من كل ما قيل عن سلبيات أو إيجابيات هذا المشروع، الذي قيل فيه الكثير، الذي لا يتسع المجال لذكره في هذا البحث، لكونه خارجاً عن نطاقه، فأننا نستطيع أن نقول: أولاً أن المشروع كان يمثل وجهة نظر نوري السعيد لحل القضية الدينية وذلك باحتواء اليهود 'بوطن قومي' ذي حكم ذاتي صغير، ضمن كيان عربي موحد، وذلك لإيقاف اندفاعهم بإقامة الدولة اليهودية على الأرض الفلسطينية، وثانياً، يمثل انعكاساً لرغبته في تحقيق حلم الأسرة الهاشمية في السيطرة المطلقة على مقدرات منطقة الهلال الخصيب، وما ستحدثه عملية التوحيد هذه من ردود فعل إيجابية لتحسين صورته التي رسمها القوميون العرب له، ولاحتمال توسع نطاق زعامته وانتقالها من النطاق المحلي (العراق) إلى النطاق القومي (الدول العربية الأخرى)[٢٧].

وعلى عكس ما كان متوقعاً لنوري السعيد، فقد لقي مشروع الهلال الخصيب معارضة واضحة من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، بتأثير من اليهود الصهاينة ولأسباب أخرى كانت تتطلبها سياسة تلك الدول الاستعمارية في المنطقة، ناهيك عن تلك المعارضة التي جوبه بها هذا المشروع من قبل الأقطار المستقلة لا سيما، مصر والسعودية التي كانت تبغي من وراء ذلك، الحد من التوسع الهاشمي في المنطقة حتى وإن كان هذا التوسع ناجماً عن صيغة وحدوية[٢٨].

وعلى الرغم مما لقيه المشروع من معارضة خارجية إلا أنه لقي صدى واسعاً، لا سيما من الصحافة العراقية، وقبل تناول موقف الصحافة العراقية من مشروع الخصيب، ومذكرة السعيد التي بدأت فكرتها خلال الزيارة التي قام بها نوري السعيد عام ١٩٤٢، والتقائه بوزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط والمقيم في القاهرة (ريتشارد كيسي R.G.asiy) وجس نبض الوزير البريطاني في مقترحاته التي دونها في مذكرة واستعرضها السعيد أمام كيسي مستنداً في ذلك على تصريحات وزير الخارجية البريطاني انتوني ايدن في ٢٩/مايس/١٩٤١، وحينها أبدى كيسي نصيحته للسعيد بأن يدون ذلك في تقرير يمثل فيه وجهة نظره وتوصياته، وعند عودة السعيد إلى العراق أعد المذكرة المعروفة حول الاستقلال والوحدة العربية وآرائه بخصوص التسوية النهائية لقضية فلسطين، وقد أرسلت تلك المذكرة إلى الوزير البريطاني، والتي عرفت فيما بعد بالكتاب الأزرق.

لقد أوضح السعيد للوزير البريطاني، بأن مذكرته شخصية وليست رسمية، وكما جاء في الكتاب الأزرق (مع علمي بأن غير واحد من زملائي وزعماء عراقيين آخرين يشاركونني في آرائي. لا أود اعتبار هذه الآراء بأي وجه من الوجوه بياناً معبراً عن سياسة الحكومة العراقية)[٢٩].

ويبدو أن السعيد لم يكن جاداً ومخلصاً في كل ما قدمه من طروحات فكرية وطموحات وحدوية، ولم تكن في لحمتها وسداها إلا رغبات شخصية استهدف منها جس نبض البريطانيين بهدف دعمه وإسناده لاعتماده 'قائداً قومياً' في المنطقة العربية، مقابل السماح للإنكليز بتوجيه السياسة العربية في منطقة الشرق الأوسط برمته[٣٠]، ولتخفيف الجهود عن بريطانيا في تسهيل عملية التعامل عند نجاح مشروع اتحاد دول الخصيب.

إن تصريح (ايدن) لم ينل الاهتمام الذي كانت تتوقعه بريطانيا، سوى عند الملك عبد الله الذي يطمح بتوسيع نفوذه خارج نطاق إمارته، كما أن مصر تجاهلت التصريح بسبب انشغالها بوحدة وادي النيل، ومواجهتها لزحف ألمانيا، على حدودها وكذلك الحكومة العراقية التي كانت منشغلة بإعادة شؤونها عقب قمع انتفاضة مايس.

ودون ثمة شك أن السخط على الغرب بوجه عام وبريطانيا بوجه خاص لم يكن عرضياً أو جديداً بقدر ما كان إحساساً عميق الجذور في نفوس العرب[٣١]. فالتصريح البريطاني في إقامة تنظيم إقليمي وإعلان السعيد عن آرائه الوحدوية بناء على ذلك التصريح كان في الواقع إذكاء روح الانفصالية، وتقويض لفكرة الوحدة العربية، وكانت تلك المساعي ذات أهداف خفية ولا تمت بأي صلة لأي تطلع قومي ذي إيمان واقعي راسخ، ولا يفوتنا أن نشير إلى ما نوه به السعيد صاحب مشروع الهلال الخصيب، في معرض رده على النائب داود السعدي إذ قال له (أن العراق سيبقى عراقاً حتى لو تحققت الإمبراطورية العربية)[٣٢]، ولذلك فقد تم وأد المشروع مبكراً وقبل ولادته.

موقف الصحافة العراقية من مشروع الهلال الخصيب:

كان موقف الصحافة العراقية من مشروع الهلال الخصيب موقفاً مجرداً من التحليل والاستقصاء، وإبداء الرأي ولذلك اقتصرت الصحافة العراقية على متابعة تصريحات السعيد بصدد مشروعه ليس إن محاولة السعيد لإضفاء الصفة الإيديولوجية على تصريحاته، وإظهار أهمية اتحاد العرب في عالم ما بعد الحرب الثانية، وأن يتم ذلك بشكل تدريجي لإقناع البريطانيين بصواب منطلقاته(٣٣) استهدف إغراء الحلفاء بشكل عام والبريطانيين بشكل خاص، عن طريق تأكيد أهمية توفير كل ما يلزم لنقل النفط العراقي إلى أنحاء العالم، فضلاً عن تأمين نقل الحبوب إلى الحلفاء(٣٤).

ونشرت الصحف العراقية تصريحات السعيد ووصفتها بأنها تؤلف المحرك الأساس، لما كان يجري خلف الكواليس بخصوص تعاون الأقطار العربية، حيث أبدى السعيد استعداد العراق للتعامل الاقتصادي مع جميع البلاد العربية بعد الحرب، ولتقديم المعونة في أمور المواصلات زيادة على الدعم العلمي والثقافي(٣٥). ونقلت تلك الصحف اهتمامات الصحف العربية بنشاطات السعيد وما نسب إليه من آراء وأفكار مختلفة، بصدد إقامة وحدة أو اتحاد بين الدول العربية على هيئة حلقتين، حيث تتألف الحلقة الأولى كما أشيع في تلك الصحف من الدول الصغرى كلبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن، أما الحلقة الثانية فتتألف من السعودية والعراق ومصر، على أن تؤلف الحلقة الداخلية وحدة متماسكة الأجزاء(٣٦).

ونقلاً عن مراسل جريدة (نيوز كرونكل News Chonicle) في الشرق الأوسط نشرت صحيفة 'صوت الأهالي' تصريحاً للسعيد مفاده، أنه يعتقد أن من مصلحة العراق والدول العربية الأخرى، العمل بتعاون وثيق مع بريطانيا و الأمم المتحدة، وأن اتحاد العراق مع الأقطار

العربية بعد الحرب، سيساهم مساهمة فعالة في بناء العالم الجديد، ونقلت الصحيفة تمنيات السعيد في أن يرى رابطة عربية، بهيئة مجلس مركزي مهيمن على شؤون الدفاع والمواصلات والجمارك والعلاقات الخارجية في جميع أنحاء الوطن العربي(٣٧).

وواصلت الصحف العراقية تتبعها لمباحثات نوري السعيد حيث نشرت صحيفة 'صوت الأهالي' تصريحاً للسعيد، بخصوص مباحثاته مع مصطفى النحاس في القاهرة بخصوص قضية الوحدة العربية، وكيفية العمل على تحقيقها ووضع البرنامج النهائي لها(٣٨). كما نشرت تصريحات السعيد بصدد موقف سوريا من المشروع، موضحاً إنها منهمكة بشؤونها الداخلية، ومن الواجب أن تتحرر، ومن ثم يحق التحدث عن موقفها من الوحدة العربية، أما الرأي العام في لبنان فأنقسم إلى فريقين أيد أحدهما فكرة الوحدة الكاملة، أما الفريق الثاني فيتمثل بالأمير عبد الله أمير شرق الأردن الذي اقترح البدء بالوحدة السورية أولاً، ويراها عاملاً في بناء الوحدة العربية(٣٩). وأشارت الصحيفة في عدد لاحق إلى مباحثات السعيد والنحاس، وتوقع السعيد أن يضم الاتحاد في البداية كلاً من العراق ومصر وسوريا ولبنان وشرق الأردن والسعودية، أما فلسطين فأن وضعها يتوقف على نتائج الحرب(٤٠).

إن التحركات التي أبداها نوري السعيد خلال المباحثات أثارت اهتمام الصحف المصرية التي أكدت على دوره السياسي المتميز، ووصفته صحيفة الوفد بأنه ثالث ثلاثة، لعبوا أدق الأدوار وأخطرها في السياسة العربية، وهؤلاء الثلاثة هم المغفور له ياسين الهاشمي، وجعفر العسكري ونوري السعيد(٤١). ومن الجدير بالذكر أن السعيد حاول إيجاد نوع من الربط بين دول الجامعة الأعضاء وكتلة سعد أباد، انطلاقاً من مبدأ معاداة الشيوعية، حيث بذل المساعي لتحسين العلاقات بين تركيا وسوريا ولبنان، إضافة إلى إبداء استعداده للتدخل في حل الخلافات السورية- التركية بشأن لواء الاسكندرونة(٤٢).

لقد كان هدف بريطانيا في تلك الفترة يرمي إلى إيجاد نوع من التعاون، وليس وحدة بين الدول العربية للتمكن من خلال إيجاد التنظيم الإقليمي للحكومات العربية، من السيطرة على جميع تلك الدول، حيث كان ذلك الهدف واضحاً من خلال التصريح الثاني لوزير خارجيتها 'انتوني ايدن' في ٢٤ شباط عام ١٩٤٣[٤٣].

إن تراجع بريطانيا في تأييدها المطلق لمقترحات السعيد، وعدم التزامها بموقف سبق وان أعلنت دعمها له، جعل البعض يتصور في أن بريطانيا كانت تتطلع إلى حدود أبعد من مشروع الهلال الخصيب، والدليل على ذلك، المشاورات العربية وما حظيت بها من تأييد للفترة ١٩٤٣-١٩٤٥ والتي تمخض عنها في النهاية قيام الجامعة العربية[٤٤].

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم خليل أحمد (دكتور)، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص١٦.

(٢) وميض جمال عمر نظمي (دكتور)، ثورة ١٩٢٠- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط٢، ١٩٥٨، ص٩١.

(٣) العراق في الوثائق البريطانية، ترجمة وتحرير فؤاد قزانجي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٩، ص٨٠.

(٤) عماد عبد السالم رؤوف (دكتور)، الجمعيات العربية وفكرها القومي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٨١. ١٩٨٥، ص١١٩.

(٥) أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى، دار الكتاب المدرسي، بيروت، د. ت، ص١٥.

(٦) حنان عبد الكريم الألوسي، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٣١-١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥، ص٢٣.

(٧) عبد الرزاق خلف خميس الزيدى، العلاقات اليمنية، السعودية ١٩٣١-١٩٧٠ دراسة في العلاقات السياسية، أطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٨٥.

(٨) شكيب ارسلان، الوحدة العربية، مطبعة الاعتدال، دمشق د. ت، ص ص١٥-١٦.

(٩) جريدة صدى العهد، ٢٦/نيسان/١٩٣١، جلال الأورفلي، الدبلوماسية والاتحاد العربي، بغداد ١٩٤٤، ص ص٣٥٣-٣٤٥.

(١٠) وليام كليفلاند. ساطع الحصري، من الفكرة العثمانية إلى العروبة، ترجمة فكتور سحاب، بيروت، ١٩٨٣، ص٧٥.

(١١) أنيس صايغ (دكتور)، في مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر، منشورات جريدة المحرر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥، ص ص٤٩- ٥٠.

(١٢) المصدر نفسه، ص٥٠.

(١٣) ماجد أحمد السامرائي، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية حتى نكسة حزيران ١٩٦٧، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٤٣.

(14) Khaduri; Majid, Independent,Iraq 1932-1958, Oxford, London, 1960, P.307.

(١٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، دار الكتب، بيروت، ١٩٧٤، ص ص١٩٧-٢٠٣.

(١٦) محمد عزة دروزة، الوحدة العربية، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٥٧، ص١٢٧.

(١٧) حسين فوزي النجار، وحدة التاريخ العربي، دار الجيل للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٣٠.

(١٨) راجع نص التصريح في: جلال يحيى، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ص٤٦-٤٧، Khaduri, O P. cit, P.92.

(١٩) عبد الرحيم ذنون، العراق في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة إلى جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٢٨٣.

(٢٠) جلال يحيى، مصدر سابق، ص ص٥٣-٥٩.

(٢١) سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢٢) انظر نص المذكرة، في الملحق رقم (١) في: غانم محمد صالح، العراق والوحدة العربية بين ١٩٣٩- ١٩٥٨، الفكر والممارسة، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٢٥.

(٢٣) قامت الحكومة العراقية بطبع هذه المذكرة، باللغتين العربية والإنكليزية في كتيب أنيق الغلاف أزرق اللون، ولذلك أصبح يعرف بـــ(الكتاب الأزرق) انظر نوري سعيد، استقلال العرب ووحدتهم- مذكرة في القضية العربية، مطبعة الحكومة، بغداد، وكذلك سعاد رؤوف، مصدر سابق، ص٢٥٥.

(٢٤) نوري السعيد، المصدر السابق نفسه، ص ص٢-٧.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٩.

(٢٦) نوري سعيد، المصدر نفسه، ص ص١٦-١٨.

(٢٧) غانم محمد صالح، مصدر سابق، ص ص٨٥-٨٦.

(٢٨) سعاد رؤوف، مصدر سابق، ص ص٢٥٩- ٢٦١.

(٢٩) استقلال العرب ووحدتهم، مصدر سابق، ص١.

(٣٠) غانم محمد صالح، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد٤٠-٤١، كانون الثاني، آذار-حزيران، بغداد، ١٩٨١، ص٣٢.

(٣١) وميض عمر نظمي، في منظور الفكرة العربية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، ٣١، العدد ١- ٢، السنة ١٩٨٤، ص٣٦.

(٣٢) محاضر جلسات مجلس النواب، السنة ١٩٣٩، ص٢٠.

(٣٣) صحيفة الأخبار، العدد ٧٨٩، الصادر في ٢٣/تموز/١٩٤٣.

(٣٤) صحيفة الأخبار، العدد٧٩٠، الصادر في ٢٤/تموز/١٩٤٣.

(٣٥) صحيفة صوت الأهالي، العدد٣٢١، الصادر في ١٩/تموز/١٩٤٣.

(٣٦) المصدر نفسه، العدد ٤٩١، الصادر في ٩/شباط/١٩٤٤، وكذلك الحوادث في ٩/شباط/١٩٤٤.

(٣٧) صحيفة صوت الأهالي، العدد ٣٥٩، الصادر في ١/ أيلول/١٩٤٣.

(٣٨) المصدر نفسه، العدد ٣٢٥، الصادر في ٢٢/تموز/١٩٤٣.

(٣٩) المصدر نفسه، العدد ٣٢٦، الصادر في ٢٣/تموز/١٩٤٣.

(٤٠) المصدر نفسه، العدد ٣٢٩، الصادر في ٢٧/تموز/١٩٤٣.

(٤١) صحيفة الأخبار، العدد ٧٩٢، الصادر في ٢٧/تموز/١٩٤٣.

(٤٢) المصدر نفسه، العدد ١٤٤٦، الصادر في ٢٩/أيلول/١٩٤٥.

(٤٣) جميل الجبوري، نشأة فكرة جامعة الدول العربية، مجلة شؤون عربية، آذار ١٩٨٣، ص٣٠.

(٤٤) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، المصدر السابق، ص٤١.

مشروع سوريا الكبرى:

تعود بدايات هذا المشروع إلى عام ١٩٢٠، ففي الثامن من آذار، عقد المؤتمر العراقي العام بدمشق وانتخب الأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق[١]، لكن الأمر لم يتم له فقد أصبح أخوه الأمير فيصل ملكاً على العراق بدله، بعد أن اختارته بريطانيا ليتبوء هذا المنصب.

وعلى الرغم من تنصيب عبد الله أميراً على شرق الأردن، فقد استمر الحلم يراوده بالجلوس على عرض دولة واحدة كبيرة، ولما كانت معظم البلاد السورية خاضعة للامتداد الفرنسي والبريطاني آنذاك، بدأ الأمير عبد الله يتحين الفرص لتحقيق حلمه بتوحيد بلاد الشام، ففي عام ١٩٣٦ بعث بمذكرة إلى الحكومة البريطانية، يطلب فيها إقامة اتحاد تحت رئاسته يضم شرق الأردن وسوريا كخطوة أولى نحو تحقيق الاتحاد العربي، لكن تلك الخطوة باءت بالفشل نتيجة المعارضة البريطانية[٢].

ولكن الأمير عبد الله استمر بجهوده الحثيثة وبتقديم المذكرات إلى الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية[٣]، إلى أن حانت الفرصة له بطرح أفكاره بشكل معلن، وذلك على أثر صدور تصريحي وزير الخارجية البريطانية (انتوني إيدن) الأول في ٢٩ أيار ١٩٤١ والثاني في ٢٤ شباط ١٩٤٣، المتضمنين عطف الحكومة البريطانية على استقلال سوريا مع تأييدها لجميع الخطوات المؤيدة إلى وحدة الأقطار العربية[٤].

بناءاً على ذلك وبدعم من بريطانيا، انعقد في مدينة عمان للفترة من ٥ – ٦ آذار ١٩٤٣ مؤتمر فلسطين عربية، بتوجيه من الأمير عبد الله حضره عدد من المجاهدين العرب القدماء تدارسوا فيه موقف فرنسا من إلغاء الانتداب، ومنح الاستقلال لسوريا ولبنان وفي هذا الاجتماع طالب المجتمعون بوضع ميثاق مشترك يدعو إلى الوحدة

والاستقلال التام، وشكلت لجنة وضعت مشروعين لوحدة سوريا الكبرى[٥]. وعلى أثر ذلك، واصل الأمير عبد الله جهوده، فدعا في بلاغ له في ٨ نيسان ١٩٤٣ الشعب العربي في بلاد الشام إلى عقد مؤتمر سوري لمناقشة مشروع سوريا الكبرى، إلا أن السلطات الفرنسية والبريطانية في بلاد الشام ومصر حالت دون إذاعة المشروع أو نشره[٦].

وقد تضمن مشروعا الدولة السورية الموحدة والاتحاد العربي على ما يأتي[٧]:

١- مشروع الوحدة السورية (الدولة السورية الموحدة والاتحاد العربي):

يتضمن هذا المشروع، الاعتراف باستقلال الدولة السورية الموحدة، التي تضم سوريا الشمالية وشرقي الأردن وفلسطين ولبنان، مع إدارة خاصة في لبنان القديم وفي فلسطين، لحفظ حقوق الأقلية اليهودية وإلغاء وعد بلفور، أو أي تفسير له بهدف إزالة مخاوف العالمين العربي والإسلامي، ويدعى الأمير عبد الله ابن الحسين لرئاسة الدولة السورية الموحدة بحجة ما له من مواقف ماضية وحاضرة، وبعد تأسيس الدولة السورية الموحدة، يصار إلى إعلان تأسيس كيان اتحادي عربي مؤلف من سوريا والعراق (قطري الهلال الخصيب)، وليس ثمة ما يمنع انضمام الدول العربية الأخرى إليه.

٢- مشروع الدولة السورية الاتحادية والاتحاد العربي:

وفي حالة عدم تأسيس الدولة السورية الموحدة تقوم في سوريا الطبيعية دولة اتحادية مركزية تضم حكومات شرقي الأردن وسوريا الشمالية ولبنان وفلسطين، وعاصمتها دمشق ويسمى الأمير عبد الله رئيساً لها. ويتولى الاتحاد شؤون الدفاع والسياسة الخارجية والمواصلات والاقتصاد الوطني والثقافة العامة والقضاء، مع إبقاء الاستقلال الذاتي لكل حكومة من الحكومات الإقليمية الأربعة. وإذا تخلفت حكومة لبنان عن الانضمام إلى الاتحاد السوري المركزي لأسباب خاصة بها، فيجب أن تعاد إلى سوريا أراضيها الملحقة عنوة

بعد معرفة رغبة السكان بالاستفتاء الحر، ويشترط في انضمام فلسطين إلى الاتحاد السوري أن تقوم حكومة وطنية دستورية ترعى الأماكن المقدسة، وتمنح المناطق ذات الأكثرية اليهودية إدارة لا مركزية لحفظ حقوق الأقلية اليهودية، وذلك فيما إذا أعلنت الوكالة اليهودية عن موافقتها على هذا الحل.

وفي حالة عدم حل المشكلة الفلسطينية على هذا الأساس من الجانب البريطاني، تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد السوري، ويظل العرب كأمة ذات ميثاق وحقوق وطنية مشروعة، غير معترفين بشرعية الوضع الراهن في فلسطين، ومثابرين على المطالبة بإلغاء وعد بلفور.

وحال قيام الدولة السورية أو الاتحادية، يصار إلى تأسيس الاتحاد العربي استناداً إلى ما ذكر في المشروع الأول[٨].

مشروع سوريا الكبرى وردود فعل الصحافة العراقية إزاءه:

بعد توزيع مناطق النفوذ بين الحلفاء وتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، بموجب معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦، التي انتصر فيها الحلفاء على الدولة العثمانية، فقد ازداد التنافس بين الحكام العرب الموالين للإنكليز ومنهم الأمير عبد الله بن الشريف حسين أمير شرق الأردن، الذي شعر بالغبن والإجحاف بدعوى أنه لم يأخذ نصيبه كاملاً من تلك الممتلكات تجاه الخدمات التي أسداها الهاشميون للإنكليز وحلفائهم، وخير دليل على طموحه هذا أنه تبنى مشروع سوريا الكبرى الذي يضم سوريا ولبنان والأردن والعراق تحت زعامته، إلا أن الحلم أو هذا الطموح الذي داعب خيال الأمير عبد الله لم يلق آذاناً صاغية لدى الإنكليز، الذين كانوا يعدون العدة لتأسيس (الجامعة العربية) وفق الإطار - السياسي والخط الإيديولوجي الذي رسموه لها بما يحقق أهدافهم ومآربهم.

كما أن تجاهلهم لمشروع الأمير انطلق من اعتقادهم بأن هذا المشروع يثير حفيظة حلفائهم الفرنسيين، الذين بسطوا نفوذهم على بلاد الشام، وكذلك أرادوا عدم إغضاب أصدقائهم الآخرين في مصر والمملكة العربية السعودية، كما أن هذا المشروع لم ينل حتى تأييد حكام العراق والهاشميين الذين فضلوا مشروع الهلال الخصيب الذي طرحه نوري السعيد.

ويقول السياسي الأردني هزاع المجالي في مذكراته، بأن فرصاً عديدة تهيأت للأمير عبد الله حاول اغتنامها، ولكنه واجه معارضة شديدة من الإنكليز والفرنسيين، وعلى سبيل المثال لا الحصر ذكر (باتريك سيل) بأن السياسي السوري حسن الأطرش أحد أمراء جبل الدروز المعروفين دعا الأمير عبد الله للدخول إلى جبل الدروز في آذار- ١٩٤٧ لتحقيق مشروعه غير أن (كلوب باشا)[*]، سرعان ما أخبر بريطانيا التي كان ردها غير مشجع في هذا الصدد. وفي ضوء ما تقدم فقد انعكس ذلك على موقف الصحف العراقية من مشروع سوريا الكبرى حيث اتسم موقف البعض من الصحف العراقية بالإيجابية والتأييد تجاه مشروع سوريا الكبرى، في حين اتصف الموقف عند البعض الآخر من الصحف بالتصدي والحذر والدعوة إلى التنديد والمقاومة.

لقد تزعمت صحيفتا العراق والزمان، الاتجاه المؤيد لترويج المشروع وأيدتهما في ذلك صحيفة صوت الأحرار.

لقد أبدت صحيفة 'العراق' رأيها وأتضح موقفها بالدعوة إلى دمج الأقطار العربية وجعلها مملكة واحدة، والعمل على تذليل المصاعب السياسية، التي تعترض كل مسعى وحدوي[٩]. وفي عدد آخر ناشدت الصحيفة العراقي والشامي واللبناني بالتلاحم، حيث ذكرت الصحيفة أن الأقطار الصغيرة ليس في إمكانها المحافظة على كيانها ما لم تتكل وتتحد عسكرياً واقتصادياً[١٠].

وتحت عنوان (هذا بلاغ للناس الدولة السورية الكبرى والاتحاد العربي) واصلت صحيفة العراق، الكشف عن موقفها أكثر تجاه مشروع سوريا الكبرى، حيث نشرت البلاغ الصادر عن الأمير عبد الله والمرسل عن طريق قنصلية الأردن في بغداد، حيث يشير منطوق البلاغ إلى مخاطبة الأقطار العربية عامة وبلاد الشام خاصة، بتلبية الدعوة إلى مشروع وحدة أو اتحاد سوري شامل[١١].

أما صحيفة 'الزمان' التي كانت مؤيدة للمشروع فقد امتدحت المشروع، ووصفته بأنه كان مشرفاً، واستعادة لجهاد ماضي العرب في سبيل حريتهم واستقلالهم، وأضافت الصحيفة أن البلاغ بسط الدعوة للوصول إلى الأهداف القومية[١٢]، وأشارت الصحيفة في عدد سابق إلى جهود الأمير عبد الله، وأوضحت أن البيت الهاشمي دعامة للوحدة العربية[١٣] وفي عدد آخر واصلت الصحيفة تأييدها لمشروع سوريا الكبرى حيث أشارت إلى موقف بريطانيا الداعم لمشاريع الاتحاد- حسب اعتقادها- لأنه يفسح المجال أمام العرب، ليعملوا في حقلهم القومي، وحقل السلام العالمي[١٤].

ووصفت صحيفة 'صوت الأحرار' مشروع سوريا الكبرى، أنه يمثل الخطوة الأولى لجمع الشمل العربي، وبداية الاتحاد المنشود[١٥] وأوضحت بعض الصحف العراقية أن سبب إخفاق المشروع وتراجعه يعود إلى تواطؤ نوري السعيد مع الإنكليز[١٦]. وجعل الجامعة العربية ساحة للتآمر، ووسيلة لإنهاء مشروع سوريا الكبرى الذي هو نواة للوحدة العربية وأن الزمن يحتم تكتل القوى العربية نتيجة زيادة الأخطار الاستعمارية والصهيونية، فالتلاحم العربي يستوجب إقامة كتلة إقليمية لدولة سوريا الكبرى[١٧]. ويعد الأداة لمواجهة الأخطار التي تحيط الأمة العربية، لا سيما الأقطار العربية المجاورة للكيان الصهيوني لأنه يوقف أحلام اليهود[١٨].

وجددت تلك الصحف مباركتها للمشروع عند زيارة الملك عبد الله إلى العراق وتجديد دعوته لقيام دولة واحدة، لوقف محاولات التلاعب، بمقدرات العرب عامة وعروبة فلسطين خاصة[١٩].

لقد عللت الصحافة العراقية المؤيدة لمشروع سوريا الكبرى في بأن سبب إخفاق المشروع هو عرقلة نوري السعيد وتواطؤه مع بريطانيا، والذي أسمته (مندوب بريطانيا) لكون المشروع أصبح يتعارض مع المصالح البريطانية[٢٠].

أما الصحافة العراقية المعارضة لمشروع سوريا الكبرى، فقد تصدت له، ونددت به وهاجمته منذ ولادته ووصفته بأنه استعماريّ، يهدف وبأمهر الطرق إلى ربط العرب بعجلة مصالح بريطانيا، ومن الجدير بالذكر أن الجماهير كانت تنظر إلى مثل هذه المشاريع نظرة تشوبها الريبة والشك وهذا أمر طبيعي، لأن دعاة هذه المشاريع من الحكام المعروفين بولائهم التام لبريطانيا، وقد انعكس ذلك على اتجاهات الفكر القومي العربي وبالتالي على الصحافة القومية التي كانت تمثل مرآة ذلك الفكر.

إن مما لا شك فيه بأن الوحدة تتطلب التضحية ونكران الذات، إلا أن الكثيرين لم يدركوا أن الاستقلال القومي يستوجب التضحية بالاستقلال القطري، وهذا ما لا ينطبق على المشروع الذي نحن بصدده الآن، والذي كانت نزعته هاشمية وليست وحدوية ذات بعد قومي أصيل.

لقد تصدت الصحافة العراقية لمشروع سوريا الكبرى، وعدته من المشاريع الاستعمارية وأن المشروع في رأي تلك الصحف، ولد في ظل الصراع البريطاني- الفرنسي، وأنه يرمي إلى تشتيت جهود العرب، وليس لجمع شملهم وإعلاء كلمتهم[٢١]، ووصفته الصحف بأنه يمثل فجوة وأداة لإثارة النزاعات بين الدول العربية للحيلولة دون تآلفهم

وتآزرهم في أية خطوة وحدوية مرتقبة[٢٢]. وأردفت تلك الصحف قولها بأن مشروع سوريا الكبرى ما هو إلا تخندق محوري لشق صفوف العرب داخل أروقة الجامعة، وذلك لإفشال مهام الجامعة ومحاربة الأقطار المستقلة فيها[٢٣].

أما صحيفة 'صوت الأهالي' فقد أوضحت في أن مشروع سوريا الكبرى، ما هو إلا مشروع بريطاني، لوح به الإنكليز خفية خدمة لمصالحهم، وأن تنصلهم من المشروع وعدم مباركتهم له ما هو إلا مناورة غايتها جعل العرب أداة طيعة للسياسة البريطانية[٢٤].

لقد واصلت الصحف العراقية تنديدها بالمشروع واصفة إياه كونه يشكل نوعا من التوتر وعاملا من عوامل تصدع السلام، إضافة إلى أن المشروع في رأي تلك الصحف، يشكل عقبة أمام مسار الجامعة ومساعيها لتحقيق وحدة الأقطار العربية[٢٥].

وعلقت تلك الصحف في أنه يستهدف غايات خفية مشوهة وغير معلنة، ومنها تحقيق أحلام النفوذ الإنكليزي كبديل للنفوذ الفرنسي في كل المنطقة، وبأساليب جديدة[٢٦].

وواصلت تلك الصحف تصديها للمشروع، واستنكارها له كونه يؤدي إلى جعل السياسة العربية أداة مسخرة وفق ما تمليه عليها مصالح بريطانيا، وسياستها التقليدية في النهب والاستغلال[٢٧].

المصادر والمراجع

(١) توفيق السويدي، مذكرات في نصف قرن من تاريخ العراق وآهمية العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص ص٥٣-٥٨.

(٢) محمد فرج، الأمة العربية على الطريق إلى وحدة الهدف، تاريخ الأمة العربية من الاحتلال العثماني إلى مؤتمر القمة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص٢٢٣.

(٣) المملكة الأردنية الهاشمية، الكتاب الأردني الأبيض، الوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية، عمان، ١٩٤٧، ص ص ٢٠-٢٣، وسنشير إليه فيما بعد بـــ(الكتاب الأردني الأبيض).

(٤) أحمد طرابين، مصدر سابق، ص٢٦٨.

(٥) الكتاب الأردني الأبيض، مصدر سابق، ص ص٦٤-٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ص٣٤٧-٣٥٦، وكذلك ص ص٦٤- ٧٠.

(٧) عبد الله بن الحسين، مذكرات الملك عبد الله، منشورات مجلة الرائد، عمان، ط٢، ١٩٤٧، ص ص٣٥٧- ٣٦٠.

(٨) للمزيد من التفاصيل حول موقف الأقطار العربية من المشروع أنظر: خالدة بلال صالح، دور العراق والأردن في السياسة العربية ١٩٤١ -١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ص١٥٥-١٦٠.

(*) المقصود به كلوب باشا (الملقب أبو حنيك) العسكري البريطاني الذي رافق القوات البريطانية أثناء الحرب وعمل في خدمتها وتولى رئاسة أركان الجيش الأردني حتى أواسط الخمسينات بعد منحه الجنسية الأردنية.

(٩) صحيفة العراق، العدد ٦٣١٧، الصادر في ١٧/شباط/١٩٤٣.

(١٠) المصدر نفسه، العدد ٦٣١٨، الصادر في ١٨/شباط/١٩٤٣.

(١١) المصدر نفسه، العدد ٦٣٢١، الصادر في ٢١/شباط/١٩٤٣.

(١٢) صحيفة الزمان، العدد ١٧٢١، الصادر في ٢٢/نيسان/١٩٤٣.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ١٧١٧، الصادر في ١٩/نيسان/١٩٤٣.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ١٧٣٩، الصادر في ١٠/مايس/١٩٤٣.

(١٥) صحيفة صوت الأحرار، العدد ١٢٩، الصادر في ٢٩/تشرين الثاني/١٩٤٦.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٢٣٦، الصادر في ١١/مايس/١٩٤٧.

(١٧) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ١٦٣، الصادر في ٢٣/ آب/١٩٤٧.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٢٤٠، الصادر في ٦/كانون الثاني/١٩٤٨.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٤١٣، الصادر في ١/تموز/١٩٤٨.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ٤٣٠، الصادر في ١٩/تموز/١٩٤٨.

(٢١) صحيفة الوطن، العدد ٣٧٠، الصادر في ٢٥/نيسان/١٩٤٧.

(٢٢) المصدر نفسه، العدد ٣٦٨، الصادر في ٢٣/نيسان/١٩٤٧.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٣٤٥، الصادر في ٢٧/آذار/١٩٤٧.

(٢٤) صحيفة صوت الأهالي، العدد ١٣٨٧، الصادر في ٢/نيسان/١٩٤٧.

(٢٥) صحيفة صوت السياسة، العدد ٨٨، الصادر في ٣١/آذار/١٩٤٧.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٨٧، الصادر في ٢٩/آذار/١٩٤٧.

(٢٧) المصدر نفسه، العدد ١٤٧، الصادر في ٢٨/أيار/١٩٤٧.

مشروع الجامعة العربية:

إن تعثر المشاريع الهاشمية المطروحة على الساحة العربية خلال هذه الفترة، دفع مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصري، بأخذ زمام المبادرة حيث صرّح في ٣٠ آذار ١٩٤٣، بأن على مصر أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية ترمي إلى تقارب وجهات النظر العربية من خلال مناقشة القادة العرب في مستقبل الوحدة العربية المنشودة(١).

ويبدو من هذا التصريح، أن مصطفى النحاس، قد نصب نفسه داعياً للوحدة العربية لأسباب تبدو شخصية، فقد أراد من ذلك تعزيز مكانته في مصر وهو يخوض معركة التنافس مع القصر الملكي، ومع خصومه السياسيين، فضلاً عن ذلك فإن نظرة حزب الوفد الحاكم إلى الوحدة العربية، اتضح في كونها تتيح لمصر فرصاً أوسع في المجالين العربي والدولي(٢). وعلى هذا الأساس، بدأت الحكومة المصرية منذ منتصف آب ١٩٤٣، بتوجيه الدعوات الرسمية لكل من العراق وسوريا ولبنان والسعودية واليمن، لعقد اجتماع يهدف منه استطلاع آرائهم بشأن الوحدة العربية(٣).

ولقد كشفت المباحثات التي أجراها النحاس مع زعماء الدول العربية المستقلة، تفاوتاً واسعاً في مواقفها بخصوص مفهوم الوحدة العربية، وتبلورت آراؤها واتجاهاتها برفض المشاريع الهاشمية والعدول عن مسألة الوحدة التامة(٤)، ومع ذلك، واصل النحاس دعوته للزعماء العرب للخروج بصيغة كاملة فيما بينهم للوحدة العربية، وقد لبت الأقطار العربية المستقلة هذه الرغبة، فاجتمعت اللجنة التحضيرية في الإسكندرية يوم الاثنين ٢٥ أيلول ١٩٤٤ واستمرت في عملها حتى السابع من تشرين الأول ١٩٤٤(٥).

لقد حاولت كل حكومة عربية خلال المباحثات أن تضع الوحدة العربية في القالب الذي تراه مناسباً لصالحها، وبعد مناقشات مطولة، قدّم النحاس بعد ذلك اقتراحاً يتضمن تأليف جامعة للدول العربية تضم الدول العربية المستقلة، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية، تكون فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة ما تبرمه هذه الدول من الاتفاقيات، أو عقد اجتماعات دورية للنظر في شؤون الدول العربية ومصالحها، وتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية[٦]. وبانتهاء مناقشات اللجنة التحضيرية وضعت اللجنة ما سمي بـ'بروتوكول الإسكندرية' حيث وقعت عليه وفود الأقطار العربية باستثناء وفدي السعودية واليمن في ٣١ تشرين الأول ١٩٤٤، ويعود السبب إلى أن الملك بن سعود كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لإبراز قضية الوحدة العربية إلى عالم الوجود لعدم ملائمة الظروف الراهنة من جهة، ولأن المؤتمر في حالة انعقاده لابد من أن يناقش قضية فلسطين وأن الملك يخشى أن يؤدي ذلك إلى امتعاض المحافل البريطانية، لذلك لم يقدم على إجابة الدعوة وقتذاك[٧]. ومن ذلك يتبين، أن معظم الدول العربية كانت تتجه نحو إنشاء منظمة عربية إقليمية، تقوم على أساس التعاون والتنسيق، وليس على أساس الالتزام بخط سياسي قومي عربي[٨].

لقد وصل مشروع إنشاء الجامعة العربية إلى مراحله الأخيرة، بعد أن اجتمعت اللجنة التحضيرية في السابع عشر من آذار ١٩٤٥ في القاهرة لإقرار ميثاق الجامعة العربية في صيغته النهائية. وتم إقراره في ٢٢/آذار/١٩٤٥، ووقعه مندوبو الدول العربية باستثناء مندوبي اليمن والسعودية، اللذان وقعا عليه بعد مرور عدة أشهر، ولم يمض عام واحد حتى انتهت الحكومات العربية من التصديق عليه وإيداعه لدى الأمانة العامة للجامعة، فأصبح نافذ المفعول منذ ٢٢/أيار/١٩٤٥[٩].

وتضمن ميثاق جامعة الدول العربية بمواده العشرين على أهم ما اتفق عليه مندوبو الدول العربية، وهو الإبقاء على استقلالها الدولي ولها الحق في الانضمام إلى الجامعة أو الانسحاب منها. فضلاً عن ذلك، فقد تضمن الميثاق أهداف الجامعة بالعمل على التعاون المشترك في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلي الدول العربية، مهمته العمل على تحقيق أهدافها، وإنشاء أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين، وعدد كاف من الموظفين، وتكون القاهرة المقر الدائم للجامعة، وينعقد مجلس الجامعة، انعقاداً عادياً مرتين في العام. وقد أكدت المادة الخامسة من الميثاق، على عدم اللجوء إلى القوة لفض المنازعات بين دول الجامعة وضرورة اللجوء إلى المجلس لفض الخلافات[١٠].

وهكذا أضعفت الجامعة العربية، الأحلام العربية في الوحدة العربية التي كان أبناء الشعب العربي ينشدها، لأنها وحدة كيانات عربية وليست وحدة شعب عربي، كما وجهت بالوقت نفسه ضربة لمخططات الاتحاد الهاشمي، وذلك لأنه حال بين أية محاولة يقوم بها العراق أو الأردن لضم سوريا أو الاتحاد معها، إذ أن الجامعة تمثل في الحقيقة أداة لتكريس التجزئة العربية لا أداة وحدة، بالرغم من النتائج الوحدوية التي حققتها في الميادين الثقافية والقانونية والاقتصادية، وذلك لأن ميثاقها نص على عدم المساس بالكيانات العربية وبوجودها وأوضاعها[١١].

ويمكن أن تعزى مباركة الصحف العراقية بقيام الجامعة عند تأسيسها، كونها تشكل خطوة أو مرحلة من مراحل قيام الوحدة العربية، ولذلك أكدت الصحف المساندة لتأسيس الجامعة ضرورة دعمها، ودعم تجربتها، على أن ذلك الدعم والإسناد لم يستمر ردحاً من الزمن، إذ سرعان ما اختلف موقف تلك الصحف من الجامعة نتيجة إخفاقها وفشلها في أداء رسالتها القومية.

ويتضح من خلال المقالات الافتتاحية أو الأعمدة الثابتة، التي نشرتها أغلب الصحف المساندة للجامعة ومنها صحيفة صوت الأهالي الترحيب بولادة الجامعة، مشيدة بميثاقها، الذي يعتبر الحجر الأساس في إرساء أواصر التعاون العربي، وناشدت الصحيفة من خلال مقالها الافتتاحي المعنون (الحجر الأول لبناء الاتحاد المنشود)، الجامعة العربية ودعت لتطوير بنائها القومي، لتحقيق أهدافها في تجسيد آمال الشعب العربي(١٢).

إلا أن موقف صحيفة صوت الأهالي سرعان ما انقلب من موقف التأييد والمساندة إلى موقف التنديد والتصدي للجامعة، وكما نوهنا آنفاً، وذلك بسبب فشل الجامعة العربية في معالجة القضايا المصيرية حيث نددت الصحيفة بالجامعة، ولجنتها السياسية لتجردها من الصراحة والشدة، إزاء القضايا القومية، وواصلت الصحيفة تنديدها بالجامعة نتيجة موقفها من قضية فلسطين عام ١٩٤٨، وفشلها الذريع دبلوماسياً بموافقتها على قرار وقف إطلاق النار، إضافة إلى عدم تحرك لجنتها السياسية في رأي الصحيفة (التحرك)، الذي يوازي دورها ومسؤوليتها في إسناد مشروع التقسيم، وكذلك إخفاؤها حقيقة الوضع في فلسطين، واستغفال العرب في عدم إطلاعهم على الحقائق(١٣).

وفي عدد آخر واصلت الصحيفة تصديها للجامعة، لعدم محاولتها الاتصال بالهيئات الشعبية والأحزاب في الوطن العربي، إضافة إلى قصورها الدبلوماسي في عدم استثمار الاختلاف بين الدول الكبرى فيما بينها لصالح القضية الفلسطينية، وأفصحت عن موقفها الذي اتسم بالاستياء من الجامعة العربية لافتقارها إلى الوسائل الإعلامية والدعائية لصالح المهام القومية للشعب العربي في العالم(١٤).

أما صحيفة صوت الأحرار فقد اتسم موقفها بالتحفظ تجاه الجامعة، أبرزت دعوة الحكومة العراقية إلى مجلس النواب والأعيان وممثلي الأحزاب وجمعية الدفاع عن فلسطين للتداول معهم،

والاستنارة بآرائهم بصدد التعليمات والتوصيات التي تم الاتفاق عليها، لطرحها في اجتماعات الجامعة العربية[١٥]. وواصلت صحيفة صوت الأحرار موقفها في التحفظ إزاء الجامعة، حيث أشارت إلى اجتماع ملوك العرب وتناولهم قضايا تتعلق بالأقطار العربية عامة وقضية فلسطين بوجه خاص[١٦].

ورأت صحيفة الوطن الذي اتسم موقفها بالتعاطف مع الجامعة، حيث وصفتها بأنها الإطار المناسب للعمل القومي الوحدوي، وأهابت الصحيفة بالالتفاف حولها والتحرك من خلالها لتحقيق أهداف الشعب العربي[١٧]. وأشادت الصحيفة في عدد آخر بالجامعة، في بث روح التعاون والنشاط وإرساء صيغ التآلف في بنود ومواد ميثاقها[١٨]. لتظهر الجامعة بالمستوى الذي راود حلم الجماهير العربية لمؤسسة تجمع الدول العربية، على أن تكون الساعد الأيمن لتلك الجماهير في التحرر من ربقة الاستعمار[١٩].

أما صحيفة الرأي العام فقد تمنت أن تكون الجامعة العربية شعبية[٢٠]. وفي عدد آخر طالبت بعقد مؤتمر شعبي، باعتباره يشكل ضرورة ملحة بعد إخفاق الجامعة في أداء مهامها وخيبة الأمال فيها[٢١].

وشاطرت صحيفة لواء الاستقلال قرينتها صحيفة الرأي العام في موقفها من الجامعة، حيث اقترحت تأسيس جامعة شعبية إلى جانب الجامعة العربية، لرسم سياسة قومية وفق ما تمليه مصالح الأمة العربية وطموحاتها ليتسنى للشعب العربي إسماع صوته، وتمثيل رأيه بواسطة هذه الجامعة الشعبية[٢٢].

وفي عدد آخر نددت الصحيفة بالحكومات العربية والجامعة العربية، حيث استشفت تلك الصحف موقفها تجاه الجامعة، تجاه الجامعة، في أن الجامعة تستلهم قوتها وأداء دورها من قوة أعضائها الممثلة بالحكومات العربية، وأفصحت الصحيفة عن رأيها بأن

الحكومات بتخاذل جامعتها إنما تنبهّ الشعب العربي على ضرورة العمل للتخلص من حكامه، الذين انساقوا وراء أهوائهم، وأغراضهم وأنانيتهم، التي لا تزال تعصف بمصالح الأمة العربية وتسبب لها التقهقر والخذلان(٢٣).

لقد أدت الجامعة العربية منذ عام ١٩٤٥ مهمة مزدوجة بالمحافظة على التجزئة الراهنة، ومجاراة الأوضاع الداخلية الرجعية، فلم تكن الجامعة منظمة وحدوية، كما لم يكن ميثاقها عاملاً وحدوياً، إنما كانت انعكاساً للواقع العربي، الرسمي، وبهذا فإن الحكومات العربية وقت إصدار الميثاق كانت تعيش جواً نفسياً يكاد يكون مناقضاً للجو الذي يعيشه الشعب العربي(٢٤).

لقد اتسم موقف الصحافة العراقية بالاستياء والتصدي للجامعة العربية، فقد طالبت صحيفة الزمان بإعادة النظر في ميثاق الجامعة، بعد أن انكشف تخاذلها وزيفها، وناشدت الصحيفة الأقطار العربية للتعاون في حل مشاكلها(٢٥).

وفي عدد آخر حذرت الصحيفة من دسائس المستعمرين واليهود، الرجعية لزعزعة كيان الجامعة، إضافة إلى انحراف بعض دولها، وتمسك رؤسائها بمبدأ تحقيق مآربهم الخاصة، وأردفت الصحيفة قولها بأن ذلك أودى بكيان الجامعة، وتسببها في أفدح البلايا، وأشد النكبات وأنها لا تعبر بأي وجه من الوجوه عن أماني الشعب العربي(٢٦).

وعلى أية حال فإن جميع الأوساط الشعبية في الوطن العربي قد أيدت الجامعة العربية كونها تشكل خطوة أو مرحلة لتحقيق الاتحاد العربي، كما انتقدت جميعها الجامعة لعدم اتصالها بالأحزاب والمنظمات القومية والوطنية، لتجاوز العراقيل والصعوبات التي تعتريها.

المصادر والمراجع

(١) أحمد طربين، مصدر سابق، ص ص٢٣٥-٢٣٦، وكذلك علي المحافظة، النشأة التاريخية للجامعة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤١)، تموز ١٩٨٢، ص ص٧٧-٧٨.

(٢) علي المحافظة، مصدر سابق، ص٧٨.

(٣) جهاد مجيد محيى الدين، العراق والسياسة العربية ١٩٤١-١٩٥٨، البصرة، ١٩٨٠، ص٨٨.

(٤) سيد نوفل، العمل العربي المشترك ماضيه ومستقبله، الكتاب الأول، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص٤٧-٤٨.

(٥) أحمد طربين، المصدر سابق، ص٢٦٩، وكذلك علي المحافظة، المصدر نفسه، ص٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٢٩، وكذلك علي المحافظة، مصدر سابق، ص٨١.

(٧) د. ك. و.: تسلسل الملف ٦٨٠ ع، رقم الملف ٦/٤/٦، راجع كتابي وزارة الخارجية العراقية إلى سكرتارية مجلس الوزراء المؤرخين في ٨/٢٣ و١٦/لعام ١٩٤٤، و١٦-١٨.

(٨) علي المحافظة، مصدر سابق، ص ص٨١-٨٢.

(٩) المصدر نفسه، ص٨٤.

(١٠) أحمد عبد القادر الجمال، من مشكلات الشرق الأوسط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٥، ص ص٤٢١-٤٢٦.

(١١) خيري حماد، الوحدة في المفهوم الاشتراكي، القاهرة، د. ث، ص١٧٩.

(١٢) صحيفة صوت الأهالي، العدد ١٣٣٢، الصادر في ١٦/شباط/١٩٤٦.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ١٥٧١، الصادر في ٢٦/تموز/١٩٤٨.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ١٥٧٥، الصادر في ٣٠/تموز/١٩٤٨.

(١٥) صحيفة صوت الأحرار، العدد ١٦، الصادر في ٤/ أيار/١٩٤٦.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ١٦، الصادر في ٨/ أيار/١٩٤٦.

(١٧) صحيفة الوطن، العدد ٩٣، الصادر في ٢٩/آذار/١٩٤٦.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٩٧، الصادر في ٣/نيسان/١٩٤٦.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٣٤١، الصادر في ٢١/آذار/١٩٤٧.

(٢٠) صحيفة الرأي العام، العدد بلا، الصادر في ١٨/نيسان/١٩٤٦.

(٢١) المصدر نفسه، العدد بلا، الصادر في ١٧/نيسان/١٩٤٦.

(٢٢) صحيفة لواء الاستقلال، العدد بلا، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٤٦.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ١٦٢٩، الصادر في ١٨/تموز/١٩٥٢.

(٢٤) خضير حسن سلمان، موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من جامعة الدول العربية ١٩٤٥/١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية كجزء من متطلبات درجة الماجستير في الدراسات القومية والاشتراكية الدراسات التاريخية بغداد ١٩٨٨، ص ص١٥٨-١٥٩.

(٢٥) صحيفة الزمان، العدد ٣٧١٧، الصادر في ٤/كانون الثاني/١٩٥٥.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٣٧٨٨، الصادر في ٢٨/آذار/١٩٥٠.

المشاريع الوحدوية بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥-١٩٥٨، وانعكاساتها في الصحافة العراقية:

شهدت الفترة الممتدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٨، العديد من المشاريع والمحاولات العربية لتحقيق الوحدة العربية. وللبحث في تلك المشاريع يمكننا أن نقسمها وفق التسلسل الزمني إلى ما يأتي:

١- محاولات العراق لتحقيق الوحدة العراقية- السورية وانبثاق مشروع الضمان الجماعي.

إن فشل الدول العربية في الحيلولة دون قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨، كان دليلاً على إخفاق نظام الجامعة العربية في توحيد خطط الحكومات، العسكرية والسياسية، والاقتصادية وتعاونها في هذه المجالات، تعاوناً صادقاً ومجدياً، فأخذت الأصوات ترتفع من كل ناحية بوجوب تطوير الجامعة إلى نظام اتحادي، فقد بدأت سوريا والعراق عام ١٩٤٩، حركة ترمي إلى إقامة اتحاد بينهما في الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية، وقد ساند هذه الحركة كثير من المخلصين من رجال الحركة القومية العربية، لأنها كانت تعبيراً عن قوة الشعور العام بضرورة الوحدة ما أمكن إليها من سبيل، وبعمق الشعور بالضرر الذي حل في البلاد والأمة العربية من تأخر تحقيقها[١].

أدى نجاح الانقلاب السوري الذي قاده حسني الزعيم، رئيس أركان الجيش السوري في ٣٠ آذار ١٩٤١، بالقيادة العراقية للتحرك بسرعة، وتقديم يد المساعدة والتعاون مع قادة الانقلاب، في الظروف التي كانت فيه سوريا تمر بها تجاه الخطر الصهيوني واعتداءاته، ويعد البعض من السياسيين أن توقيع الهدنة السورية- 'الإسرائيلية' كانت إحدى أسباب انقلاب حسني الزعيم[٢]، وبرغم الترحيب السوري بهذه

المبادرة، إلا أنها رفضت الالتزام بشـيء[٣]، وفـي الوقـت نفسـه، استطاع العراقيون جس نبض الموقف السوري تجاه الوحدة مع العراق من خلال ما طرحه وزير دفاعها، الأمير عادل أرسلان. معُلناً بأن الوحدة مع العراق على أساس الاستقلال الذاتي لكل إقليم واستثناء شرقي الأردن، هي رغبة الرأي العام في سوريا[٤].

فقد رحبت الحكومة العراقية بهذه الدعوة ترحيباً مشوباً بالحذر، لتخوفها من تدخل الدول العربية المعارضة للتطلعات الوحدوية الهاشمية، وقد أدى هذا الخوف بالحكومة العراقية إلى فشلها في استقطاب حسنى الزعيم إلى صفها، ليبادر من جانبه في طلب الوحدة مع العراق. وفي الحقيقة أن فشل الحكومة العراقية وترددها في الإسراع بتلبية طلب حسني الزعيم بالتوقيع على اتفاقية دفاعية مع سوريا[٥]، في الوقت الذي هو بحاجة ماسة إليه لدعم نظامه ولدرء الخطر الصهيوني القريب من بلاده، كل ذلك قد جعل من قائد الانقلاب السوري، التحرك والاستجابة للمقترحات السعودية المصرية، لدعم موقف سوريا، السياسي والعسكري مقابل التعهد بالمحافظة على الاستقلال السوري من المطامح الهاشمية، ففي (٢ نيسان ١٩٤٩) توجه حسني الزعيم إلى القاهرة، سراً واجتمع بالمسؤولين المصريين، وبعد عودته من تلك الزيارة، شن هجوماً عنيفاً على كل من العراق والأردن في خطاب ألقاه في ٢٦ نيسان، جاء فيه:

'لقد كانت رحلتي إلى القاهرة مفاجأة غير سارة للأردن، فقد اعتقد سادة عمان وبغداد أنني أكاد أقدم إليهم تاج سوريا على طبق من فضة، ولكن خاب فألهم، فالجمهورية السورية لا تريد سوريا الكبرى ولا الهلال الخصيب، وسوف نوجه قواتنا ضد هذين المشروعين اللذين أوصى بهما الأجنبي'[٦].

لم يدم حكم الزعيم طويلاً، ففي ١٤ آب ١٩٤٩ حدث انقلاب آخر بقيادة سامي الحناوي[٧]، وقد رحب العراق بهذا الانقلاب

الجديد[٨] ولقد وضعت القوى السياسية السورية المؤيدة للوحدة، أمامها النتائج التي ترتبت على المماطلة والحذر الكبير، الذي اتسمت به المفاوضات مع العراق خلال الأسابيع الأولى من حكم حسني الزعيم، فبادرت إلى تحريك القضية مجدداً، ونجحت في حمل الحكومة السورية على تشكيل وفد مفاوض برئاسة هاشم الأتاسي، توجه إلى بغداد لكي يتعرف، من خلال مباحثات تمهيدية على حقيقة الموقف العراقي من جهة، وليعرض أمام المسؤولين العراقيين وجهة النظر السورية بشأن الوحدة، من جهة أخرى[٩].

ومع كل ما دار من محادثات تمهيدية حول الوحدة بين البلدين، لم تستطع القوى القومية المؤيدة للوحدة، على الرغم من فوزها بأكثرية مقاعد البرلمان السوري، من تحقيق الوحدة أو الاتحاد مع العراق لنفس الحجج التي أثارتها القوى المعارضة للوحدة مع العراق مراراً، والتي تمثلت بعدم الميل إلى التضحية بالنظام الجمهوري، والخوف من اتساع بنود المعاهدة العراقية-البريطانية فتشتمل سوريا في سياق هذه العملية[١٠].

وعلى كل حال، فقد وضع العقيد أديب الشيشكلي، حداً لتلك المحاولات الوحدوية الثنائية، التي كانت تجرى بين العراق وسوريا، بعد أن قام بانقلابه في ١٩ كانون الأول عام ١٩٤٩[١١] وبذلك وجه ضربة لحكام العراق الذين أدركوا صعوبة قيام أي وحدة تضم العراق وسوريا في ظل النظام السوري الجديد، مما دفعهم إلى تبني أسلوب بديل يركن إلى القوة واحتضان الفئات السياسية والعسكرية، السورية المعارضة، والتعاون معها لإحداث تغير جذري في اتجاهات السياسة السورية الجديدة[١٢].

كان المصريون ومن ورائهم السعوديون، يقفون ضد أي مشروع، الغرض منه تقوية العائلة الهاشمية، ولذلك فإنهم لم ينفكوا في وضع العراقيل أمام أي تقدم تحرزه المفاوضات العراقية السورية اتجاه الوحدة، ولهذا ما أن أوشكت حكومة سامي الحناوي من التوصل إلى اتفاق مع العراق لتحقيق الوحدة بين القطرين، حتى قابلته مصر

باقتراح إقامة حلف الضمان الجماعي العربي، ليكون بديلاً لسوريا عن اتحادها الثنائي مع العراق، من أجل ضمان دفاعها العسكري[١٣].

ومن خلال الدراسة والاستقصاء التاريخي يبدو للباحث أن خلفية الصراع بين السعوديين والهاشميين هو صراع مصالح وليس صراع مبادئ عربية قومية ويبدو في الأفق أنه صراع قبلي عشائري للسيطرة على نجد والحجاز ثم ألبسه بعض القوميين إن صح التعبير لباساً سياسياً وهو ليس كذلك... إنه صراع سيطرة قوة نامية صاعدة على أخرى لتحل محلها ويبقى السؤال: أي الفريقين عزز مصالح الغرب في المنطقة العربية السعوديون أم الأشراف؟

وقد وقفت أغلب الصحف العراقية موقفاً إيجابياً من الاتحاد السوري- العراقي، إلا أن تلك الإيجابية لم تكن في درجة من الحماس والاندفاع، فصحيفة لواء الاستقلال لسان حال حزب الاستقلال ترى أنه، إذا كانت العوامل الكثيرة الطارئة قد حالت وما تزال تحول دون اجتماع أبناء الأمة الواحدة في وطنهم، فعلى الأقل توحيد ما يمكن توحيده من أجزاء الوطن العربي وضم القطرين العربيين- سوريا والعراق كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة[١٤]، وأبرزت صحيفة لواء الاستقلال تصريحاً للمراسل السياسي لوكالة رويتر في لندن علق فيه ومشيراً إلى أن السياسة التي تتبعها بريطانيا حيال أي مشروع اتحادي بين العراق وسوريا، يقوم على مبدأ عدم التدخل بشكل جازم في هذا الأمر، فلا مجال لمحاولة تشجيع مثل هذا الاتحاد، ولا الوقوف بوجهه[١٥].

وتحت عنوان (الاتحاد) نددت الصحيفة المذكورة بالصهيونية، والتي تعد عقبة كئداء في طريق أي خطوة وحدوية أو اتحادية بين العراق وسوريا، وليس ثمة شك بأن الشعب السوري يعتبر أكثر أبناء الأمة العربية وعياً وأعرقهم إيماناً بتوحيد كلمة الأمة[١٦]، ونقلاً عن مراسل وكالة الصحافة الفرنسية، أوردت صحيفة لواء الاستقلال نبأ

مفاده، أن مصدراً أمريكياً مطلعاً ذكر بأن الولايات المتحدة ستلتزم الحياد تجاه كل حركة ترمي إلى اتحاد العراق وسوريا[١٧].

إن فكرة الوحدة أو الاتحاد ليست جديدة في الأوساط السورية، خاصة بينها وبين العراق، كما أشار إلى ذلك (ميشيل عفلق أمين حزب البعث ووزير المعارف في سوريا)، وأن حزب الشعب وحزب البعث وحركة القوميين العرب من دعاة هذا الاتجاه[١٨] ولا يقتصر الأمر على السياسيين السوريين بل تعداه إلى السياسيين العراقيين، حيث ذكر ياسين الهاشمي، أن مسألة الاتحاد العراقي السوري كانت فكرة سورية بحتة، جالت في أذهان رجال سوريا المسؤولين وغير المسؤولين، بعد أن أدركوا الخطر المحدق بالبلاد- كما رحب العراق من جانبه بهذه الرغبة حرصاً منه على سلامة سوريا خشية إعادتها إلى السيطرة الاستعمارية ثانية[١٩].

وأشارت صحيفة لواء الاستقلال إلى استقرار الشعور في أذهان أبناء الوطن العربي بضرورة العمل لتوحيد هذه الأجزاء من الوطن العربي، والتخلص من تباعد الدول العربية وتقوية أواصر التقارب بينها عن طريق الاتحاد لتصبح نواة للدولة العربية الواحدة[٢٠].

إن فكرة الاتحاد في رأي الصحيفة عادت إلى الوجود، بعد أن فرضت التجزئة من قبل الاستعمار فرضاً حتى ظهرت أضرار هذه التجزئة، وأردفت الصحيفة قولها في أن الإنكليز لو وفوا بعهودهم للملك الصلب المغفور له الحسين لكانت هناك دولة عربية واحدة تشمل فلسطين[٢١].

لقد واصلت صحيفة لواء الاستقلال دعوتها للاتحاد، كونه يمثل قضية عادلة ولا مفر منه، ووصفت الصحيفة الاتحاد بأنه حصن منيع، يذود عن الوطن من الاعتداء الخارجي، ويسهل تحشيد القوى وتعبئة الموارد واستئناف الجهاد القدسي لإنقاذ فلسطين، وفي عمود أخر وتحت عنوان (رئاسة جمهورية أم وحدة شعب) استعرضت صحيفة لواء الاستقلال أوضاع سوريا التي لعبت فيها الآراء والأهواء والأيادي

الأجنبية، إضافة إلى المشاحنات العربية التي كان لها الدور المقيت في تردي الأوضاع داخل سوريا[٢٢].

وأشارت الصحيفة إلى استنتاج مفاده، أن مساعي الكيان الصهيوني وفرنسا لم تكن لتنجح في معاكسة مشروع الاتحاد وحمل الإنكليز والأمريكيين على التراجع لموقفيهما الصريح والاعتقاد بالتمسك به ظاهراً فقط لولا عرض مشروع الضمان الجماعي[٢٣].

وعلى أثر فشل المساعي التي بذلت لأجل تحقيق الاتحاد المنشود بين العراق وسوريا، فقد شددت صحيفة لواء الاستقلال من موقفها بالتصدي لوزارة نوري السعيد، وتحميلها مسؤولية فشل فرصة اتحاد القطرين[٢٤].

إن موقف صحيفة لواء الاستقلال موقف طبيعي تجاه مشروع الاتحاد السوري العراقي، باعتبارها لسان حال حزب الاستقلال والناطقة باسمه، والذي يعتبر أحد طرفي الدعوة لهذا الاتحاد.

لقد واصلت صحيفة لواء الاستقلال تنديدها بالوزارة السعيدية، كونها في رأي الصحيفة السبب في تردى العلاقات العربية، وممارسة الألاعيب السياسية ووضع العراقيل أمام أية خطوة وحدوية، ومنها عدم إكمال مشروع الاتحاد العراقي السوري[٢٥].

أما بصدد صحيفة الأهالي وموقفها تجاه مشروع الاتحاد السوري العراقي، فكانت ترى أن المشروع سيؤدي إلى رفع المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي للقطرين، وفي الوقت نفسه حذرت الصحيفة من ممارسة سياسة الاستفزاز للبلاد العربية، من قبل الاتحاد السوري العراقي[٢٦].

إن تأييد صحيفة الأهالي لمشروع الاتحاد العراقي السوري كان مقترناً بترحيبها بمشروع الضمان الجماعي، وأوجبت الصحيفة في رأيها على أن مشروع الضمان لا يتعارض مع اتحاد العراق وسوريا، وأي مشروع يرمي إلى التقارب والتواصل بين أقطار الدول العربية[٢٧].

ويصدد موقف صحيفة الاتحاد الدستوري إزاء مشروع الاتحاد السوري العراقي، فقد اتسم ظاهرياً بالتأييد، وأضحت الصحيفة عن رأيها بقولها بأن المشروع كان أحد أهداف الساسة العراقيين منذ عهد فيصل الأول[٢٨]، وكانت الصحيفة قد نددت بالحكومة المصرية، ودعت إلى إيقاف الاتهامات ضد الاتحاد، وأن انتهاج السياسة المصرية تجاه الاتحاد لا تمثل الشعب المصري التواق للوحدة، وأدانت موقف الحكومة المصرية حيال الاتحاد السوري العراقي، وأن هذا الموقف في رأي صحيفة الاتحاد الدستوري لا يخدم سوى الصهيونية والنزعة الإقليمية[٢٩].

وفيما يتعلق بموقف صحيفة الأمة، فأن موقفها لم يكن إيجابياً من الاتحاد السوري العراقي واكتنفه الغموض والمراوغة، وليس لدينا الحجة في تبرير ذلك سوى احتمال أن تكون هناك خلافات في وجهات النظر بين صالح جبر رئيس حزب الأمة، وبين أطراف سياسية أخرى لها شأن ورأى في الاتحاد السوري العراقي، باعتبار أن صحيفة الأمة الناطقة باسم حزب الأمة الذي له ارتباطات معينة مع فرع الأسرة الهاشمية في الأردن، وقد اتضح ذلك من خلال اندفاع الصحيفة غير المبرر وتحمسها في دعوتها نحو اتحاد العراق مع شرق الأردن، ومنحه الأرجحية على الاتحاد العراقي السوري، حيث طالبت في اتحاد العراق مع شرق الأردن كونه في رأي الصحيفة أساساً للاتحاد الشامل، وناشدت الصحيفة بالإسراع والسعي في تحقيقه، مؤكدة ضرورة انضمام سوريا إلى هذا الاتحاد بعد إعلانه ليتحقق بذلك اتحاد ثلاثي يضم العراق والأردن وسوريا[٣٠].

لقد أبدت الصحيفة من خلال موقفها الحيطة والتوجس من التقارب السوري العراقي، في سياق وحدوي وعلى شكل اتحاد بين القطرين[٣١]. وفندت صحيفة الأمة هذا الموقف، لوجود معارضة مصرية سعودية تجاه الاتحاد السوري العراقي[٣٢].

المصادر والمراجع

(١) محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ص١٣١.

(٢) أكرم الحوراني، (مذكرات)، العرب اليوم (صحيفة)، عمان، ١٩٩٧/٧/١٤، وكذلك نذير فنصة، آيام حسني الزعيم (١٣٧) يوماً هزت سوريا، دمشق، ط٢، ١٩٩٣.

(٣) محمد فاضل الجمالي، من واقع السياسة العراقية، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٦، ص ص١٧-١٨.

(٤) باتريك سيل، الصراع على سوريا، دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٨، ترجمة سمير عبدة – محمود فلاحة، دار الأندلس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، د.ت، ص٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ص٨١-٨٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ص٨٣-٨٥.

(٧) عن هذا الانقلاب راجع: وليد المعلم، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨، التحدي والمواجهة، دمشق، ١٩٨٥، ص ص١١٧-١٣١.

(٨) فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٣، ص ص٤٢٩-٤٣٠.

(٩) غانم محمد صالح، مصدر سابق، ص ص١٩٥-١٩٦.

(١٠) للمزيد من التفاصيل انظر: المصدر نفسه، ص ص١٩٦-٢٠٠.

(١١) للتفصيل عن انقلاب أديب الشيشكلي راجع: مذكرات أكرم الحوراني، العرب اليوم (صحيفة)، عمان، ١٩/تموز/١٩٩٧.

(١٢)غانم محمد صالح، مصدر سابق، ص ص٢٠٤-٢٠٧.

(١٣) للتفصيل عن هذا الموضوع راجع: مذكرات أكرم الحوراني، المصدر السابق، العدد نفسه، وكذلك صلاح العقاد، المشرق العربي١٩٤٥-١٩٥٨، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص١١٥.

(١٤) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ٧٩٦، الصادر في ١٢/تشرين الأول/١٩٤٩.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ٨٠٠، الصادر في ١٦/تشرين الأول/١٩٤٩.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٨٠١، الصادر في ١٧/تشرين الأول/١٩٤٩.

(١٧) المصدر نفسه، العدد ٨٠٩ الصادر في ٢٥/تشرين الأول/١٩٤٩.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٨١٢، الصادر في ٢٨/تشرين الأول/١٩٤٩.

(١٩) صحيفة الزمان، العدد ٣٨١٢، الصادر في ٣٠/ آب/١٩٥٥.

(٢٠) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ٦١٩، الصادر في ٦/آذار/١٩٤٩.

(٢١) المصدر نفسه، العدد ٥٩٤، الصادر في ٤/شباط/١٩٤٩.

(٢٢) المصدر نفسه، العدد ٨٢٩، الصادر في ٢٠/تشرين الثاني/١٩٤٩.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٨٣٠، الصادر في ٢١/تشرين الثاني/١٩٤٩.

(٢٤) المصدر نفسه، العدد ٧٢٥، الصادر في ١٢/تموز/١٩٤٩.

(٢٥) المصدر نفسه، العدد ٧٢٦، الصادر في ١٣/تموز/١٩٤٩.

(٢٦) صحيفة صدى الأهالي، العدد ١٦، الصادر في ١٠/تشرين الأول/١٩٤١.

(٢٧) المصدر نفسه، العدد ٣٥، الصادر في ١/تشرين الثاني/١٩٤٩.

(٢٨) صحيفة الاتحاد الدستوري، العدد ٣٢٤، الصادر في ١٥/أيار/١٩٥١.

(٢٩) المصدر نفسه، العدد ١٠٨، الصادر في ١/مايس/١٩٤١.

(٣٠) صحيفة الأمة، العدد ٣١٧، الصادر في ٢١/آذار/١٩٥٠.

(٣١) المصدر نفسه، العدد ٨٢٠، الصادر في ٣١/تموز/١٩٥٠.

(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٢٦٢، الصادر في ٢٤/تشرين الثاني/١٩٥٠.

١- مشروع الضمان الجماعي:

قدمت مصر، اقتراحاً لإقامة 'معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي' خلال اجتماعات مجلس الجامعة العربية في دورته العادية الحادية عشرة المنعقدة في ١٧- ٣٠ تشرين أول ١٩٤٩. واستند الاقتراح المصري، على التعهد بمساندة جماعية لأي عضو يواجه عدواً خارجياً، واشترط وجوب التشاور في حالة أي تهديد خارجي وتنسيق ودعم القوات المسلحة[١].

وعلى الرغم من تقديم بعض الدول العربية ومنها العراق، وبعض المشاريع المقترحة للضمان الجماعي، إلا أن اللجنة التحضيرية التي شكلتها الجامعة، أقرت اتخاذ المشروع المصري أساساً لبحثها في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٩. وبررت ذلك في كون المشروع المصري أكثر شمولاً من المشروعات الأخرى في كثير من الأمور، وخاصة تأكيده على إيجاد قيادة عسكرية واحدة ذات اختصاصات واسعة تعمل على توحيد الخطط والأسلحة والأنظمة العسكرية العربية. بالإضافة إلى طريقة حل النزاع الذي قد ينشب بين إحدى دول الجامعة وبين دول أجنبية بالطرق السلمية والتشاور عند تعرض الدول الأعضاء للخطر واتخاذ تدابير الدفاع الضرورية. وكذلك أقر المشروع المصري بأن أي اعتداء مسلح على إحدى الدول الأعضاء، هو اعتداء على باقي الأعضاء ورفض المشروع عقد أي اتفاق دولي يناقض هذا التحالف ويعرض سلامة إحدى الدول الأعضاء ومصالحها للخطر[٢].

وبعد أن أنجزت كافة اللجان التي تشكلت لمناقشة المشروع، تم التوقيع على المعاهدة في ١٧ حزيران ١٩٥٠ بالإسكندرية من قبل أعضاء الجامعة العربية باستثناء العراق الذي لم يوقع الاتفاقية في الموعد المحدد بل وقعها في الثاني من شباط ١٩٥١[٣].

وهكذا ولدت معاهدة الضمان الجماعي، في جو يسوده الخلاف بين الأطراف العربية المعنية، وعلى الرغم من موافقة أعضاء الجامعة

العربية عليه، لكن المحادثات التي جرت حول الموضوع كشفت عن وجهات نظر مختلفة إزاء الضمان، تطلبت بعد ذلك إجراء الكثير من التعديلات على الميثاق في السنوات التالية[٤].

لقد اتصف موقف الصحافة العراقية تجاه مشروع الضمان الجماعي الذي اقترحته مصر وبخاصة الصحف الحكومية والمستقلة المحسوبة على السلطة، بالتحفظ واكتفت هذه الصحف بنشر ما تناقلته الوكالات والصحف العربية وشبكات الإرسال الأجنبية من مواقف وتصريحات بصدد المشروع، مع الإشارة إلى المشروع والإشادة بمقترحات الوفد العراقي لتعديل مشروع الضمان الجماعي، وخاصة فيما يتعلق بالترتيبات العسكرية وحماية الأمن القومي العربي.

وتعد صحيفتنا الزمان والاتحاد الدستوري السعيدية، أفضل عينة أو نموذج لموقف بعض الصحف العراقية من المشروع المذكور.

أما الصحف الأخرى، وبخاصة ذات الاتجاه القومي، فقد نددت بالمشروع الذي ما كان يراد به إلا تكتل محوري يستهدف إحباط تحقيق مشروع الاتحاد السوري- العراقي، وقد واصلت الصحف القومية حملتها على هذا المشروع، حيث تجلى موقف صحيفة اليقظة من مشروع الضمان الجماعي، الذي طرحته مصر ووصفته بأنه مشروع يكتنفه الغموض.

وناشدت صحيفة اليقظة، العرب (تجنب تكرار الأخطاء السابقة التي تسببت في ضياع فلسطين) وأخذ العبر من الماضي وإظهار حسن النية، ومعالجة الأمور بروح تعاونية هادفة مشفوعة بالإخلاص في التنفيذ والتفاني في العمل، فليست العبرة بطرح المشاريع والمواثيق والتكتلات المحورية، بل التضامن الحقيقي وتحقيق الأماني القومية[٥]، وعبرت الصحيفة عن موقفها تجاه المشروع بصورة أوضح، حيث اعتبرت هذا المشروع ليس إلا صيغة بديلة للاتحاد السوري- العراقي الذي أعدته القوى المنافسة والمناوئة داخل أروقة الجامعة.

ونددت صحيفة اليقظة بالحكومات التي وقفت ضد اتحاد سوريا والعراق، مستنكرة الممارسات المشبوهة داخل الجامعة العربية

في ظل النشاطات والألاعيب الخفية القائمة على التكتل والتخندق، وعبرت الصحيفة عن موقفها بدعوتها للجامعة بالتواري عن الساحة السياسية غير مأسوف عليها[٦].

لقد تباين موقف الصحف العراقية ما بين التصدي لمشروع الضمان الجماعي والترحيب به، حيث تعد صحيفتا لواء الاستقلال وصوت الأهالي، نموذجاً لهذا الموقف، فقد تعاطفت صحيفة لواء الاستقلال في موقفها مع صحيفة اليقظة ضد المشروع، ووصفته بأنه مجرد بؤرة محورية يراد بها صيغة بديلة تستهدف الإجهاز على اتحاد القطرين السوري والعراقي، مما يؤدي بالتمسك بسياسة الخنوع، والتخاذل[٧]، وأضافت الصحيفة في عدد آخر أن مشروع الضمان الجماعي يعوض بريطانيا بمعاهدتيها مع مصر والعراق، ويطمئن مصالح فرنسا و(إسرائيل) ويرضي الدول الخمس المعارضة للاتحاد السوري العراقي[٨]، ورغم ما أوجسته الصحيفة من خيفة فقد دعت الحكومة العراقية لدعمه، وإسناد حكومتي سوريا ومصر لتنفيذه ووضعه موضع التطبيق ما دام فيه دعم لقوة العرب وتوحيد كلمتهم[٩]. وأفصحت الصحيفة في عدد آخر عن رأيها بقولها أن حالة الأمة العربية تحتاج إلى تعاون أقوى، أو أوثق من مشروع الضمان الجماعي بحيث، يؤدي إلى حماية الدول العربية من الأخطار المحيطة بها، وأن حالة العرب في رأي الصحيفة تحتاج إلى التعاون الهادف، الأفضل من مشروع الضمان الجماعي[١٠].

فيما رحبت صحيفة صوت الأهالي بالمشروع ترحيباً مشوباً بالتحفظ، واشترطت الصحيفة لدعم مشروع الضمان أن لا يكون سبباً في ربط الأقطار العربية بعجلة التكتلات الدولية والإقليمية[١١].

أما صحيفة الزمان فكانت ترى أن مقترحات الوفد العراقي الهادفة إلى تعديل مشروع الضمان الجماعي هي التي شجعت مناقشته، ولذلك كان موقف الصحيفة إيجابياً فيما يخص تلك

المقترحات، والتي كانت في رأي الصحيفة أساساً للمناقشة وذكرت الصحيفة أن لجنة الخبراء العسكريين للدول العربية قد اتخذت من المشروع العراقي ومقترحاته بشأن ميثاق الضمان الجماعي أساساً للحوار والمداولة(١٢). وعبرت الصحيفة عن رأيها من خلال ترويجها لخبر أورده مراسل الإذاعة البريطانية في الشرق الأوسط، والذي مفاده بأن العراق دولة هاشمية غير راغبة باتخاذ إجراءات متطرفة ضد المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة(١٣).

وكانت الصحيفة قد نشرت في عدد سابق، دعوة الملك عبد الله لإبداء حسن النية والمساواة في الحقوق داخل الجامعة، والتجرد عن المصالح الخاصة، وكشفت الصحيفة عن موقفها بشكل أوسع، من خطر إبراز ونشر ما أفاده الملك عبد الله الذي أعلن أن في الجامعة تحيزاً ظاهراً، ومراكز قوى غير مدركة لحقيقة الواقع(١٤).

وفي ضوء الجلسات التي نوقش خلالها مشروع الضمان الجماعي، نشرت صحيفة الزمان قرار اللجنة السياسية للجامعة العربية، بالموافقة على المشروع وإقراره علماً أن المشروع ينص على إلزام الجامعة بفصل كل دولة عضو فيها، تعقد صلحاً مع الكيان الصهيوني(١٥).

وكان موقف صحيفة الاتحاد الدستوري إيجابياً قدر تعلق الأمر بمقترحات الوفد العراقي، والتي عدل بموجبها المشروع المذكور، ولهذا ركزت الصحيفة على هذه الناحية من المشروع المذكور حيث عدت صحيفة الاتحاد الدستوري، المعاهدة بعد التعديل أنه من الوسائل الفعالة لدعم سلامة البلاد العربية في تجنبها الأخطار(١٦) وأن معاهدة الضمان في رأي الصحيفة هي الأداة الحيوية لوضع الخطط الإيجابية، لإحكام مشاريع الدفاع، وعلى العرب أن ينتهجوا نفس الخطة التي انتهجها الصهاينة في إدراك الأوضاع الدولية، واستغلالها لصالحهم(١٧).

وأفصحت الصحيفة عن رأيها في أن كل خلاف بين الأشقاء يمكن أن يحسم ويحل بالنية الحسنة وبالإيثار المتقابل(١٨).

المصادر والمراجع

(١) باتريك سيل، مصدر سابق، ص١٢٥.

(٢) عطية دخيل عباس الطائي، العراق ومشاريع الوحدة العربية ١٩٢٢-١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية- بغداد، ١٩٨٣، ص١١٩.

(٣) صحيفة الزمان: العدد ٣٨٥٦، الصادر في ١٨/حزيران/١٩٥٠، سيد نوفل، مصدر سابق، ص ص١٢٨-١٢٩، هذا وقد وقعت الحكومة الأردنية على ذلك المعاهدة بتاريخ ٦/شباط/١٩٥٢، أنظر سيد نوفل، المصدر نفسه، ص١٩٢.

(٤) صحيفة الزمان، المصدر السابق نفسه، العدد ٣٨٨١، الصادر في ٩/تموز/١٩٥٠.

(٥) صحيفة اليقظة، العدد ٦٦٦، الصادر في ٨/تشرين الثاني/١٩٤٩.

(٦) المصدر نفسه، العدد ٦٦٧، الصادر في ٩/تشرين الثاني/١٩٤٩.

(٧) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ٧١٢، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٤٩.

(٨) المصدر نفسه، العدد ٨٣٧، الصادر في ٢٧/آيار/١٩٥٠.

(٩) المصدر نفسه، العدد ٨٩٢، الصادر في ٣/حزيران/١٩٥٠.

(١٠) صحيفة صوت الأهالي، العدد ١٠١٧، الصادر في ٨/تشرين الثاني/١٩٥٠.

(١١) المصدر نفسه، العدد /٧٧٥/ الصادر في ٢٥/آذار/١٩٥٠.

(١٢) صحيفة الزمان،العدد ٣٧٩٦، الصادر في ٨/نيسان/١٩٥٠.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ٣٨١٧، الصادر في ٢/مايس/١٩٥٠.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ٣٧٩١، الصادر في ١ /نيسان/١٩٥٠.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ٣٧٩٢، الصادر في ٢/نيسان/١٩٥٠.

(١٦) صحيفة الاتحاد الدستوري، العدد ٢٩١، الصادر في ٢٥/آذار/١٩٥١

(١٧) المصدر نفسه، العدد ٣٠٥، الصادر في ١٠/نيسان/١٩٥١.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٣٠٦، الصادر في ١١/نيسان/١٩٥١.

مشروع ناظم القدسي ١٩٥١:

تقدم الدكتور ناظم المقدسي، رئيس الوزراء السوري في ٢٣/كانون الثاني/١٩٥١ أثناء حضوره على رأس وفد بلاده إلى اجتماعات الجامعة العربية، بمشروع دعا فيه إلى اتحاد عربي يشكل جميع الأقطار العربية[1]. وكان السبب الذي أدى به إلى طرح مثل هذا المشروع، طبيعة المخاطر التي كان يتعرض لها الوطن العربي، وفي مقدمتها الخطر الصهيوني.

وقد قدم القدسي ثلاثة مقترحات لإقامة وحدة عربية وتعاون مشترك بينهما وهما:

١- قيام الدولة العربية المتحدة.

٢- الاتحاد بين الدول العربية.

٣- الكونفدراسيون.

وللباحث هنا إطلالة تاريخية إذ لا ندري كيف يمكننا أن نتصور أن بريطانيا تقبل بواحد من هذه المقترحات..؟! والتي طرحها الدكتور القدسي.

ومما يثير استغرابنا لهذه المقترحات أنها تنطوي على عدم تغيير شيء من واقع الاستراتيجية البريطانية أولاً ثم الأمريكية في الشرق الأوسط والوطن العربي بوجه خاص، وذلك منذ معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦ وسؤالنا هو: 'من الذي وضع الحدود والخرائط للأقطار العربية..؟' أليست وزارة المستعمرات البريطانية..؟ نعم هي التي وضعت الحدود الجغرافية وجاءت بالملوك والمشاريع فقالت لهم هذه حدودكم فاحكموا ولا تتجاوزوا لأن هناك 'إسرائيل' عصانا التي نضرب بها بقوة.. ولذا لا يمكن التصور بقبول بريطانيا لواحد من هذه المشاريع الثلاث التي طرحها القدسي.. وكل ما هنالك أن بريطانيا وافقت على إيجاد صيغة الجامعة العربية عام ١٩٤٥ .. وهي شكل أكثر مما هي محتوى.. وعاجزة حتى عن التعبير عن واقع الأمة.. ولكن السؤال الجدير والذي ينبغي طرحه: أنه هل

استطاعت الدول العربية وأعني التقدمية منها أو الثورية وحتى يومنا هذا أن تغير شيئاً من واقع الجامعة العربية!؟

وكان القدسي من جانبه، يؤيد الشكل الأول ويراه ضرورياً، بل يراه حقيقة واقعه وقائمة(٢).

لقد جاء مشروع القدسي، في الوقت الذي كانت فيه الدول العربية مشغولة بمشروعها العسكري الجديد 'الضمان الجماعي' ولهذا، وعلى الرغم من قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية من تأليف لجنة لدراسة المشروع، إلا أن اللجنة السياسية لم تجتمع مما آل بالمشروع إلى أن يأخذ طريقه إلى زوايا النسيان(٣).

ومع أن المشروع قوبل بفتور من قبل الأوساط الرسمية بتأثير الاعتبارات الإقليمية والشخصية، إلا أنه قوبل من قبل الرأي العام العربي الواعي، بالتأييد والترحيب، أنه جاء تعبيراً قوياً عن الشعور العربي العام بضرورة قيام الوحدة الفعلية بين الدول العربية، ورافق تقديم المشروع تفسيرات عديدة قصد منها التقليل من أهمية المشروع ودعوته الاتحادية، فقد رأى البعض فيه مناورة سياسية بارعة تدفع الدول العربية الانصياع لقبول مشاريع الاتحادات الثنائية في منطقة المشرق العربي واعتبره آخرون مجرد دعاية شعبية في أواسط الرأي العام(٤).

وقد اتسم موقف الصحافة العراقية من المشروع الوحدوي الذي قدمه الدكتور ناظم القدسي، بالتحفظ والاكتفاء بتناول بعض بنوده، مع نشر تصريحات صاحب المشروع بهذا الشأن خلال اجتماعات مجلس الجامعة العربية وخارجها، وتعد صحيفة الأخبار والعالم العربي والاتحاد الدستوري أفضل نماذج لهذه الصحف،

أما بقية الصحف العراقية الأخرى كصحيفتي اليقظة ولواء الاستقلال، فقد اتسم موقفيهما بالتحمس للمشروع والدعوة لتأييده، لأنه يعبر تعبير صادقاً عن أماني الشعب العربي في تطلعاته القومية.

وتحت عنوان (مشروع خطير تقدم به القدسي) نشرت صحيفة الأخبار خبراً، نقلاً عن إذاعة بغداد، مفاده أن الدكتور ناظم القدسي تقدم إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بمشروعه، الذي ينص على إقامة دولة واحدة[٥]. وتحت عنوان (الشبه الكبير بين مشروع القدسي ومشروع نوري السعيد)، أفادت الصحيفة المذكورة استناداً إلى ما ذكره مراسل وكالة رويتر في القاهرة، من أن المشروع المقترح يشبه إلى حد بعيد مشروع نوري السعيد الذي طالب فيه إلغاء الحدود بين الدول العربية، الراغبة في الانضواء تحت هذا الاتحاد، وأشارت صحيفة الأخبار أيضاً استناداً إلى قول مراسل محطة الشرق الأدنى في عمان، إلى أن صحف الضفتين الشرقية والغربية من الأردن، نشرت على صفحاتها الأولى مشروع القدسي دون التعليق عليه، ومن جانب آخر فقد أحال مجلس الجامعة العربية مشروع القدسي إلى لجنة خاصة، لدراسته وتقديم ملاحظاتها عنه خلال فترة أمدها ثلاثة أشهر[٦].

وعلى الصعيد نفسه أوردت صحيفة الأخبار تصريحات القدسي في دمشق، التي أشار فيها إلى اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية، والتي لم تكن ناجحة ولا فاشلة، وأن التجارب على حد قوله، برهنت أن لا يكون متفائلاً ولا متشائماً، وأن العمل القومي سفر من الكفاح والنضال الدائم[٧].

وأشارت الصحيفة إلى المؤتمر الصحفي الذي أعلن خلاله القدسي، بأن المشروع يمر في مساره الطبيعي المحدد[٨]، وهكذا من خلال متابعة صحيفة الأخبار يظهر انحيازها الواضح ضد المشروع في نشرها الآراء المناهضة له والمبررات التي تؤدي إلى فشله[٩].

أما صحيفة الاتحاد الدستوري التي وافقت قرينتها (الأخبار) في الموقف والأسلوب تجاه مشروع القدسي، فقد نشرت تحت عنوان (دولة

الدكتور القدسي يدعو الدول العربية إلى إقامة دولة عربية موحدة)، إذ أفاد أنه إذا تعذر على الدول العربية تنفيذ هذا المشروع، فعليها أن تنتظم في اتحاد فدرالي تحافظ كل دولة على استقلاليتها في أمورها الداخلية(١٠).

وفي عمود آخر من نفس العدد أشارت صحيفة الاتحاد الدستوري استناداً إلى ما زعمه مراسل وكالة رويتر، في أن مشروع القدسي، مشابه لمشروع رئيس الوزارة العراقية والذي يستلزم إلغاء الحدود بين الدول الراغبة في الانضواء تحت لوائه(١١).

وتحت عنوان (التجارب علمت القدسي أن لا يكون متفائلاً، ولا متشائماً) أوردت الصحيفة تصريحات القدسي، خلال مؤتمره الصحفي في دمشق، والذي أثنى خلاله على موقف الصحافة السورية من مشروعه، كما أماط اللثام عن تباين الآراء في الصحافة العراقية واللبنانية بشأن الدعوة إلى مشروعه وانعكاسات ردود الفعل عليه، ومن جانب آخر نشرت الصحيفة في عمود آخر من نفس العدد نقلاً عن أحد المراسلين في عمان، على ما نشرته صحف الضفتين الشرقية والغربية من الأردن على صفحاتها الأولى مشروع الدكتور القدسي دون تعليق(١٢). وفي عمود آخر من نفس العدد أفادت صحيفة الاتحاد الدستوري بإحالة مشروع القدسي إلى لجنة خاصة لدراسته وتقديم تقريرها خلال انعقاد الدورة اللاحقة للجامعة العربية(١٣).

من الشواهد التي أوردناها آنفاً نلاحظ أن صحيفة الاتحاد الدستوري كانت متحفظة في موقفها إزاء مشروع القدسي، بيد أنها ألمحت ونوهت إلى أن فكرته ليست جديدة، بل سبقها في ذلك مشروع العراق بإقامة دولة عربية موحدة وإلغاء الحدود بين الأعضاء، وهي دعوة سعيدية، ولذلك لم تعلن الصحيفة المذكورة تأييدها للمشروع بل اكتفت بنقل الآراء بصدده.

وعن موقف صحيفة العالم العربي فلم تتجاوز في تناولها مشروع القدسي الخط النمطي لصحيفتي الأخبار والاتحاد الدستوري، غير أن تصديها له كان شديداً، على الرغم من اختفاء ذلك الموقف تحت مظلة الآراء الوافدة.

فقد أوردت صحيفة العالم العربي رأي صحيفة النداء اللبنانية بمشروع القدسي، والتي لفتت فيه انتباه القدسي إلى أنه كان المفروض بالسيد القدسي، أن لا يتخلى أولاً عن مصير الاتحاد السوري — العراقي، الذي هو أفضل من مشروعه الحالي، ونقلاً عن صحيفة البيرق أفادت صحيفة العالم العربي بقولها في أن هذا المشروع هو أقرب إلى الخيال منه إلى التنفيذ العملي، وذلك لتباين أنظمة الحكم في الدول العربية، واختلاف الاستراتيجية السياسية لكل منها(١٤).

ونشرت صحيفة العالم العربي تصريحات الدكتور القدسي، الذي كان يأمل، على حد قول الصحيفة، من الدول العربية أن تكون هي الساعية والمؤيدة لمشروعه، وأنه في أثناء جولته في البلدان العربية لمس الرغبة لدى هذه البلدان في الوحدة(١٥).

من خلال ما أوردته صحيفة العالم العربي في أعلاه يبدو أنها كانت أكثر تطرفاً في تصديها لمشروع القدسي، والذي تخلى في رأي الصحيفة عن مشروع الاتحاد السوري العراقي وقد أبدت سخريتها من مشروعه الخيالي والمتعذر تحقيقه على صعيد الواقع العملي، مما يدل على عدم قناعة الصحيفة المذكورة بمشروع القدسي المقترح.

وفيما يخص صحيفة الزمان فقد اتسم موقفها بالتحفظ الموضوعي، حيث نشرت تصريحات الدكتور القدسي بصدد مشروعه المقترح، ولفتت الصحيفة انتباه الأنظار من خلال تلك التصريحات إلى تفاقم الأخطار يوماً بعد آخر، بالأمة العربية مع التخوف من الخطر الصهيوني عدو الأمة العربية، في حدودها ووجودها حاضراً

ومستقبلاً، وعبرت الصحيفة عن رأي القدسي بالجامعة العربية، والتي وصفها بأنها كانت مخيبة لآمال العرب، وأنها انغمست في المظاهر والاجتماعات العقيمة والأقوال، وأن الجميع أدركوا بأن الجامعة العربية وبواقعها الحالي لا تنسجم مع روح العصر الحديث[١٦]، ويمكن أن نلخص من ذلك كله أن موقف صحيفة الزمان كان متحفظاً إذ اكتفت بنشر آراء القدسي وتقييمه لواقع الأمة العربية، دون أن تبدي رأياً مؤيداً أو معارضاً.

أما موقف الصحف القومية من مشروع القدسي فقد تجلى بوضوح في صحيفتي لواء الاستقلال واليقظة حيث ذكرت صحيفة لواء الاستقلال أن المشروع يرمي إلى توثيق الوحدة بين الدول العربية[١٧]. وفي عدد آخر أبدت الصحيفة ارتياحها لمذكرة القدسي، لأنه في رأي الصحيفة استطاع أن يضع إصبعه على موطن الداء الذي ينخر جسم الأمة العربية[١٨].

ونبهت الصحيفة في عدد آخر الرأي العام إلى العراقيل، التي وضعت في طريق الاتحاد السوري — العراق، وما أحيط به من شكوك وشبهات وما ألصق به من تهم[١٩].

وعبرت صحيفة لواء الاستقلال عن أملها أن لا يكون مشروع القدسي مجرد أماني وأفكار طارئة وناشدت الأمة في أن تدرك هذه الحقائق، وتعمل بها قبل فوات الأوان، وتندم على ما فات[٢٠].

وفي عمود بارز من الصحيفة المذكورة، أثنى السيد (محمد مهدي كبه) في تعليق على مذكرة القدسي، بكونها موفقة كل التوفيق في إبراز وجهة نظر الشعب العربي في معالجة مشاكله القومية، ووصف المذكرة بأنها نداء صارخ ضد الوهن والذل والهوان[٢١].

وأبرزت الصحيفة تصريحات القدسي التي قال فيها، أن العمل القومي كفاح ونضال دائم يجب أن لا يتأثر بالتفاؤل والتشاؤم، وفي عمود آخر من نفس العدد نقلت الصحيفة رسالة عن صحيفة النداء مفادها أن موقف الأمريكيين من مشروع القدسي جيدٌ لولا تشددهم فيما يخص الخطر الصهيوني، حيث رجحت أمريكا أن يتجه التكتل أو الاتحاد نحو الشيوعية(٢٢). واستطلعت الصحيفة في عدد آخر، رأي سماحة الحاج أمين الحسيني بمشروع القدسي، الذي أشاد به، وأبدى ترحيبه بدعوته، شريطة أن تكون الوحدة التي دعا إليها القدسي جزءاً من الوحدة الإسلامية(٢٣).

أما فيما يتعلق بموقف صحيفة اليقظة من مشروع القدسي، فقد منحته تأييدها اللا محدود، والدعوة له إذ نشرت الصحيفة على صدر صفحاتها الأولى وبعناوين بارزة شعارات الدعوة لمشروع القدسي ومنها (الوحدة واقعة شاءت الحكومات أم أبت) وكذلك (الوعي القومي سبق الساسة في العالم العربي بموقف التمادي في سياسة جرت عليها نكبة فلسطين) ووصفت الصحيفة المشروع بالنسبة للعرب أنه الحياة، وأن العرب على مفترق طريقين هما أما الحياة أو الموت وناشدت الصحيفة ساسة العرب ورجال الحكم في بلادهم بالسعي لتحقيق هذا المشروع(٢٤).

وتحت عنوان (قضية الوحدة واقع التجزئة والتخلف) واصلت صحيفة اليقظة موقفها في الترحيب بالدولة العربية والواحدة، أو الاتحاد العربي على الأقل، وناشدت اليقظة أحرار العرب في كل مكان، داعية لرفع أصواتهم والعمل بجد لتحقيق هذا المطلب قبل فوات الفرصة، وأفصحت الصحيفة عن رأيها في أن المذكرة هزت الأوساط الشعبية هزاً بل أنها بعثت النشوة والأمل في كيان كل عربي(٢٥).

وتحت عنوان (على الحكومات العربية أن تؤمن بما آمنت شعوبها) نددت الصحيفة بالجامعة العربية ولجنتها السياسية، وآردفت الصحيفة قولها في أن الفرد العربي أضحى لا يتحسس أو يشعر بوجود جامعة تمثله، واستشدت اليقظة بقول القدسي في أن الجامعة العربية قد خيبت آمال العرب، وناشدت الصحيفة الحكومات العربية أن تؤمن بما آمن به الشعب العربي، بوجود قيام دولة عربية واحدة، دون أن يقفوا حجر عثرة في سبيلها(٢٦).

وفي ضوء ما تقدم يبدو، أن صحيفة اليقظة كانت بمثابة منبر قومي في الدعوة لمشروع القدسي، ودعمه بكل الوسائل الإعلامية المتاحة، بهدف إيقاظ البلدان العربية، والتطلع إلى الآفاق المستقبلية التي ينشدها الشعب العربي.

ولا بد هنا من الإشارة إلى مذكرة أحمد الشقيري، من أن القدسي قد بعض بمذكرته إلى اللجنة السياسية لدراستها، ووصلت إلى الحكومات العربية، لكن المذكرة ركنت في أروقة الجامعة ولعلها أحرقت مع ما يحرق من المهملات(٢٧).



بعض كبار ضباط قيادة الجيش العربي السوري أثناء زيارتهم للدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية

المصادر والمراجع

(١) محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ص١٣٧، للتفصيل عن هذا الموضوع راجع: مذكرات أكرم الحوراني العرب اليوم (صحيفة)، عمان، الصادر في ١٩/تموز/١٩٩٧.

(٢) انظر نص المشروع في: أحمد عبد القادر الجمال، مصدر سابق، ص ص٤٣٩-٤٤٧.

(٣) صحيفة صدى الأهالي، الصادرة في ٢٨/كانون الثاني/١٩٥١.

(٤) محمد عزة دروزة، المصدر السابق نفسه، ص١٣٨، وكذلك جهاد محي الدين، مصدر سابق، ض١٠١.

(٥) صحيفة الأخبار، العدد ٣٠٥٥، الصادر في ٢٧/كانون الثاني/١٩٥١.

(٦) المصدر نفسه، العدد ٣٠٥٦، الصادر في ٢٨/كانون الثاني/١٩٥١.

(٧) المصدر نفسه، العدد ٣٠٦٢، الصادر في ٤/شباط/١٩٥١.

(٨) المصدر نفسه، العدد ٣٠٦٣، الصادر في ٦/شباط/١٩٥١.

(٩) المصدر نفسه، العدد ٣٠٦٤، الصادر في ٧/شباط/١٩٥١.

(١٠) صحيفة الاتحاد الدستوري، العدد ٤٣٣٠، الصادر في ٢٨/كانون الثاني/١٩٥١.

(١١) المصدر نفسه، العدد نفسه، ص١.

(١٢) المصدر نفسه، العدد ٤٣٣٨، الصادر في ٦/شباط/١٩٥١، ص١.

(١٣) المصدر نفسه، العدد نفسه، ص١.

(١٤) صحيفة العالم العربي، العدد ٧٢٠٧، الصادر في ١/شباط/١٩٥١.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ٧٢١١، الصادر في ٦/شباط/١٩٥١.

(١٦) صحيفة الزمان، العدد ٤٠٣٧، الصادر في ٢٧/كانون الثاني/١٩٥١.

(١٧) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ١١٧٩، الصادر في ٢١/كانون الثاني/١٩٥١.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ١١٨١، الصادر في ٢٣/كانون الثاني/١٩٥١.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ١١٨٦، الصادر في ٢٩/كانون الثاني/١٩٥١.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ١١٨٨، الصادر في ٣١/كانون الثاني/١٩٥١.

(٢١) المصدر نفسه، العدد ١١٩٢، الصادر في ٥/شباط/١٩٥١.

(٢٢) المصدر نفسه، العدد ١١٩٣، الصادر في ٦/شباط/١٩٥١.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ١١٩٤، الصادر في ٧/شباط/١٩٥١.

(٢٤) صحيفة اليقظة، العدد ١٠٣٢، الصادر في ٢٨/كانون الثاني/١٩٥١.

(٢٥) المصدر نفسه، العدد ١٠٣٣، الصادر في ٢٩/كانون الثاني/١٩٥١.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ١٠٣٤، الصادر في ٣٠/كانون الثاني/١٩٥١.

(٢٧) أحمد الشقيري، حوار وأسرار الملوك والرؤساء العرب، د.ت، ص١٣٨.

٣- مشروع محمد فاضل الجمالي ١٩٥٤:

خلال انعقاد الدورة العشرين لمجلس الجامعة العربية المنعقدة في١١/كانون الثاني/١٩٥٤، تقدم فاضل الجمالي، رئيس وزراء العراق ورئيس وفد بلاده إلى المجلس، بمشروع يدعو إلى إقامة اتحاد بين الدول المهيأة ظروفها لمثل هذه الخطوة[١].

ولقد جاء تحرك الحكومة العراقية هذا، في وقت كانت فيه السياسة العراقية سائرة لحمل بعض القوى والشخصيات السورية المناوئة لحكومة أديب الشيشكلي في سوريا، للتعاون مع العراق للإطاحة به[٢]. وقد برز الجمالي الأسباب التي دفعته لتقديم هذا المشروع بأن الدول العربية لا تستطيع كلها مجتمعة وبسرعة واحدة، السير في طريق الاتحاد، وذلك لعوامل واعتبارات جغرافية، وداخلية واجتماعية موقوتة تخص كل قطر من الأقطار العربية. وأن القول بضرورة السير الجماعي نحو الاتحاد المنشود بسرعة واحدة من قبل الدول الأعضاء بالجماعة كلها، قد أدى إلى تأخير قضية الاتحاد العربي الذي يهدف إليها ميثاق الجامعة العربية[٣]. هذا ويقوم المشروع على أساس المراحل، حيث يتم تنفيذ المرحلة الأولى باتحاد سوريا والعراق والأردن، ليعقبه بعد ذلك انضمام بقية الدول العربية الأخرى[٤].

وكي يكون المشروع متكاملاً، حدد الجمالي، الطريقة التي سيتم في ضوئها تحقيق الاتحاد بالنقاط الآتية:

١- تجري مفاوضات بين الدول التي تستطيع، وتريد الدخول في الاتحاد على الأسس التي ترغب في إنشاء الاتحاد عليها. وبعد التوصل إلى اتفاق في هذا الخصوص تحاط جامعة الدول العربية علماً بذلك، وهي بدورها تحيط الدول الأعضاء علماً بذلك أيضاً.

٢- تشرع الدول الراغبة في الاتحاد في سن دستور للاتحاد، ويعرض على برلماناتها ثم تعدل دساتيرها على هذا الأساس.

٣- يستهدف الدستور الاتحادي، وحدة السياسة الخارجية والدفاع والشؤون الاقتصادية المشتركة وغير ذلك مما يتفق عليه المتفاوضون، وينص على الإدارة المشتركة والتنفيذية للاتحاد(٥).

وأوضح الجمالي في مشروعه، بأن العراق يعرب عن استعداده للدخول في اتحاد مع أي قطر من الأقطار العربية الراغبة فيه، ويرجو مخلصاً أن يلقي من بقية أعضاء الجامعة العربية مثل هذه الرغبة، والعمل على تحقيقها(٦).

ومع أن هذه المذكرة قوبلت بفتور، كما قوبلت مذكرة ناظم القدسي من قبلها، بتأثير الاعتبارات والهواجس الإقليمية والشخصية، واعتبرت محاولة من العراق لإعادة مشروع الهلال الخصيب في إطار جديد، بل وأثيرت ضدها، الدعايات وعلقت بها الشبهات، فإنها كانت على كل حال، تعبيراً عما يختلج في نفوس العرب من شعور قومي، بوجوب قيام الوحدة بين الأقطار العربية بأي أسلوب، بعد أن ظهرت عدم جدوى ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، التي أريد منها أن تكون بديلاً عن الاتحاد العربي(٧).

ولم يمض وقت طويل، حتى أعلنت مصر وسوريا والسعودية عن رفضها لهذا المشروع، ونظرت إليه بأعين الشك، كما رفضته سوريا على أساس أنه، تجسيد جديد لمشروع الهلال الخصيب، تحت زعامة العراق، والذي عارضه الشيشكلي طوال حياته السياسية.

ويعد مشروع الجمالي أحد المشاريع الاتحادية التي شهدتها الساحة العربية، وكانت للأوساط والدوائر السياسية والشعبية آراء مختلفة بصدده، وقد انعكس ذلك بموقف الصحافة العراقية من هذا المشروع حيث تصدت له أكثر الصحف العراقية.

لقد كانت صحيفة لواء الاستقلال من الصحف المعارضة والمنددة بالمشروع، حيث أشارت إلى أن هذا المشروع يمثل جزءاً من

المصالح المتشابكة التي تربط أعداء الأمة العربية في الداخل والخارج ليواجهوا الأمة بصف واحد، لقناعتهم بخطورة الأمر على مصالحهم ومراكزهم[٨]. ونددت الصحيفة بمشروع الجمالي العاجز عن إشعار الإنكليز والأمريكان بأن العرب يفضلون الحياد دون البقاء على ما هم عليه من ذل وعبودية[٩]، وعن تصريح لناطق مصري نقلت الصحيفة قوله (أننا نؤيد — من حيث المبدأ — اقتراح الدكتور الجمالي ومع ذلك، فإن المشروع سيواجه معارضة شديدة جداً وخاصة من قبل سوريا ولبنان اللتين لا تزالان تشجبان المحاولات السابقة لمشروع سوريا الكبرى، والذي أراد ضم سوريا ولبنان والأردن والعراق)[١٠].

وتحت عنوان (للجمالي مشروع للاتحاد بين الدول العربية) أفصحت صحيفة لواء الاستقلال عن مشاريع كانت لغيره، حيث عرض بعضها على جامعة الدول العربية أيضاً، غير أن ما نتج عقب كل مشروع مقترح ازدياد التباعد بين حكام الدول العربية، وقد استخلصت الصحيفة من الدعوة التي تبناها الجمالي، بأنها إلهاء للأمة وإضاعة للوقت في مشاريع تستهدف أشغال الدول العربية عن قضاياها الراهنة[١١]، والتمست الصحيفة في عدد آخر من الجمالي دعم الأفكار وترك الأقوال المجردة، وهو في دست الحكم ولا سيما وأن العراق مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة جائرة، تخولها إقامة قواعد عسكرية في قلب العراق، وأن الاتحاد المزعوم في رأي الصحيفة، لا يمكن أن يتم بين قطرين متفاوتين في درجتي الاستقلال، أو بين بلاد ترتبط بتعهدات خارجية مختلفة[١٢].

وتحت عنوان (الجمالي يريد الخدمة والإنكليز لا يوافقون) حيث سخرت الصحيفة من تصريح الجمالي بقوله أن الدسائس الأجنبية ستظل تلعب وتؤخر سير الاتحاد. وناشدت الصحيفة الجمالي بالوقوف موقفاً صريحاً ضد الدسائس الأجنبية وضد الأوضاع

الداخلية التي تعيق البلاد العربية عن السير في طريق الاتحاد، ودعت الصحيفة الجمالي في أن يختار بين الانتحار أو السكوت[١٣].

أما صحيفة الزمان والتي اعتمدت كنموذج للصحف الحكومية فلم يتعد موقفها عن نقل ونشر التصريحات والأخبار ضمن إطار الدائرة المرسومة لها من قبل السلطة.

وتحت عنوان (مشروع الاتحاد العربي مثل رئيسي من المثل العليا للأمة العربية) أفصحت الصحيفة عن رأيها تجاه مشروع الجمالي حيث اتسم موقفها بالإيجابية نحو المشروع، إذ وصفته بأنه يملأ الفراغ الذي تعيشه الأمة العربية للحد من بلبلة الصفوف التي تؤدي إلى عدم التفكير في إدراك قضاياها[١٤].

وفي عدد آخر من الصحيفة نشرت تصريحاً للجمالي بصدد مشروعه، الذي ينص على تحويل الجامعة العربية إلى اتحاد فدرالي على غرار الاتحاد الأمريكي[١٥].

وأوردت الصحيفة أن مشروع الجمالي ينص على توحيد الدول العربية في الشؤون الخارجية والدفاع والتعليم والمالية والاقتصاد، وتعيين وزراء لكل منها وذلك إلغاء الحواجز الجمركية، وتأشير السفر، وتعديل ميثاق الجامعة العربية[١٦].

وأبرزت الصحيفة في عدد آخر خبر انعقاد اللجنة السياسية للجامعة العربية برئاسة محمود فوزي وزير الخارجية المصري لبحث مشروع الدكتور الجمالي الخاص بالاتحاد العربي[١٧].

واستطلعت الصحيفة في صفحة أخرى من نفس العدد آراء بعض الصحف اللبنانية والأردنية، وذلك لتعزيز موقفها الإيجابي من المشروع، حيث نقلت عن صحيفة بيروت قولها (أننا نرجو أن يكون موقف الجامعة العربية من المشروع العراقي موقفاً إيجابياً)، وعن صحيفة فلسطين الأردنية أوردت الصحيفة، (أن مشروع الجمالي ليس

هو أول مشروع لتحقيق الوحدة، وليس من الصعب تحقيقه، إذا ما خلصت النيات) وقد استنتجت صحيفة الزمان من ذلك بأن الأردن يؤيد المشروع العراقي، وأن موافقة سوريا المبدئية تعتبر مضمونة[١٨].

وللباحث هنا مداخلة للتذكير وإنصاف الحقائق التاريخية فإننا أمام نصوص موثوقة ووقائع تاريخية وليس أمام كلام عابر منقول من وعن، فالجمالي واحد من المنظرين العراقيين الواقعيين وله توجهات خاصة في المسألة القومية ولكن الكثير لا يعلمون ذلك لأسباب قد تكون معلومة أو مجهولة أو أن الفكر القومي تجاهل هذا الرجل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وانشغل ذلك الفكر تماماً بخطابات عبد الناصر وعفلق والرزاز والحوراني وجورج حبش. وكان الجمالي في دفاعه في محكمة الشعب أثناء محاكمته يشيد بصداقته مع عبد الناصر وقد أكد عبد الناصر صداقته له لكنه يختلف معه في التوجه والطرح ولنكن صريحين وواقعيين في تقييم رجال العراق، لأن للجمالي والسعيد مدارس في السياسة ولا ندري سبب تعمد بعض الأقلام والصحافة وبعض الذين دسوا أنوفهم في عالم السياسة لإغفال دور الجمالي في السياسة العراقية علماً بأن للجمالي (٤٤) مؤلفاً في السياسة والفلسفة والقومية والتربية وكان المشروع القومي عند الجمالي مشروع أقرب إلى الواقع وخاصة نظرته في الوحدة والاتحاد السوري العراقي وكان مشروعه لا ينطوي على خيال سياسي ونظرة رومانسية للساحة العربية لأن هذا الرجل يعرف جيداً تشكيلة الأقطار العربية قطراً قطراً.

وتحت عنوان (التفاهم يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع فكرة التضامن والوحدة العربية) تفاءلت صحيفة الزمان بمقررات الاجتماع التاريخي المنتظر لمجلس الجامعة العربية، الذي سيكون في رأي الصحيفة أملاً للشعب العربي في إنشاء قيادة عربية موحدة، وتعديل نظام الجامعة، وأن يكون له التأثير البالغ في تنسيق السياسة العربية نحو العمل المثمر[١٩].

وتحت عنوان (الاستعمار والمصالح الخاصة يجب أن لا يحول دون تحقيق الاتحاد العربي) نددت صحيفة الزمان بالاستعمار، الذي عمل جاهداً على تفرق الصفوف، وتشتيت الكلمة وإبقاء الأمم المستعمرة في أوضاع اقتصادية متأخرة، وتقطيع أوصال الأمة العربية بإقامة الكيانات الهزيلة، واستبشرت الصحيفة بالاتحاد العربي، كونه حقيقة آتية بلا ريب، وواقعة محققة لا محال مهما أراد الاستعمار(٢٠).

وفي عمود آخر من نفس العدد شككت الصحيفة بنجاح المشروع العراقي للاتحاد، أو أي مشروع عربي آخر، والمهم في رأي الصحيفة أن يوضع مشروع عربي آخر، والمهم في رأي الصحيفة أن يوضع مشروع الاتحاد العربي على أسس صريحة ومفصلة، وأن ينظم العمل من أجلها ويستمر حتى النهاية(٢١).

ومن ناحية أخرى أبرزت الصحيفة تصريحات الجمالي والتي أوضح فيها، أن دعوة العراق للاتحاد تبطل النظريات الخاطئة في معالجة الوضع العربي، وأن الاتحاد والقول للجمالي، جاء لخير الأمة وليس لمصالح عائلية، أو زعامات فردية(٢٢).

لقد اتضح موقف صحيفة الزمان بشكل واضح وصريح، والتي اعتمدت كنموذج للصحف المحسوبة على السلطة تجاه مشروع الجمالي، حيث تجسد ذلك الموقف في مقال الصحيفة الافتتاحي، والذي بعنوان (الويل للمتخلفين)، أفصحت فيه الصحيفة عن رأيها، في أن تأخير المشروع ووضع العراقيل أمامه، يثير الألم الشديد في ظروف كل ماضي الأمة ويدعو العرب إلى اتحاد كلمتهم ولم شملهم، وحذرت صحيفة الزمان الأمة العربية من أن إحباط المشروع العراقي (مشروع الجمالي) وإخفاقه قد أضاعت في رأي الصحيفة فرص نجاحها(٢٣).

المصادر والمراجع

(١) وزارة الخارجية العراقية، دعوة العراق للاتحاد العربي، نص الدعوة التي تقدم بها الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق إلى مجلس جامعة الدول العربية في دورة انعقاده العشرين في القاهرة بتاريخ ٩/كانون الثاني/١٩٥٤.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج٩، ص٨٧.

(٣) محمد فاضل الجمالي، مصدر سابق، ص١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٠- ١٢١، وكذلك محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ص ص١٤٢-١٤٣.

(٥) محمد عزة دروزة، المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٣، وكذلك أحمد عبد القادر الجمال، مصدر سابق، ص٣٩١.

(٧) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص ص٤٢٥-٤٢٦.

(٨) سمي (بمشروع الجمالي) نسبة إلى الدكتور محمد فاضل الجمالي السياسي العراقي المعروف.

(٩) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ١٧٧٥، الصادر في ١١/كانون الثاني/١٩٥٤، ص١.

(١٠) المصدر نفسه، العدد نفسه، ص٢.

(١١) المصدر نفسه، العدد ١٧٧٦، الصادر في ١٢/كانون الثاني/١٩٥٤.

(١٢) المصدر نفسه، العدد ١٧٧٨، الصادر في ١٤/كانون الثاني/١٩٥٤.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ١٧٨٣، الصادر في ٢٠/كانون الثاني/١٩٥٤.

(١٤) صحيفة لواء الاستقلال، العدد ١٧٨٤، الصادر في ٢١/كانون الثاني/١٩٥٤.

(١٥) صحيفة الزمان، العدد ٤٩٣٢، الصادر في ١١/كانون الثاني/١٩٥٤.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٤٩٣٣، الصادر في ١١/كانون الثاني/١٩٥٤، ص١.

(١٧) المصدر نفسه، العدد نفسه، ص٢.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٤٩٣٥، الصادر في ١٣/كانون الثاني/١٩٥٤، ص١.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٤٩٣٦، الصادر في ١٥/كانون الثاني/١٩٥٤.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ٤٩٣٧، الصادر في ١٦/كانون الثاني/١٩٥٤، ص١.

(٢١) المصدر نفسه، العدد نفسه، ص٥.

(٢٢) المصدر نفسه، العدد ٤٩٤٠، الصادر في ١٩/كانون الثاني/١٩٥٤.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٤٩٤١، الصادر في ٢٠/كانون الثاني/١٩٥٤.

الفصل الثاني

الوحدة المصرية - السورية ١٩٥٨
في صحافة العراق

الوحدة المصرية — السورية ١٩٥٨

أولا: التنسيق المصري السوري والطريق إلى الوحدة:

منذ انتهاء مرحلة الانقلابات، بعد انتفاضة الجيش العربي السوري في ٢٥ شباط ١٩٥٤[١]. بدأت سوريا تتجه اتجاها جديدا، تمثل بالاتجاه الواضح نحو الجانب العربي المعادي للاستعمار في المنطقة العربية، ولسياسة الأحلاف العربية التي أرادت فضلا عن العراق جر سوريا إليها. وقد شهدت هذه المرحلة قيام سوريا بتعزيز موقفها الوطني الرافض للأحلاف والمشاريع الأجنبية.

ولذلك كان موقف سوريا الوطني والقومي، يقلق الدوائر الاستعمارية ويعرقل تنفيذ مخططاتها، لذلك تعرضت سوريا إلى ضغوط وتهديدات متعددة، أخذت أشكالا وأساليب مختلفة.

كانت بصيغة الضغط عليها للانضمام إلى الحلف العراقي - التركي، أو بصيغة قبول مشروع (أيزنهاور)، أو مؤامرات لقلب نظام الحكم وتهديدات وحشود عسكرية تركية[٢].

وعلى كل حال، فإن سوريا تمسكت أكثر بوطنيتها واستقلالها، وأن جميع تلك المخططات لم توقفها أو تثنيها عن سعيها وتطلعها نحو الأهداف القومية، بل زادت من يقظة الشعب العربي السوري وحماسته وتطلعه نحو الوحدة العربية، التي كانت سوريا سباقة إلى تحقيقها والدعوة إليها قبل بقية الأقطار العربية الأخرى، وعلى هذا الأساس بدأت سوريا في تعزيز علاقاتها مع الأقطار العربية الرافضة لسياسة الأحلاف، التي كانت تتزعمها في ذلك الحين، مصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر، ولقد كانت سوريا ومصر أكثر الأقطار العربية في ذلك الوقت تحررا من القيود الاستعمارية

والارتباطات الأجنبية، وأكثرها تقارباً في المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي، الأمر الذي يجعل تحقيق أي اتحاد بينهما بشكل قوة منسجمة فعالة مرتبطة بجناحي العروبة في المغرب والمشرق، وقادرة فعلاً على أن تكون الركيزة الأساسية والدعامة القومية في تحقيق الوحدة العربية الشاملة، وخاصة أن مصر أقوى الأقطار العربية في إمكاناتها البشرية والاقتصادية والعسكرية، وتحتل من الوطن العربي محل القلب من الجسم[٣].

ومن خلال تلك المرحلة وتطور الأحداث في الشرق الأوسط برزت علاقة جديدة أثرت في مسار الأحداث والعلاقات بين سوريا ومصر، هذه العلاقة هي بين حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا وجمال عبد الناصر، هذا التلاقي أسهم بشكل كبير في تحقيق وتوثيق العلاقات السورية – المصرية التي تمخضت عن قيام الوحدة بينهما عام ١٩٥٨.

إن نجاح القوات العسكرية السورية بالإطاحة بحكومة الشيشكلي عام ١٩٥٤، لم يثن الحكومة العراقية من الاستمرار في ضغوطها الرامية إلى احتواء القطر السوري، فقد بدأ عبد الإله ونوري السعيد وبعض السوريين المؤيدين لهما يقتنعون بأن الغزو العراقي المسلح لسوريا هو الكفيل بنجاح المؤامرة. وعلى الرغم من وضع الخطط العسكرية لهذه الغاية منذ عام ١٩٥٣، إلا أن القيادة العسكرية العليا في العراق كانت تعارض استعمال القوة ضد سوريا، وذلك لأن أي صدام بين الجيشين العراقي والسوري سينهك قواهما، ولا يخدم إلا الكيان الصهيوني[٤].

وبناءاً على ذلك عادت الحكومة العراقية توجه ضغوطها نحو سوريا وبالتعاون مع تركيا والدول الغربية من أجل جرها إلى سياسة الأحلاف، وخاصة الحلف العراقي – التركي الذي كان مطروحاً للمناقشة وعلى وشك التوقيع والتي كانت سوريا هدفه الاستراتيجي.

ونتيجة لهذا الضغط الموجه ضدها، وجدت القوى الحكومية والحزبية السورية نفسها محاطة بعدة اتجاهات، فحزبا الشعب والوطني يؤيدان سياسة العراق ويدعوان بتوجيه السياسة الخارجية نحوها، في حين كانت القوى القومية والوطنية اليسارية وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي المدعوم من الجيش بضباطه الوطنيين، والعناصر الشيوعية، ترفض سياسة الأحلاف الغربية[٥].

لقد أظهرت انتخابات عام ١٩٥٤ أن الساسة الأكثر نفوذاً وفعالية في السياسة السورية قد التزموا برفض المعاهدات والأحلاف بل وقطع كل الروابط الرسمية مع الغرب[٦].

كما آمنت القوى الوطنية والقومية في سوريا، بأن مشاريع الأحلاف، ما هي في الحقيقة إلا دعوة مهددة للهيمنة على مقدرتها السياسية، بعد أن ناضلت طويلاً في سبيل الحصول على استقلالها، وخشيت في أن تعمل بريطانيا على ضم سوريا إلى العراق، وأن يؤدي هذا الربط إلى عرقلة كل مساعي الوحدة العربية، التي آمن بها السوريون إيماناً شديداً، وذلك بحكم أن بريطانيا والبيت الهاشمي سيعمدان إلى قصر الوحدة على الأقطار العربية، التي يسعون إلى السيطرة عليها واستبعاد مصر عنها[٧].

ومن جانب آخر، بدأت مصر محاولاتها الرامية إلى جذب سوريا إليها في الاتجاه الرافض لسياسة الأحلاف، وقطع الطريق أمام العراق وبريطانيا لجر سوريا إليهم. فقامت بإرسال وفد مصري برئاسة صلاح سالم وزير الإرشاد القومي يرافقه محمود رياض سفير مصر الجديد في سوريا، والذي تزامن وصوله مع عقد الحلف العراقي التركي في ٢٤/شباط/١٩٥٥[٨].

لقد رفضت مصر مسبقاً سياسة الأحلاف كما رفض عبد الناصر تلك السياسة الغربية التي تبغي إدخال الدول العربية في إطار استراتيجية المعسكر الغربي وبذلك يقول:

(إنه يخيل إلى الأمريكيين أن الخطر الشيوعي يهدد العالم، وأنه يجب إنشاء أحلاف عسكرية بأسرع ما يمكن ولكن الرأي عندي أن الحرب ليست وشيكة الوقوع، وعلينا أن نحمي أنفسنا من مضار الاستعمار بقدر ما ندفع عن أنفسنا الخطر الشيوعي)[٩].

لقد آثار الهجوم الصهيوني الغادر على غزة في ٢٨/شباط/١٩٥٥[١٠]، ردود فعلٍ جماهيرية في سوريا. ويبدو أن هناك اتفاقاً مبيتاً ما بين الدول الغربية والكيان الصهيوني، لكي يعملوا بقوة ضد أي تقارب بين دمشق والقاهرة، إذ سرعان ما خرجت الصحف السورية، معبرة عن تصورات مؤيدي الغرب الذين يستهدفون إبعاد سوريا عن مصر لعجزها بالدفاع عن نفسها واللجوء إلى الغرب والتفاهم معه للحصول على ضمانات منه ضد أي هجوم صهيوني على العرب، وإزاء ذلك أصبح واضحاً أن الحكومة السورية، كانت عاجزة عن إبرام أي ميثاق مع مصر أو حتى عن إصدار بيان مشترك حول السياسة الخارجية[١١].

وعلى ذلك لم يكن أمام ضباط الجيش الوطنيين إلا التدخل ووضع حد للموضوع، فقام الجيش بتظاهرة عسكرية خلال احتفال على شرف الوفد المصري، حضره جميع المسؤولين في الدولة، إضافة إلى عدد كبير من الساسة من مختلف الأحزاب، وفي هذا الاحتفال رحب شوكت شقير رئيس أركان الجيش السوري بصلاح سالم، وأعلن بصراحة تأييده لضرورة عقد اتفاق مع مصر[١٢]. وبذلك بدأت المفاوضات بين الطرفين أسفرت عن توقيع الاتفاق السوري المصري في ٢/آذار/١٩٥٥[١٣]. وتضمن البيان المشترك أو الاتفاق الذي تم التوقيع عليه. نبذ الأحلاف الغربية، وعدم الانضمام إلى

الحلف العراقي – التركي، كما تضمن إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي مشترك، والالتزام بالاشتراك في صد أي عدوان عسكري على بلادهما[١٤].

وفي ضوء ما تضمنته الفقرة الثالثة من الميثاق، بدعوة الأقطار العربية الأخرى للانضمام إليه قام خالد العظم وزير الدفاع السوري وصلاح سالم بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، والتي سرعان ما رحبت بالميثاق بغير تحفظ وبذلك أصبح الاتفاق ثلاثياً[١٥].

والواضح أن الحكومة السعودية، لم تأخذ الاتفاق بمأخذ الجد ولم يوضع موضع التنفيذ، وحتى في سوريا نفسها كانت الحكومة تضم عناصر تقليدية غير متحمسة للاتفاق، ومع ذلك فإن الموقف الحاسم الذي اتخذته سوريا بوقوفها مع مصر ضد الأحلاف كان مثار إعجاب وتأييد الاتحاد السوفيتي الذي أعلن وقوفه لمساعدة سوريا، وبذلك بدأت سوريا منذ حزيران ١٩٥٥ بكسر احتكار السلاح والقيام باستيراد الأسلحة من الكتلة الشرقية وبشروط سهلة[١٦].

هذا وقد استمرت مباحثات الجانبين السوري والمصري من أجل تعزيز العلاقات والعمل على توحيد جهودهما العسكرية للوقوف بصف واحد أمام التوسع الصهيوني في المنطقة العربية، وبعد مناقشات مطولة وقع الجانبان في ٢٠/تشرين الأول/١٩٥٥ اتفاقية الدفاع المشترك بينهما التي عدت نافذة المفعول في ١٨/تشرين الثاني/١٩٥٥[١٧]. وجاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية بأن 'كل اعتداء مسلح على أية دولة منهما أو على قواتهما، اعتداء عليها' ولذلك فإنهما احتفظتا بحق الدفاع الشرعي ملتزمان بأن تبادر كل منهما بالدفاع عن الأخرى بكافة الوسائل الممكنة، ومنها استخدام القوات المسلحة كما شملت المادة الثالثة قيام الدولتين بالتشاور واتخاذ التدابير الوقائية في حالة تعرض المنطقة إلى خطر داهم، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى من خطرها. ولأجل ذلك اتفقت الدولتان

على إنشاء جهاز عسكري منظم يتألف من مجلس أعلى ومجلس حربي وقيادة مشتركة، تقوم بإعداد الخطط العسكرية الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات(*). وبالإضافة إلى ما سبق، أكد الطرفان السوري والمصري على أن اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة بينهما لا تبطل التزاماتهما المترتبة بموجب معاهدة الدفاع المشترك، والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية[١٨].

هذا وقد أعلن الرئيس عبد الناصر في حفل التصديق على هذه الاتفاقية، بقوله "إن هذه الاتفاقية هي فاتحة مستقبل جديد، فالتاريخ يرينا أنه إذا ما اتحدت سوريا ومصر فإنهما ستحميان الجانب الشرقي من – الوطن العربي – من جميع الأخطار التي يمكن أن تهدده وهذا ما حدث بالضبط في أيام الصليبيين، فعندما تحالفت سوريا مع مصر استطاعتا أن تقوما معاً بحماية العالم الإسلامي من الأخطار التي كان يخشاها، أما اليوم فستحمي سوريا ومصر العالم العربي من الصهيونية"[١٩].

وفيما أثارت هذه الاتفاقية ردود فعل لدى نوري السعيد رئيس وزراء العراق وعدنان مندريس رئيس وزراء تركيا واتجاهاتهما، لسلبية، فإن الحكومة البريطانية رددت الذرائع نفسها، ففي تصريح أدلى به الناطق الرسمي لوزارة الخارجية البريطانية أعلن فيه "بأن الاتفاقية جاءت معاكسة لحلف بغداد، لا سيما بعد أن وصلت إلى سوريا القوات المصرية وأخذت أماكنها على طول الحدود المتاخمة لتركيا والعراق"[٢٠].

وفي الوقت الذي ضمنت هذه الاتفاقية لسوريا حماية مصر العربية وأعطتها القوة المعنوية في مجابهة التحديات والتهديدات، فقد أسهمت في تقريب وتوثيق العلاقات بينهما، وفي الوقت نفسه خلق هذا التقارب موقفاً شعبياً وحماساً عارماً أسهم في تأجيج الشعور القومي لدى البلدين، ولقد أعلنت الأحزاب القومية في سوريا تأييدها

ومساندتها للعمل نحو إقامة وحدة بين سوريا ومصر ودعت إلى عمل وحدوي شعبي مستقبلي يكون قاعدة قومية تؤطر التوجيه الفعلي لبناء الوحدة العربية الشاملة(٢١).

إن هذه المواقف أدت إلى جعل العلاقة بين الحكومة المصرية في مصر والقوى الوطنية القومية في سوريا وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي علاقة إيجابية ما لبثت أن تحولت إلى تعاون قائم على الإعجاب والثقة(٢٢) ففي نيسان ١٩٥٦ وبمناسبة عيد استقلال سوريا بادر الحزب إلى طرح شعار الاتحاد بين سوريا ومصر والاندفاع في تعبئة الجماهير والتركيز عليه، وكان الحزب قد مهد إلى ذلك من خلال العديد من المقالات التي كان يكتبها الأستاذ ميشيل عفلق أمين عام الحزب(٢٣). يضاف إلى ذلك رفض البعث المشاركة في حكومة الائتلاف القومي التي أراد تشكيلها صبري العسلي في وزارته الثالثة في حزيران ١٩٥٦، إلا بالموافقة على العمل لتحقيق الاتحاد بين سوريا ومصر، وأن تتبنى الحكومة سياسة الحياد وعدم الانحياز(٢٤). وقد اعترض على هذا الشرط عدد من أعضاء الأحزاب السياسية الأخرى(٢٥). ولكنه في نهاية الأمر تم اتفاق الأحزاب على برنامج واحد دعوا فيه إلى توثيق العلاقة مع مصر والبدء بمفاوضات فورية لقيام الاتحاد معها، وتأكيد سياسة الحياد(٢٦).

وفي ضوء ذلك، أعلن رئيس الوزراء السوري صبري العسلي في بداية تموز ١٩٥٦ في بيان له أمام مجلس النواب، أن وزارته قد عهدت إلى وزير الخارجية صلاح الدين البيطار بالبدء بإجراء مفاوضات للاتحاد الفيدرالي بين سورية ومصر، وقد حظيت تلك الخطوة بمباركة مجلس النواب السوري، من خلال بيان له بتأييد تلك الإجراءات الحكومية(٢٧).

لقد تجاوبت مصر مع سوريا ورحبت بخطواتها الواسعة وأبلغ محمود رياض سفير مصر في سوريا رئيس الجمهورية السورية رسمياً في ٧ تموز ١٩٥٦، أن الحكومة المصرية ترحب بقرار الحكومة السورية

بالاتحاد مع مصر، وأنها مستعدة للدخول في مفاوضات معها لتحقيق الاتحاد الفيدرالي بين البلدين[٢٨]. ومن أجل ذلك أرسلت الحكومة السورية وفداً رفيع المستوى إلى القاهرة برئاسة رئيس الوزراء صبري العسلي وعضوية كل من صلاح الدين البيطار وأحمد قنبر، وقابل الوفد الرئيس المصري جمال عبد الناصر[٢٩]. إلا أن المفاوضات لم تلبث أن تأجلت وذلك بسبب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

وهنا تجدر الإشارة بشأن موقف حزب البعث العربي الاشتراكي حيال العراق والمنشور في صحيفة النذير التي يصدرها وزير الداخلية السوري السيد أحمد قنبر والتي تنطق بلسان حزب الشعب في حلب، حيث نشرت بعددها المؤرخ في ١٩٥٦/٨/٢٧ صورة رسالة مغلقة مرسلة من قبل زعيم الاشتراكيين في سوريا السيد أكرم الحوراني إلى الرئيس جمال عبد الناصر، كما وأنها نشرت في عددها الصادر في اليوم التالي رد عبد الناصر إلى أكرم الحوراني على رسالته المذكورة. وقد أبدى حزب الشعب في الرسالتين المذكورتين رأيه في موقف أكرم الحوراني حيال العراق. أما اعتقاد حزب الشعب بسياسة الحوراني الخارجية وذلك كما ورد في الصحيفة المذكورة والذي يمكن تلخيصه بما يأتي:

١- أن الأسباب التي حدث بأكرم الحوراني وجماعته إلى التزام جانب حكومة الثورة والانضواء تحت لواء مصر ليست ذات علاقة بالمعركة التي خاضتها مصر ضد العراق.

٢- إن سياسة أكرم الحوراني الداخلية والخارجية أيضاً قائمة على أساس محاربة العراق والقضاء على سمعته وإخراجه - إن أمكن- من حظيرة العرب والعروبة. واستبعاد أي تفاهم معه. إذ أن أكرم الحوراني يعيش على حساب هذه الحرب وبها يقوى ويشتد.

٣- إن حزب الشعب يتوقع أن ينقلب أكرم الحوراني على جمال عبد الناصر، كما انقلب من قبل على أديب الشيشكلي وعلى سلفه

حسني الزعيم، وتحقيقاً لهذه الغاية فإن أكرم الحوراني سوف يركز حملاته على عبد الناصر ويسلط الشكوك على أعماله وتصرفاته ويجعل منه أداة جديدة من أدوات الاستعمار في العالم العربي.

٤- إن موقف أكرم الحوراني وجماعته من مشروع الاتحاد المصري والتظاهر بتأييده والدعوة إليه. إنما كان موقفاً مصطنعاً أريد منه أن يكون فصلاً من فصول المعركة التي يخوضها أكرم الحوراني ضد العراق.

٥- إن أكرم الحوراني وجماعته يحارب كل اتجاه لتقريب الصفوف العربية شأنهم في ذلك شأن الصحف المأجورة التي تعيش على التفرقة بين الصفوف العربية.

ومما يلفت النظر ويثير الاستغرب أن القنصلية المصرية العامة في حلب قد اتصلت بالسيد زهدي الجاسر رئيس تحرير الصحيفة المذكورة مستفسرة عن المصدر الذي حصلت منه الصحيفة على الرسالتين المذكورتين. ومما يدعو إلى الغرابة أن القنصلية المصرية قد فاتها أن تعلم بأن الرسائل المذكورة ليست واقعية، بل إنها من وضع رئيس تحرير صحيفة النذير. وأنها في الواقع تعبير عن رأي حزب الشعب في سياسة أكرم الحوراني ومن لف لفه من الاشتراكيين[٣٠].

وبهذا الصدد من الأفكار الواردة المنشورة في الصحيفة المذكورة والطريقة أو الفبركة الصحفية التي تم بها نشر تلك الأفكار لا تهمنا ولكن الذي يهمنا التقويم والتشخيص الذي ورد في تلك الأفكار قبل قيام الوحدة بسنة وخمسة أشهر تقريباً وتحقق أغلب ما جاء في التقويم الوارد بعد سنة وعشرة أشهر من قيام الوحدة بين كانون الأول عام ١٩٥٩ تنصل عن مسؤولية دولة الوحدة أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية ووزير العمل المركزي والسيد صلاح الدين البيطار وزير الثقافة والإرشاد القومي المركزي والسيد مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعي التنفيذي بالإقليم السوري والسيد عبد الغني قنوت

وزير الشؤون الاجتماعية والعمل التنفيذي بالإقليم السوري عندما تقدم هؤلاء باستقالاتهم! ونترك الحكم للقارئ الكريم.

وعلى أي حال كان اتجاه سوريا إلى الحياد بمثابة منعطف جديد في سياستها الخارجية، بحيث جاء بمثابة تغيير شامل في موازين السياسة الدولية في المنطقة، بعد فسح المجال واسعاً أمام تدفق المعونات في الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية من أسلحة وتجارة وتسهيلات أئتمانية وأرصدة وتبادل للزيارات من كل لون، كما اتسع ازدياد النفوذ المصري بشكل واضح في سوريا وفي الشؤون العربية[٣١] وقد لقي الاتجاه السوري الجديد نحو مصر والاتحاد السوفيتي، معارضة شديدة في الداخل والخارج، من أعضاء حلف بغداد والدول الغربية التي تؤازره، فتعرضت سوريا لسلسلة من المؤامرات بهدف تغيير الخط السياسي الذي كانت سوريا تسير عليه، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الصهيونية والبريطانية والفرنسية تعتدي على الجمهورية المصرية، أثناء أزمة السويس، وضعت السلطات العسكرية السورية، يدها على شحنات كبيرة من الأسلحة أثناء محاولة نقلها من العراق إلى سوريا، وباشرت فوراً بالتحقيق ومطاردة الجناة، وقد كشفت تفاصيل المؤامرة أثناء محاكمة المتهمين في دمشق[٣٢].

وعلى إثر اكتشاف المؤامرة، التي كان العراق أحد أطرافها، اتهمت سوريا العراق علناً بالتآمر عليها. وعقد مجلس النواب السوري جلسة في كانون الأول ١٩٥٦ استمع فيها إلى بيان وزير الخارجية صلاح الدين البيطار، الذي أعلن فيه بأن سوريا على علم بتحريض بريطانيا ونوري السعيد لكل من تركيا وإيران والباكستان للقيام بأعمال عنيفة في داخل سوريا لقلب النظام القائم بالقوة[٣٣].

وكان لموقف سوريا الإيجابي والفعال من العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، أثره الكبير في التقارب والانسجام بين القطرين،

فقد خلق حالة شعبية عارمة أسهمت في إعطاء صورة مشرفة ومؤثرة لشخصية عبد الناصر والشعب العربي في مصر، فعلى أثر العدوان الذي بدأ ضد مصر في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ اتصل الرئيس السوري شكري القوتلي قبل سفره إلى الاتحاد السوفيتي، بالرئيس جمال عبد الناصر ليسأله عن الأخبار في الجبهة، وأبدى استعداد سوريا لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك، ولأي عمل تكلفه به القيادة المشتركة، إلا أن الرئيس عبد الناصر، فضل عدم فتح جبهة جديدة، وإبقاء القوات السورية كاحتياط إذا ما تطورت الأمور[٣٤].

ومع ذلك، فإن رئاسة الأركان السورية باشرت يوم ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦ إلى تشكيل قوات عسكرية مكونة من لواء مشاة ولواء مدرعات و ٣ أفواج مدفعية، وقامت بإدخالها إلى الأراضي الأردنية، للتهيؤ مع القوات الأردنية للدخول في المعركة ضد الكيان الصهيوني[٣٥]. فضلاً عن ذلك، قامت الحكومة السورية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع دول العدوان، وتفجير محطات ضخ النفط العراقي المتجه إلى البحر المتوسط تضامناً مع مصر، كما وضعت سوريا إذاعتها تحت تصرف إذاعة صوت العرب بعد قصف مراكز البث في مصر من قبل الدول المعتدية[٣٦].

وبعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، وتعاظم حركة الثورة العربية، وجدت الولايات المتحدة الأمريكية، الفرصة للعمل في سبيل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التركة الاستعمارية، بضرب حركة التحرر العربية، والاستيلاء على حصة الأسد من المصالح الاستعمارية، وانتزاع القيادة من يد الاستعمار البريطاني، هادفة في الوقت نفسه إلى زيادة حدة التوتر الدولي، والقضاء على سياسة الحياد الإيجابي والتعايش السلمي[٣٧]. وكي يتحقق لها ذلك بدأت الولايات المتحدة الأمريكية، سياستها الجديدة بمشروع الرئيس الأمريكي (داويت ايزنهاور) الذي

سمي باسمه والذي طرح في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧، والمتضمن تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لدول الشرق الأوسط الراغبة في ذلك[٣٨]. والحقيقة أن هذا المشروع الذي يسميه الأمريكيون بنظرية (ملء الفراغ)[*] يعطي الحق للولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل العسكري بحرية تامة، دون استشارة أية جهة من الجهات، لضمان حماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للأمم من أي تهديد أو خطر شيوعي[٣٩].

ولكن سرعان ما باءت هذه السياسة الأمريكية بالفشل، بعد أن وقفت القوى العربية التحررية لها بالمرصاد وعلى رأسها الأحزاب والقوى الوطنية والقومية، بكشفها زيف المساعدات المنوي تقديمها والتي ما هي إلا ذريعة استعمارية للقضاء على عبد الناصر، وعرقلة التعاون السوفيتي والمصري لسوريا. وقد أصدرت الحكومة السورية بياناً أبدت فيه رفضها للمشروع الأمريكي، ونفت أن تكون المصالح الاقتصادية ذريعة لإعطاء أي دولة الحق في التدخل في شؤون المنطقة، كما نفت أي تهديد شيوعي مباشر للعالم العربي[٤٠].

وكانت الولايات المتحدة والدول الغربية المؤيدة لها في ذلك الوقت تتذرع بسيطرة الشيوعيين والشيوعية الدولية على سوريا، كوسيلة لإعطاء مبرر لها للتدخل في شؤونها[٤١] حيث لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى أسلوب آخر للضغط على سوريا لجرها إلى جانب المعسكر الغربي، وترك السياسة القومية التي ينتهجها جمال عبد الناصر، فبدأت أولى محاولاتها من أجل إزالة القوى اليسارية المهيمنة على مقاليد السلطة في البلاد، ومن أجل ذلك قامت بتدبير محاولة انقلابية تقوم بها المعارضة السورية المدنية والعسكرية على أن يعزز هذا الانقلاب بتحركات عسكرية على الحدود من قبل الأقطار المجاورة، وأن يقوم الأسطول السادس الأمريكي بتحركات بحرية أمام

السواحل السورية[٤٢]. ورغم كل هذا التخطيط إلا أن هذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح، بعد أن كشفت من قبل الضباط الوطنيين الذين عقدت عليهم الولايات المتحدة الأمريكية، وحينئذ قامت الحكومة السورية في ١٣ أب ١٩٥٧ بتوجيه الإتهام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بالتخطيط والعمل على تنفيذ الانقلاب، وقامت بطرد الموظفين الأمريكيين العاملين في السفارة الأمريكية في دمشق[٤٣].

وعلى الرغم من الضغوط الأمريكية فإن ذلك لم يثن الحكم الوطني في سوريا بالتوقف عن العمل على توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي بما يضمن مصالح سوريا التي وقعت في أب ١٩٥٧ اتفاقية اقتصادية مع السوفيت حصلت سوريا بمقتضاها على مساعدات اقتصادية وتقنية وفيرة[٤٤].

وبعد فشل المؤامرة الأمريكية لإسقاط الحكومة الوطنية في سوريا أصبح واضحاً لدى الدوائر الغربية والولايات المتحدة، بأن الحكم الوطني القائم في دمشق لن يتم إسقاطه إلا بالتدخل العسكري المسلح، ولهذا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالضغط على سوريا من خلال تركيا التي بدأت بتحشيد قواتها على الحدود السورية، بحجة أن شراء دمشق للأسلحة السوفيتية يهدد سلامتها، وكان الموقف التركي مثيراً للاستفزاز، إلى حد أنه ابتدأ من منتصف أيلول، وأصبح الصدام السوري الأمريكي أكثر جدية، غير أنه استبدل بصدام سوري - تركي يقف وراءه الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية[٤٥].

وقد وقف الرئيس السوفيتي 'بولغانين ' موقفاً مسانداً لسوريا، ففي ١٣ أيلول ١٩٥٧ ندد بالتدخل الأمريكي، كما هدد في الوقت ذاته بأن مهاجمة سوريا 'لن تقتصر أثارها على هذه المنطقة وحدها'[٤٦].

وفي غضون هذه الأشهر المضطربة، زار علي جودت الأيوبي رئيس وزراء العراق في ٢٥ أيلول ١٩٥٧، دمشق بناء على دعوة رسمية موجهة له، وأجرى اتصالات رسمية عديدة مع المسؤولين السوريين، وقد صرح عند مغادرته دمشق في ٢٦ أيلول قائلاً: 'أن الاعتداء على سوريا أو على أي بلد عربي أخر يعتبر اعتداء على العراق وعلى البلاد العربية جميعاً'[٤٧] وقد أثارت توجهات الأيوبي هذه أركان النظام الهاشمي في العراق، التي سرعان ما قامت بالإطاحة بوزارته[٤٨].

أما الرئيس عبد الناصر فقد حدد موقف بلاده تجاه الأحداث التي شهدتها سوريا على حدودها الشمالية مع تركيا حيث قال: 'ستقف بجانب سوريا إلى غير حد، أو بدون أي قيد أو شرط، ومهما تكن تطورات الضغط على سوريا فإن شيئاً واحداً وجب أن لا يغيب عن الأذهان، ذلك أن جميع إمكانات مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية، كلها تسند سوريا في معركتها بل معركتنا نحن معركة القومية العربية كلها'[٤٩].

وتنفيذاً لاتفاقية الدفاع المشتركة الخاصة مع سوريا قامت الحكومة المصرية في ١٣ تشرين الأول ١٩٥٧ بإرسال لوائين من القوات المصرية إلى ميناء اللاذقية السوري، مساندة الشعب العربي في سوريا ضد أي عدوان مرتقب[٥٠].

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم سعيد محمد البيضاني، التطورات السياسية في سوريا ١٩٥٤-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة إلى كلية التربية الأولى (ابن رشد) جامعة بغداد ١٩٨٨، ص١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٣) شبلي العيسمي، حول الوحدة العربية، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤، ص٦٣.

(٤) باتريك سيل، مصدر سابق، ص٣٥١.

(٥) إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سابق، ص١٧٢.

(٦) أحمد عبد الرحيم مصطفى، (دكتور) الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص١٥٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ص١٦٠- ١٦١.

(٨) ناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١، ص٣٦٨.

(٩) محمد السيد سليم (دكتور)، التحليل السياسي الناصري، دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠٠.

(١٠) محمد حسنين هيكل، قصة السويس، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، د. ن، ص٢٤.

(١١) ناصر الدين النشاشيبي، المصدر السابق، ص ص٣٦٨-٣٦٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص٣٧، وكذلك إبراهيم سعيد البيضاني، المصدر السابق، ص١٧٣.

(١٣) خالد العظم، مذكرات خالد العظم، ج٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ص٣٨٩.

(١٤) المصدر نفسه، ص٣٨٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

(١٦) صلاح العقاد، مصدر سابق، ص١٦٤.

(١٧) أنظر نص الاتفاقية في مجلة الأبحاث (اللبنانية)، السنة الثانية، الجزء الرابع، بيروت، كانون الأول، ١٩٥٥، ص ص٢٢٧-٢٣١.

(*) بعد مرور شهرين من توقيع الاتفاق العسكري الثنائي أصبح اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية المصري قائداً عاماً للقوات المسلحة في القطرين، أنظر جورج خوشيه، جمال عبد الناصر- طريق الوحدة والبناء، ترجمة نجدة هاجر وسعيد القرز، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١، ص٦٧٩.

(١٨) مجلة الأبحاث، المصدر السابق نفسه، ص٢٣٠.

(١٩) باتريك سيل، مصدر سابق، ص٣٣٢.

(٢٠) سامي الحكيم، الضمان الجماعي العربي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهر، ١٩٦٥، ص١٥٧.

(٢١) صباح ياسين (دكتور)، الفكر والقضايا القومية في الصحافة العربية، دراسة مقارنة للصحافة في مصر والعراق، دار الشروق الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص١٠٨.

(٢٢) شبلي العيسمي، الوحدة العربية كعقيدة استراتيجية في فكر البعث ونضاله، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، السنة ١٣، بغداد، شباط ١٩٨٨، ص١٠.

(٢٣) للإطلاع على بعض هذه المقالات راجع ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص ص٢٠٩- ٢٣٤.

(٢٤) شبلي العيسمي، مصدر سابق، ص٩.

(٢٥) إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سابق، ص١٩٣.

(٢٦) صلاح العقاد، مصدر سابق، ص١٦٣.

(٢٧) محمد عبد العزيز أحمد (وآخرون)، تجربة الوحدة بين مصر وسوريا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ص ص٦٤-٦٥.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٢٩) باتريك سيل، مصدر سابق، ص٢٨٨.

(٣٠) وزارة الخارجية، القنصلية الملكية العراقية، حلب، و٢٦٦٣، الرقم ٢٣٧/٨/١، والمؤرخ في ١٩٥٦/٨/٢.

(٣١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصدر سابق، ص١٦٢.

(٣٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ط٤، ص١٠٠، وكذلك صلاح الدين إسماعيل الشيخلي، العلاقات العراقية- المصرية بين عامي ١٩٥٢- ١٩٦١، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٦٤.

(٣٣) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص٤٥٢، وللمزيد من التفصيلات حول الموضوع أنظر محمود رياض، مذكرات محمود رياض، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص١٧٢-١٧٤.

(٣٤) أنظر نص بيان القائد العام للقوات المصرية المرسلة صورته من السفارة العراقية في القاهرة بكتابها المرقم ٤٣ في كانون الأول ١٩٥٦ في د. ك. و، وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٣١١/٤٨٠٤، وكذلك محمد حسنين هيكل، قصة السويس، ص٢٤١.

(٣٥) إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سابق، ص١٨٦.

(٣٦) المصدر نفسه، وكذلك محمود رياض، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٥٥–١٥٧.

(٣٧) عزيز شريف، الأحلاف والتكتلات الاستعمارية، مطابع دار الهنا، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٠.

(٣٨) أمين هويدي، حروب عبد الناصر، دار الطليعة، بيروت، ص١٠٨.

(❖) تستند هذه النظرية على قيام الولايات المتحدة الأمريكية بملء الفراغ الذي ولده انسحاب قوة ونفوذ الدول الاستعمارية السابقة في المنطقة (بريطانيا وفرنسا) بعد فشلها في معركة السويس وتأميم القناة عام١٩٥٦.

(39) Gordon water Field Egypt. Thames and hudsori London, 1967, P.177.

(٤٠) جاك دومال وماري نوروا، جمال عبد الناصر، ترجمة ريمون نشاطي، دار الآداب، بيروت، ط ٤، ١٩٧٣، ص١٠٨.

(٤١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصدر سابق، ص١٦٥.

(٤٢) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٦١.

(٤٣) أحمد عبد الكريم، أضواء على تجربة الوحدة، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٢، ص ص٧٦–٧٩، وكذلك أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصدر سابق، ص١٦٦.

(٤٤) إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سابق، ص١٥٨، وكذلك محمود رياض، مصدر سابق، ص١٨٥.

(٤٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصدر سابق، ص١٦٦.

(٤٦) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص٤٦، وكذلك صلاح الدين الشيخلي، مصدر سابق، ص ص٢٦٥–٢٦٦.

(٤٧) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٤٨) صحيفة البلاد، ٢٧ أيلول ١٩٥٧.

(٤٩) أنظر نص التصريح الذي أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر في ٩ أيلول للأهرام في مؤسسة الأهرام 'مصر وأمريكا' عرض تاريخي مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في مؤسسة الأهرام، د. ت، ص ص٢٢–٢٣.

(٥٠) صحيفة الأنوار اللبنانية، في ١٩٧٨/١٢/٧، وكذلك محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، ص٢٦٩، وكذلك طاهر أبو فاث الجمهورية العربية المتحدة، د. م، ١٩٥٨، ص١٠١.

ثانياً: إعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة:

استطاع الرئيس عبد الناصر، بتحقيقه عدد من الإجراءات التحررية (إجلاء القوات البريطانية عن القناة، تأميم قناة السويس، والوقوف ضد الأحلاف الغربية) أن يتحول إلى رمز للحركة القومية المعاصرة فبايعه، عبر هذه الحركة أغلبية العرب بزعامة لم يحصل عليها من قبل أي زعيم آخر، لا من حيث اتساع أفقها أو شمولها ولا من حيث نوعيتها فهي تنتشر في أقطار لا سلطة لعبد الناصر فيها، بل في أقطار تسعى حكومتها لمنع النفوذ الناصري بكل 'قواها'[1].

ففي عام ١٩٥٧ توضحت سياسة عبد الناصر ونجاحها بالمنطقة، مما زاد في مخاوف الملك حسين فانقلب ضد كل ما يمت لعبد الناصر وسياسته بصلة. فانقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الأردن ومصر، متحججاً بأن مصر قد أشاعت دعايات ضد الملك حسين وكذا كان الحال بالنسبة للسعودية ولبنان اللتين شعرتا بخطورة المكانة والشهرة التي حققها عبد الناصر، أما في العراق فلم ينفك قادته من بيان ولائهم للغرب، وكنتيجة لكل تلك الأوضاع التي أحاطت بمصر ورئيسها، وجدت سوريا ومصر نفسيهما في خندق واحد[2].

ومنذ ذلك الحين، بدأ تقارب القطرين يأخذ مساراً واضحاً في اتجاهه نحو تحقيق الوحدة بينهما ففي ٢٢ تموز ١٩٥٧، أشار الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب له أمام مجلس الأمة المصري، إلى الموقف السوري المشرف في العدوان الثلاثي، وإلى رغبة سوريا ودعوتها للاتحاد مع مصر[3]. وقد سبق للرئيس المصري أن أعلن أمام وفد برلماني سوري، زار القاهرة في تموز ١٩٥٧، بأن الحكومة المصرية مستعدة للدخول في مباحثات مع الجانب السوري لتحقيق الاتحاد بين مصر وسوريا فوراً[4].

وإلى جانب ذلك أكد الرئيس السوري شكري القوتلي في خطاب له في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧، أن تحقيق الوحدة مع مصر سيكون في

القريب العاجل، كما أوضح في الوقت نفسه، كيفية تحقيقها، حيث قال 'أننا نريدها- الوحدة- التي تقوم على أسس علمية قانونية سليمة، وأكد على أهمية الخطوات والاتفاقيات العسكرية والاقتصادية والثقافية التي تمهد لقيام الوحدة بين سوريا ومصر'[٥].

وعلى الصعيد نفسه، زار وفد كبير من أعضاء مجلس الأمة المصري برئاسة أنور السادات سوريا، منتصف تشرين الثاني ١٩٥٧، تلبية لدعوة موجهة إليه، وقد التقى أعضاء الوفد المصري مع أعضاء لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب السوري في ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٧، استعرض فيه الجانبان الخطوات والاتفاقيات التي عقدت بينهما وفي هذا اللقاء، تقدم الجانبان باقتراح إلى مجلس النواب السوري جاء فيه[٦]: 'أن نواب المجلسين إذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسوريا بإقامة اتحاد فدرالي بين القطرين، يباركون الخطوات العلمية التي اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعون حكومتي مصر وسوريا للدخول فوراً في مباحثات مشتركة، بغية استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد'.

وبناءاً على ذلك، اجتمع في ١٨ تشرين الثاني، مجلس النواب السوري برئاسة السيد أكرم الحوراني وبحضور أعضاء وفد مجلس الأمة المصري، وقرر المجتمعون في هذه الجلسة المشتركة، الموافقة على قيام الاتحاد بين سوريا ومصر، واصدروا بياناً مشتركاً تضمن الإشارة إلى تأكيد الدستور في مصر وسوريا إلى أنهما جزء من الأمة العربية، وبناء على ذلك يعلنون القرار الآتي 'إن نواب المجلسين المجتمعين إذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسوريا بإقامة اتحاد (فيدرالي) بين القطرين يباركون الخطوات العلمية التي اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية، في سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعون حكومتي مصر وسوريا للدخول فوراً في مباحثات مشتركة، بغية استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد'[٧].

وفي ضوء ما تم في سوريا، اجتمع مجلس الأمة المصري، مساء اليوم نفسه (١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧) وقرر الموافقة بالإجماع على القرار الذي أصدره مجلس النواب السوري، بالاشتراك مع أعضاء وفد مجلس الأمة المصري، وقد أبرق عبد اللطيف البغدادي رئيس مجلس الأمة المصري إلى السيد أكرم الحوراني يبلغه بهذا القرار[٨]. ومن جانب أخر فقد كان العسكريون يقومون بمحاولة تكتل على نسق مجلس الثورة في مصر وهو يضم بضعة عشر ضابطاً ومنهم اللواء عفيف البزري والزعيم أمين نفوري والمقدم عبد الحميد السراج والمقدم أحمد عبد الكريم والمقدم طعمة العودة الله والمقدم أحمد جنيدي والمقدم عبد الله جسومة مدير الشرطة والزعيم جمال فيصل قائد الدرك والمقدم محمد الجراح وهم يسعون بألا يضموا إلى هذه الهيئة أحداً من المعروفين بولائهم لأحد الأحزاب السياسية بما فيها حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد تقرر عدم ظهور هذه الهيئة بصورة سافرة إلا بعد عودة أعضائها الغائبين في البعثات العسكرية كما أن نيتهم انصرفت إلى تأليف حزب سياسي باسم الاتحاد القومي على نحو ما جرى في مصر منذ الانتخابات القادمة. والمعروف أن الجهات المصرية حاولت التوفيق بين العسكريين وحزب البعث العربي الاشتراكي بصورة خفية لئلا نصطدم بالعسكريين الذين يمانع بعضهم الاتفاق مع البعثيين كالزعيم أمين نفوري الذي يطمح برئاسة مجلس الثورة[٩]..؟!

ومن هذه الوثيقة يستشف الباحث بأن المناورات السياسية والتكتلات العسكرية كانت تمثل أحد المحاور التي قامت عليها الوحدة عام ١٩٥٨ وبعبارة أدق أن عدم حسن النوايا للأطراف التي طالبت بالوحدة كانت السمة المميزة لتلك الأطراف وكان ذلك سبباً مكملاً للأسباب الأخرى التي ساهمت في محاولة وأد الوحدة قبل ولادتها...! ومما يؤيد ما ذهبنا إليه فأنه بعد عودة الدكتور عبد الرحمن الكيالي من مصر فقد بدأ التقارب والتنسيق بين الحزب الوطني وحزب البعث للتعاون في الحملة الانتخابية ضد خالد العظم وأنصاره لا سيما الشيوعيين، وقد بذل الرئيس شكري

القوتلي جهده لضم حزب الشعب إلى كتلة البعث والوطني إلا أن البعثيين كانوا يخشون العسكريين ويقاومون أي تعاون مع حزب الشعب، وحاول خالد العظم أن يقنع القوتلي على تأيده لتأليف وزارة برئاسته أي (العظم) تؤمن له الأكثرية ويسندها العسكريون ولكن القوتلي رفض ذلك بحجة أنه لا يتدخل بين الأحزاب، لكنه عمل من طرف خفي بالتعاون مع صبري العسلي والبعثيين على إحباط خطة خالد العظم(١٠).

أما موقف مصر من هذه التطورات فهل يا ترى هل أن عبد الناصر كان يعلم بما يجري من هذه التحالفات داخل الشارع السياسي السوري...؟ ويقيناً أن الشعب السوري أحب عبد الناصر وأراد تحقيق الوحدة بأي شكل من الأشكال متجاوزاً بتلك كل ما تضمر أحزابه وفئاته من غايات ومقاصد ولذا يمكن القول أن المشاعر السورية تجاه الوحدة هي التي شكلت ركناً مهماً للضغط على تلك الأحزاب والفئات في التعجيل بإعلان الوحدة.

لقد كانت القاهرة والرئيس عبد الناصر في هذا الوقت قبلة العناصر الوطنية في الجيش السوري، وكان هذا التوجه يلقي استجابة كاسحة في الشارع السوري، وبدأ حديث الوحدة مع مصر يقوى في دمشق ويزداد قوة مع كل يوم، فلم يعد هذا المطلب أملاً قومياً حسب، ولكنه أصبح أيضاً، ملاذاً للأمن ضد كل مؤامرات الغزو من الداخل(١١).

وفي الوقت الذي تولدت فبه قناعة نواب الشعب السوري بأهمية تحقيق الوحدة مع مصر- تحرك الجيش السوري- راغباً بأخذ زمام هذه المبادرة، ليحولها إلى واقع حقيقي وسريع، ويتوج نضال الشعب السوري بأحزابه السياسية، وبتحقيق الخطوة المهمة وهي الوحدة مع مصر وعلى هذا الأساس بدأ مجلس القيادة(*)، تحركه السياسي، فقرر الضباط في قيادة الجيش والمؤتلفون ضمن مجلس القيادة، عقد اجتماع عاجل لتدارس الأمر وذلك بعد أن توضح لهم أن الرئيس عبد الناصر كان متخوفاً من الجيش السوري، ومن التكتلات السياسية الموجودة فيه(١٢).



قبل عهد الوحدة، على مائدة المرحوم شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية. من اليمين: عبد الحميد السراج، البير عرنوق، عبد الكريم زهر الدين، أمين أبو عساف، جان منصور، شكري القوتلي، شوكت شقير، أمير شلاش، فؤاد قربي، أمين النفوري.

وبعد مناقشات مطولة، حدد الضباط موقفهم في مذكرة وجهوها إلى الرئيس المصري والحكومة السورية، تدعو إلى ضرورة الإسراع بإقرار البناء الأساسي للوحدة الشاملة مع مصر والمباشرة بتنفيذه فوراً(١٣)، كما حدد الضباط أيضاً، الشكل الذي ستكون عليه بوحدة بأنها وحدة اندماجية كاملة بين القطرين(١٤)، وكي يتحقق هذا، اقتراح قائد الجيش السوري عفيف البرزي، تشكيل وفد من بينهم للسفر إلى القاهرة وإيصال هذه المذكرة إلى الرئيس عبد الناصر والمطالبة بتحقيق الوحدة الاندماجية(١٥).

ومهما تكن النوايا وراء ذلك الموقف فقد كانت استجابة الضباط البعثيين سريعة لهذا المقترح، لأنهم كانوا يؤمنون به ويسعون إليه، وكذلك أيده الضباط الوطنيون في الجيش وتقرر السفر في تلك الليلة نفسها وهي يوم ١٢/كانون الثاني/١٩٥٨(١٦).

سافر وفد الضباط السوريين المؤلف من ١٤ ضابطاً إلى القاهرة دون إعلام الحكومة السورية، وذلك بعد أن اتخذوا قرارهم بتسليم المذكرة إلى الحكومة السورية في اليوم الثاني، من أجل الضغط عليها والتسليم بالأمر الواقع بتحقيق الوحدة الفورية(١٧).

ورغم هذه الجهود فقد كان عبد الناصر لا يحبذ التسرع في مثل هذه الأمور المصيرية، وكانت وجهة نظره تتلخص في أنه يوافق على الوحدة بين مصر وسوريا، إلا أن الأمر يتطلب وقتاً وأن يتم بخطوات إجرائية تخطوها الدولتان وأنه يرى أن القضية أخطر بكثير من مجرد إجراء يتخذ لمواجهة أزمة طارئة معينة، وأن الوحدة لكي تقوم على أساس سليم ينبغي أن يجري الإعداد لها بعناية، وفي تقديره أن هذا الإعداد يقتضي فترة لا تقل عن خمس سنوات(١٨) ولكنه مع ذلك وبعد 'أن لمس أن الجماهير والقوى السياسية في سوريا شديدة الحماس والإخلاص للاتحاد بين القطرين استجاب لهذه الحماسة واندفع لاستغلالها(١٩).

وقد استطاع الرئيس عبد الناصر بعد مقابلته وفد الضباط السوريين، من الإحساس العميق بحماس الضباط واندفاعهم لتحقيق الوحدة، إلا أنه رغم ذلك قال لهم بأنه لا يستطيع التعامل معهم دون علم من الحكومة السورية الشرعية في دمشق[٢٠] ولهذا قام الضباط بإرسال مندوب عنهم إلى سوريا، للاتصال بالحكومة وبما عزموا عليه مع الرئيس عبد الناصر، فاجتمع على أ ثر ذلك مجلس الوزراء السوري في ١٥ كانون الثاني ١٩٥٨، وفوض الأستاذ صلاح الدين البيطار، وزير خارجية سوريا بالبحث مع الرئيس عبد الناصر في موضوع الوحدة[٢١] وفي ١٦ كانون الثاني التقى الأستاذ البيطار بحضور وفد الضباط السوريين بالرئيس عبد الناصر، وطلب منه بشكل رسمي إقامة الوحدة بين القطرين، إلا أن الرئيس المصري، وبعد مناقشات مطولة كانت له تصوراته وآراؤه الخاصة لتحقيق الوحدة، والتي بينها لأعضاء الوفد السوري والتي تتلخص بإجراء استفتاء شعبي على الوحدة، كي يعبر فيها الشعب عن رأيه الحر بها والموافقة على إيقاف النشاطات الحزبية في سوريا وحل تنظيماتها، بالإضافة إلى وقف تدخل الجيش في السياسة وأن ينصرف إلى مهامه العسكرية[٢٢]. فقد كان الضباط السوريون ينظرون إلى الوحدة في أنها السبيل الوحيد لإنقاذ سوريا من أي تأثيرات شيوعية خارجية[٢٣]، ولهذا أعلن الضباط استعدادهم بعدم انشغال الجيش بالسياسة، وأشعر الأستاذ ميشيل عفلق أمين عام حزب البعث العربي الاشتراكي الرئيس عبد الناصر موافقته على حل الحزب، كما وافقت بقية الأحزاب الأخرى باستثناء الحزب الشيوعي السوري، وشكلت لجنة لبحث شؤون الوحدة، وقد ضمت وزير خارجية سوريا ورئيس أركان جيشها وأربعة من أعضاء المجلس العسكري يمثلون كافة الاتجاهات السياسية في الجيش[٢٤].

وفي اليوم الاول من شهر شباط ١٦٥٨ عقد الرئيسان جمال عبد الناصر وشكري القوتلي في قصر القبة في القاهرة جلسة تاريخية، وبحضور ممثلي الجمهوريتين أعلن فيها المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل، وثقتهم العميقة، في وجوب توحيد سوريا ومصر، في دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة[٢٥] كما اتفق المجتمعون على أن نظام الحكم في الجمهورية العربية، نظام ديمقراطي رئاسي، يتولى هذه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه الوزراء، كما يتولى السلطة التشريعية، مجلس تشريعي واحد وعلم واحد وجيش واحد، وقرر المجتمعون أيضاً على إجراء استفتاء في القطرين الشقيقين للموافقة على قيام الوحدة وعلى اختيار رئيس الجمهورية[٢٦].

أشاد الرئيس شكري القوتلي بإعلان الجمهورية الجديدة قائلاً: 'إننا بإعلاننا وحدة الجزئين العربيين... لم نأت بجديد لجعلهما وطناً واحداً في جميع مرافقه وشؤونه، بلا تفريق ولا تميز... بل أننا نصحح الأوضاع ونعيدها إلى أصولها، وننسجم بذلك كل الانسجام مع خصائص الوجود العربي'[٢٧]. كما عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن فرحته بهذه المناسبة قائلاً: 'نشعر جميعاً أننا استطعنا أن نقيم دولة عظمى ودولة قوية حقيقية لأول مرة 'لأن' أعداءنا أرادوا دائماً أن يقسموا الأمة العربية إلى أمم صغرى، يتحكمون فيها ويسيطرون عليها[٢٨].

كما أوضح الرئيس عبد الناصر في خطاب له في ٥ شباط ١٩٥٨، إلى أن دولة الوحدة دولة تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوي ولا تضعف، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تشد أزر الصديق، تدك كيد العدو، لا تتحزب ولا تتعصب، لا تتحرف ولا تتحاز، تؤكد العدل وتدعم السلام، توفر الرخاء لها، ولمن حولها للبشر جميعاً بقدر ما تتحمل وتطبق[٢٩].

ويذهب الرئيس عبد الناصر إلى القول: 'أن الذين لا تروقهم وحدة سوريا ومصر، ولا توافق أغراضهم، لن يتقبلوها بالرضا والسكوت، وإنما

ستكون المساعي، وستكون المحاولات وستكون المناورات[٣٠] ويبدو أن التهديد المتوقع للوحدة، قد برز بالفعل من القوى المضادة لها إذ ما أن جاءت نتيجة الاستفتاء الشعبي في سوريا ومصر حول قيام الوحدة ورئاسة الدولة الجديدة في يومي ٢١ و ٢٢ شباط ١٩٥٨[*]،حتى بدأت المؤامرات من أجل إجهاضها وهي في المهد. فبعد شهر من قيام الجمهورية العربية المتحدة أعلن عبد الناصر عن اكتشاف مؤامرة، كان بعدها الملك سعود بن عبد العزيز، ملك العربية السعودية، تستهدف اغتياله وتخريب الوحدة، وذلك بمحاولة شراء ذمة العقيد عبد الحميد السراج رئيس المخابرات السوري، من خلال رشوته بمبلغ مليون و٩٠٠ ألف جنيه[٣١] وجزاء هذه الفضيحة، اضطر الملك سعود للانزواء وتسليم السلطة إلى أخيه الأمير فيصل، الذي كان أكثر تهيئة للوقوف أمام عبد الناصر[٣٢].

لقد كان لإعلان الوحدة المصرية السورية، الأثر الكبير لدى العديد من الدول العربية والأجنبية وذلك 'لأن الاتحاد المصري-السوري سيمارس جذباً قوياً على الرأي العام في الدول العربية المجاورة، وأن هذا ما يجعل الجهود المصرية السورية أكثر خطراً[٣٣]، ومن البديهي أن يحس نوري السعيد والملك حسين وكميل شمعون بالخطر ضدهم، كما اشترك في الإحساس بها أيضاً كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني[٣٤].

كان أعضاء ميثاق بغداد يعقدون جلستهم الختامية في (أنقرة) عندما وصلتهم أخبار الوحدة المصرية السورية المرتقبة وبطلب من (جون فوستر دلاس) وزير الخارجية الأمريكي راح أعضاء الميثاق يناقشون، في اجتماع خاص، تقارير الوحدة الوشيكة بين مصر وسوريا. وقد اتفق أعضاء الميثاق على أن الوحدة. ستحدث وضعاً خطيراً في لبنان والأردن، وبشكل نهائي على السعودية والعراق، كما اتفقوا على خطوات يمكن القيام بها للعمل ضد الوحدة، وذلك من خلال قيام اتحاد وثيق بين الأردن والعراق والسعودية، فضلاً عن تشجيع المعارضة داخل سوريا، وتكثيف الجهود الرامية إلى بث

تتح له فرصة أخذ القرار الحر، والذي سيخسر سيادته دون أن تتاح له فرصة الاحتجاج[٣٥].

وعلى العموم، أخذ أعضاء ميثاق بغداد، وعلى الأخص العراق وتركيا، يتتبعون باهتمام شديد التطورات التي نتجت عن هذا القرار، الذي أقلق هذه الدول كثيراً، وكان الانزعاج بادياً على وجه نوري السعيد، أكثر من غيره، جراء التطورات التي حصلت مؤخراً[٣٦] ولذلك، اعتبرت الأسرة الهاشمية وحكومتها في العراق، أن الوحدة بين مصر وسوريا، تشكل تهديداً لكيان ونظام العراق، في ضوء ذلك، حدد العراق موقفه منها برفض الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة المنبثقة عنها[٣٧]، كما حاولت الحكومة العراقية أيضاً، العمل على تطويق الجمهورية العربية المتحدة، وعزلها عن طريق عدم اعتراف الدول العربية والأجنبية بها[٣٨].

وفي برقية إلى وزارة الخارجية العراقية من سفارتها في أن العراقيين والأردنيين قدموا مقترحاً إلى الأمريكان بعدم الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، وأن الحكومة التركية أخبرت السفير الأميركي في أنقرة أنها تنوي بطلب من العراقيين الامتناع عن الاعتراف بها، وطالبت الحكومة التركية باسم حلف بغداد من حكومة الولايات المتحدة أن تقوم بالمثل وارتأت تركيا بأن النزاع المصري السوداني يمكن أن يتخذ ذريعة لتلك ومن جانب أخر يعتقد الأميركان أن الإيرانيين ربما، وتحت ضغط الأتراك والعراقيين، يتحفظون على قرارهم بالاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة.

وتفيد المعلومات من كراجي أن العراقيين أبلغوا الحكومة الباكستانية بموقفهم، لكنهم لم يطالبوا الباكستان بأن تحذو حذوهم[٣٩].

وتنفيذاً لما اتخذه أعضاء ميثاق بغداد، رداً على الوحدة المصرية-السورية، ولإعاقة التفاف الدول العربية حول الجمهورية العربية المتحدة، فقد أعلن في الرابع عشر من شباط ١٩٥٨، إقامة اتحاد بين العراق

والأردن، وقد وجهت الدعوة إلى الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية للمشاركة في هذا الاتحاد إلا أنه اعتذر عن المشاركة[٤٠].

وكان عبد الناصر يدرك مسبقاً أن الوحدة لابد لها من أن تواجه مؤامرات الاستعمار والرجعية العربية، فقد أشار إلى ذلك أثناء خطاب له في رجال القوات المسلحة المرابطة على الحدود السورية الفلسطينية، يوم ٢٧ شباط ١٩٥٨ حينما قال: 'إن أعوان الاستعمار في أرجاء الأمة العربية، لا يمكن مطلقاً أن يؤمنوا بأهداف الأمة العربية، لأنهم باعوا أنفسهم للاستعمار وباعوا ذمتهم للاستعمار وأن هؤلاء الناس، أيها الأخوة المواطنون- هم أكبر خطر على الجمهورية العربية المتحدة، وقوتكم تهديد لهم وتهديد لمصائرهم، ولهذا فنحن حينما نعلن من هذا المكان أننا سنحارب أعوان الاستعمار في كل قطر عربي، وفي كل بلد عربي، وسنساعد الأحرار في كل مكان، ونحن بذلك إنما ندافع عن وطننا وإنما ندافع عن استقلالنا'[٤١].

ومع كل ذلك فإن جميع هذه المؤامرات لم تثمر بأي شيء، بل جاءت نتائجها عكسية، خاصة على النظام الملكي في العراق، إذ سرعان ما أعطت الوحدة لمصرية- السورية، والتآمر عليها، قوة زخم لعمل الضباط الأحرار العراقيين للإسراع في تنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وإسقاط النظام الملكي.

وعلى العموم، حققت الوحدة المصرية- السورية جماهيرية واسعة على الصعيد الشعبي في العراق، فعلى الرغم من التعتيم الإعلامي الذي مارسته الحكومة العراقية لمنع الجماهير من إظهار مشاعرها بهذا الحدث التاريخي، انهالت على الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي برقيات التأييد والتبريكات بقيام الوحدة، مؤكدة لهما بأن الوحدة المصرية- السورية هي اللبنة الأساسية في الوحدة العربية الشاملة المرتقبة، وتمنوا لها النصر على الاستعمار وأحلافه أعداء القومية العربية.

المصادر والمراجع

(١) أنيس صايغ، مصدر سابق، ص١٥٧.

(2) Delek Hopwood, Egypt, Politic and socity 1945-1981, geoge Alien, London, P.58.

(٣) صحيفة البلاد، ٢٣/تموز/١٩٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ٣١/تموز/١٩٥٧.

(٥) إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سابق، ص ص ١٩٤- ١٩٥.

(٦) رياض طه، قصة الوحدة والانفصال، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٤، ص٩٦، وكذلك محمد عزة دروزة. مصدر سابق، ص١٥٠، وكذلك طاهر أبو فاث، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٧) محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ص ١٥٠، وكذلك رياض طه، مصدر سابق، ص ٩٥، وللمزيد أنظر نصوص الخطابات التاريخية للجلسة النيابية المشتركة، محمد عطا، الجمهورية العربية المتحدة، سلسلة اخترنا لك، القاهرة، د. ت، ص ص١١٦-١٣٦.

(٨) د. ك. و. تقرير السفارة العراقية في القاهرة ذي الرقم ١٠١١ في ١٩٥٧/١١/٢٧، و١٦، ص٢٤. وكذلك محمد عزة دروزة، مصدر سابق ص ص١٥٠-١٥١.

(٩) د. ك. و، وزارة الخارجية، برقية واردة من دمشق، و٤٠، وبتاريخ ١٩٥٨/١/٥.

(١٠) المصدر نفسه، وبتاريخ ١٩٥٨/١/٩.

(١١) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، ص٢٤٣.

(*) وهو مجلس عسكري يتكون من كبار ضباط الجيش السوري، شكل بعد آذار ١٩٥٧ من العناصر الوطنية والقومية وكان بمثابة القيادة العليا للجيش فيما يتعلق بالتخطيط والإعداد والترقيات، كما كان يقوم بمناقشة الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية لسوريا، وحمايتها فضلاً عن مراقبة الحكومة السورية والحيلولة دون انحرافها عن الخط القومي. أنظر علي الدين هلال (دكتور)، الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨- ١٩٦١، مجلة المستقبل العربي، السنة الثامنة، العدد ١٣، آذار ١٩٨٠، ص٦٩، وللمزيد من التفاصيل أنظر إبراهيم سعيد البيضاني مصدر سابق، ص ص١٢٨-١٣١.

(١٢) إبراهيم سعيد البيضاني، المصدر نفسه، ص٢٠٦.

(١٣) أحمد عبد الكريم، أنظر نص المذكرة، مصدر سابق، ص٩٢.

(١٤) محمود رياض، مصدر سابق، ص٢١٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص٢١٣.

(١٦) المصدر نفسه، ص٢١٢.

(١٧) أحمد عبد الكريم، مصدر سابق، ص٩٠.

(١٨) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ص٢٧٢-٢٧٣.

(١٩) شبلي العيسمي، مجلة آفاق عربية، ١٩٨٨، مصدر سابق، ص١٢.

(٢٠) محمد الجراح، ذكريات شخصية حول إجراءات تجربة الوحدة، آفاق عربية، العدد الثاني، السنة ١٣/ شباط/١٩٨٨، ص٢٩.

(٢١) صحيفة الأخبار في ١٦/كانون الثاني/١٩٥٨.

(٢٢) محمد الجراح، المصدر السابق نفسه، ص٢٩، وكذلك محمد حسنين هيكل ماذا جرى في سوريا، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٢، ص ص٣٦-٣٧.

(23) Delek Hopwood, opcit, P.57.

(٢٤) عوني عبد المحسن، فرسخ، الوحدة في التجربة، دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨، دار المسيرة، بيروت، د. ت، ص١٠٠.

(٢٥) أنظر نص البيان التاريخي الصادر عن الأجتماع في قال الرئيس، مجموعة خطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر، دار الهلال، د. ت، ص ص٢٨٦-٢٧٨.

(٢٦) قال الرئيس، المصدر نفسه، ص٢٨٧.

(٢٧) أنظر نص خطاب الرئيس السوري شكري القوتلي: في قال الرئيس، المصدر نفسه، ص ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢٨) أنظر نص خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المصدر نفسه، ص ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢٩) أنظر نص الخطاب التاريخي للرئيس جمال عبد الناصر في المصدر نفسه، ص ص٢٩٢- ٣٠١.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٣٠٠.

(*) كان عدد المؤيدين لقيام الوحدة في سوريا ١,٣١٢,٨٥٩ من عقد المشاركين البالغ ١,٣١٣,٠٦٩ أما في مصر، فكان عدد المؤيدين ١,١٠٢,١٢٨ من عدد المشاركين البالغ ٦,١٠٤,٢٥٩، وقام الرئيس شكري القوتلي، بالتضحية وعدم ترشيح نفسه مرشحاً الرئيس جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة، وكان عدد المؤيدين في سوريا ١,٣١٢,٨٠٨ من

عـدد المشـاركين البـالغ ٩٥٩ . ٣١٢ . ١ وكـان عـدد المؤيديـن لـه فـي مصـر ٦,١٠٢,١١٦ مـن عـدد المشـاركين البـالغ ٦,١٠٤,٢٦٢ وبذلـك حصلـت الوحدة والرئيس ناصر على إقبال واسع بنسبة ٩٩٪ من أصوات الشعب في القطرين السوري والمصري، وللمزيد من المعلومات أنظر: إعلان نتيجة الاستفتاء الصادر من وزارة الداخلية المصرية بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٥٨ في طاهر أبو فاث، مصدر سابق، ص ص١٣٩- ١٤٢، وكذلك صحيفة الأخبار، في ٢٣ شباط ١٩٥٨، وأنظر نص البرقية التي وجهها الرئيس القوتلي إلى الرئيس ناصر بتاريخ ٥ شباط ١٩٥٨ في د. صابر فلحوط، نحو الوحدة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٧٩، ص١١١.

(٣١) للمزيد من التفاصيل أنظر: قال الرئيس، مصدر سابق، ص ص٣٤٦-٣٤٨، وكذلك محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ص٢٩٩-٣٠٥.

(32) Delek Hopwood, Opcit, P.60.

(33) Fo.371/13488, Secret, from foreign office to beirut no. 99 January. 28/1958.

(٣٤) ارسكين تشيلدرز، الطريق إلى السويس، ترجمة صبري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر د. ت، ص٣٨٥.

(35) Fo.371/13486, from Ankara to Foreign office No. 195 Top Secret January. 28/1958.

(٣٦) ولد مار غولن، عراق نوري السعيد، انطباعاتي عن نوري السعيد بين سنة ١٩٥٤-١٩٥٨، مطبعة مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت ١٩٦٥، ص ص١٤٩- ١٥٠.

(37) Fo.371/13486, Top Secret, from Baghdad to Foreign office No. 162 February 5/1958.

(٣٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١٠، ص١٨٧.

(39) Telegram from Washington to Foreign office No. 432 February 21/1958.

(٤٠) صلاح الدين الشيخلي، مصدر سابق، ص٢٧١، وكذلك أنظر نص إعلان دولة الاتحاد العربي بين العراق والأردن في مجلة الأبحاث، السنة ١١، الجزء الأول، بيروت، آذار ١٩٥٥، ص ص٣١٦-٣٢١.

(٤١) خطب الرئيس جمال عبد الناصر في الإقليم الشمالي، كتب سياسية، الكتاب الثالث والخمسون، دار القاهرة للطباعة، ط٢، د. ت، ص٤٢.

ثالثاً: موقف الصحافة العراقية من التنسيق المصري – السوري ١٩٥٥– ١٩٥٨:

تابعت الصحافة العراقية تطور العلاقات المصرية – السورية، والخطوات التي اتخذت للتنسيق بينهما، فعند توقيع الميثاق الثلاثي بين مصر – سوريا – السعودية، والذي ولد كرد فعل للتحالف العراقي – التركي حيث انعكست تلك الولادة على آراء ومواقف بعض الصحف في تفسيرها ومزاعمها إزاء ذلك الميثاق ما بين مناوئ ومناصر.

فتحت عنوان (الميثاق الثلاثي بين مصر وسوريا والسعودية) نددت صحيفة الزمان بدول الميثاق المذكور لعدم اشتراكها في ميثاق التعاون العراقي – التركي، واستذكرت الصحيفة لمصر اتفاقها مع الإنكليز بالعودة إلى القنال واتخاذ مهمة الدفاع عن هذه الأقطار، وكذلك تذكير السعودية بإباحتها للأمريكان اتخاذ قواعد عسكرية لها في قلب أراضيها، وحذرت الصحيفة سوريا بأن عليها أن تدرك مستلزمات دفع العدوان عنها[١]، وواصلت الصحيفة تصديها للميثاق تحت عنوان (موقف العراق من الميثاق العربي الجديد) كونه يجسد مبدأ التكتل ضد العراق ويعتبر الميثاق الجديد في رأي الصحيفة تهديدا لسيادة الأعضاء في الميثاق العراقي – التركي[٢]، واتخذت الصحيفة موقفها من الميثاق في مقال تحت عنوان (التيارات المتلاطمة في سوريا القطر الشقيق) حيث أشارت الصحيفة إلى خطورة اتجاه سوريا، وربط مصيرها بتيارات السياسة المصرية – السعودية التي يسودها التناقض والتذبذب[٣].



الوفدان المصري والسوري تحت رئاسة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر
وسيادة الرئيس السابق شكري القوتلي في أحد الاجتماعات

واتضح موقف الصحيفة بشكل جلي وواضح في الكشف عن مراميها بخصوص الميثاق الثلاثي، وبصدد التحالف المصري – السوري من خلال مقالها الافتتاحي المعنون (اتحاد البلاد العربية.. وموقف العراق منه في الماضي والحاضر) بقلم عبد المجيد محمود استبشر الكاتب فيه باتحاد مصر وسوريا، إلا أنه رجح في أن يتم هذا الاتحاد بين سوريا والعراق والأردن، وأن الاتحاد على زعم الكاتب بين دول الهلال الخصيب أمر طبيعي، ولا مفر منه مؤكداً أنه يجسّد أماني الأمة العربية وآمالها[٤].

وفي سؤال وجهته صحيفة (الزمان) إلى الأستاذ محمد رضا الشبيبي عضو مجلس الأعيان، تحت عنوان (اتحاد البلاد العربية.. الدولة العربية الكبرى التي استهدفتها الثورة العربية – الواقع العملي والتاريخي بالاتحاد العربي) حيث ذكر (الشبيبي) بعد ترحيبه بالاتحاد الثنائي بين مصر وسوريا، في أن المسافات الشاسعة بين البلدان حجة واهية، وأن للتاريخ شواهد كثيرة على اتحاد القطرين في ظل الدولتين الفاطمية والأيوبية، ولم يعتقد الشبيبي بوجود مانع من تكوين الاتحاد، شرط أن يكون مبنياً على أساس من العدالة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات[٥].

أما صحيفة (اليقظة) فقد اتسم موقفها من الميثاق الثلاثي بالسلبية والتصدي له، وكانت جميع آرائها إزاء الحلف مدونة بقلم رئيس تحريرها السيد سلمان الصفواني، وقد أبرزت الصحيفة تحت عنوان (الوليدة الجديدة!) نسبتها للحلف المذكور، كونه يشكل سبباً في شطر الأمة العربية إلى شطرين، وأضافت الصحيفة في أن كل منظمة عربية لا يكون العراق عضواً فيها لن يكتب لها النجاح[٦]. وواصلت الصحيفة في عدد آخر تنديدها بالمشروع، وتحت عنوان (ماذا سيعمل الوفد السوري ببغداد؟) أوضحت فيه أن ميثاق الحلف الثلاثي الجديد قد اشترط في المادة الأولى منه، عدم الانضمام إلى الحلف العراقي – التركي وأية أحلاف ويعني هذا كما أفصح المقال عدم جواز دخول العراق فيه، وتساءل كاتب المقال عما سيفعله الوفد السوري في بغداد[٧].

وأضافت الصحيفة في عدد آخر وتحت عنوان (سياسة الرفس والقفز!) أن صيغة الميثاق الثلاثي تفرقة متعمدة، وأنه حلف يقفز به أصحابه إلى ما وراء البلاد المجاورة لهم تاركين أشقاءهم المجاورين خارج حسابهم، وأردفت الصحيفة وصفها للمشروع، بأنه حلف عجيب[٨] والصحيفة تحت عنوان (هذا هو الطريق) تطرقت الصحيفة إلى المصالح الاقتصادية بين سوريا والعراق، وأنها في رأي الصحيفة تمثل حجر الزاوية لربط الشعب العربي ببعضه، وأضافت أن سبب فشل السياسة في تحقيق الأماني العربية هو التناقض بين أهداف ساسة العرب وبين أهداف شعوبهم[٩].

أما صحيفة (الحرية) فقد وقفت مع الميثاق الثلاثي موقفاً اتصف بالتعاطف والإيجابية تجاه الميثاق المذكور من خلال تسخير أغلب عناوينها وأعمدتها الثابتة لنشاط (الحلف)، وذلك في إبراز الأخبار الواردة عبر الوكالات العربية والأجنبية، إضافة إلى ما تنشره الصحف العربية بصدد الحلف المذكور.

وفي وسط الصفحة الأولى أبرزت الصحيفة تصريحات السيد خالد العظم وزير الخارجية السوري حيث ذكر بأن الميثاق الجديد لا يتعارض مع ميثاق الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحدة، وأنه خطوة في تجاه تحقيق الوحدة بين البلاد العربية[١٠]، وواصلت الصحيفة في الإفصاح عن موقفها بصدد تأييدها للميثاق الثلاثي، وتحت عنوان (سوريا تستأنف المحادثات حول الميثاق الثلاثي) نقرأ البيان السوري والذي استعرض السياسة السورية في المجالين المحلي والعربي، وأشار البيان كما جاء في الصحيفة، بأن سوريا تعتبر أن عدوها اللدود هو 'إسرائيل' وأضاف البيان الذي نشرته الصحيفة وسط صفحتها الأولى، أن الحكومة السورية سوف تستأنف المباحثات الخاصة بمشروع الميثاق الثلاثي مع مصر والسعودية[١١].

ويخصوص الميثاق العسكري الثنائي بين سوريا ومصر، وفي عمود بارز تحت عنوان (الاتفاق الثنائي)، أبرزت الصحيفة تعليقاً لراديو دمشق قال

فيه: (بأن الاتفاق انطلاقة مباركة نحو الوحدة العربية)، ودعت الصحيفة في تعليقها إلى جمع الصف العربي، وتوحيد الجهود، والحذر من العملاء المنتشرين في أرجاء الوطن العربي[١٢]. لقد واصلت الصحيفة نشر هذه اللقاءات والمواثيق العربية انطلاقا من نهجها القومي أولا، ووضع المؤشرات السلبية بشكل غير مباشر إزاء الحلف التركي- الراقي ثانيا، وتحت عنوان (توقيع ميثاق عسكري ثلاثي بين مصر والسعودية واليمن)، فقد باركت الصحيفة الاتفاق لأنه جاء في رأى الصحيفة، تعزيزا لأواصر الإخاء والتعاون، وتوثيق عرى الأخوة بينها في سبيل رفع شأن العرب[١٣]، وتحت عنوان (الدعوة للاتحاد بين الخيال والواقع) أشادت الصحيفة بالمشروع السوري، لإقامة اتحاد عربي عسكري وسياسي واقتصادي، وباركت الصحيفة المشروع واصفة إياه، أنه ليس جديدا على سوريا التي تعالت فيها الأصوات بالدعوات المتعاقبة، وحذرت الصحيفة من عدم جعل المشروع حبرا على الورق والتحدث عنه في المجالس والهتاف به من على المنابر[١٤] وتحت عمود (كلمة الحرية) أشارت الصحيفة إلى اجتماعات جدة بين الإمام أحمد وعبد الناصر وسعود مشيرة إلى الاتفاق الثلاثي بين اليمن ومصر والسعودية، وفي الوقت نفسه تمنت الصحيفة النجاح للمداولات والتحركات بين العواصم العربية، لانتهاج سياسة عربية قومية بالنسبة إلى قضية فلسطين[١٥].

وتعود الصحيفة لتواصل في أعداد أخرى تأييدها وتعاطفها مع الاتفاق الثلاثي بين مصر وسوريا والسعودية، إذ تشير إلى نشاط مؤتمر القاهرة بين (القوتلي وسعود وعبد الناصر) ووصفت الصحيفة المؤتمر بأنه محاولة صادقة لدفع الأماني العربية أشواطا إلى الأمام في طورها العملي والنظري، و استشهدت الصحيفة بقول (القوتلي) أن الوحدة العربية الشاملة، التي تصبو إليها نفوس الملايين في دنيا العروبة، ليست مجرد ألفاظ وإنما هي تجارب بين القلوب وتوافق أمام الخطوب[١٦].

المصادر والمراجع

(١) صحيفة الزمان: العدد ٥٢٨٣، الصادر في ٨/آذار/١٩٥٥.

(٢) المصدر نفسه: العدد ٥٢٩٢، الصادر في ١٨/آذار/١٩٥٥.

(٣) المصدر نفسه: العدد ٥٣٣٧، الصادر في ٣/آذار/١٩٥٥.

(٤) المصدر نفسه: العدد ٥٦٩١ الصادر في ١٤/تموز/١٩٥٦.

(٥) المصدر نفسه: العدد ٥٦٩٤، الصادر في ١٧/تموز/١٩٥٦.

(٦) صحيفة اليقظة: العدد ٢١٤٤، الصادر في ٩/آذار/١٩٥٦.

(٧) المصدر نفسه: العدد ٢١٤٦، الصادر في ١١/آذار/١٩٥٦.

(٨) المصدر نفسه: العدد ٢١٤٧، الصادر في ١٣/آذار/١٩٥٦.

(٩) المصدر نفسه: العدد ٢١٥٠، الصادر في ١٦/آذار/١٩٥٦.

(١٠) صحيفة الحرية: العدد ٢٧٨، الصادر في ٩/ أيار/١٩٥٥.

(١١) المصدر نفسه: العدد ٣٨٦، الصادر في ٢١/أيلول/١٩٥٥.

(١٢) المصدر نفسه: العدد ٤١٣، الصادر في ١٣/تشرين الأول/١٩٥٥.

(١٣) المصدر نفسه: العدد ٥٦٦، الصادر في ٢٢/آذار/١٩٥٦.

(١٤) المصدر نفسه: العدد ٥٦٧، الصادر في ٢٣/آذار/١٩٥٦.

(١٥) المصدر نفسه: العدد ٥٦٨، الصادر في ٢٤/آذار/١٩٥٦.

(١٦) المصدر نفسه: العدد ٥٧٣، الصادر في ٢٨/آذار/١٩٥٦.

رابعاً: قرار تأميم قناة السويس:

اتصف موقف الصحافة العراقية من قرار تأميم قناة السويس بالتأييد المطلق، وأبدت أغلب الصحف المستقلة وبعض الصحف الموالية للسلطة، في الإفصاح عن موقفها المتمثل بأحقية مصر في ممارستها السياسة والاقتصادية، واتخاذ قرارها الخاص بتأميم قناة السويس، وأشادت تلك الصحف بالقرار، كونه يشكل جانباً مهماً من جوانب فرض السيادة، ومساراً طبيعياً للنهج السياسي التي اتخذته الحكومة المصرية، في حرية التصرف بأرضها ومياهها الإقليمية، إضافة إلى أن قرار التأميم، يهدف إلى رد الحقوق وحرية الملاحة إلى السيادة المصرية.

وفي عمود كلمة الزمان أشارت الصحيفة تحت عنوان (حقيقة ثابتة لا يفهمها الغرب) إلى موقفها من قرار (التأميم). وأشادت بحنكة واتزان السياسة المصرية ممثلة بقيادة الرئيس عبد الناصر تجاه الغرب، وان القرار في رأي الصحيفة حق من حقوق السيادة المصرية، ودعت الصحيفة ساسة الغرب إلى رعاية مصالحهم الاقتصادية الحقيقية والتي لا يمكن ضمانها بأساليب العنف والتعسف[١].

ونقرأ تحت عنوان (تأييد العراق لمصر تمليه المصلحة العربية العليا) بقلم (عبد المجيد محمود) أشار فيه كاتب المقال إلى أن العراق والبلاد العربية قاطبة، ترفض أن تسوى هذه القضية تحت أساليب الضغط والتهديد، وحذر المقال الغرب من أن استعمال القوى بأي شكل كان، سيؤدي حتماً إلى حرب عالمية ثالثة[٢]. وقد فند محمد رضا الشبيبي في نفس الصحيفة وتحت عنوان (بحجة القناة) إن كلاً من بريطانيا وفرنسا تريدان ضمان حرية المرور لأساطيلهما وقواهما العسكرية عبر القناة إلى مستعمراتهما في الشرق، وأعرب الكاتب في

أن تهديداتهم لن تزيد الشعوب إلا تمسكاً وإيماناً بعدالة مطالبها في التحرر من الظلم والتعسف والجور[٣].

أما صحيفة اليقظة فقد اتصف موقفها من خطوة التأميم بالحزم والتأييد المميز للقرار، وتحت عنوان (تأميم قناة السويس دقة بدقة، والبادئ أظلم) وصفت الصحيفة القرار بأنه صدمة للدول المساهمة في شركة قناة السويس، وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا، حيث أخذت الدولتان تضربان أخماساً بأسداس حائرة مشدوهة[٤].

وعبرت الصحيفة تحت عنوان (زوبعة الباطل) لسلمان الصفواني عن استنكارها للضجة التي أثارها الإنكليز والفرنسيون واليهود حول التأميم، وان هذه الضجة في رأي الصحيفة كانت منتظرة، وأن لم يكن لها ما يبررها، وأنها ليست إلا نواحاً من هول الصدمة[٥] وفي عدد آخر نبهت الصحيفة الغرب، في أن القناة ليست مرفقاً مصرياً حسب، بل أنها من أهم مرافق أراضي العرب، وشددت الصحيفة على أن الشرف والوجدان العربي لن يسمح بتدويل القناة مهما كان الثمن غالياً[٦] وأردفت الصحيفة تحت عنوان (مؤامرة على العرب للحيلولة دون تحررهم وتقدمهم) قائلة أن الأزمة التي خلقتها بريطانيا وفرنسا بسبب التأميم ما هي إلا مؤامرة مكشوفة للحيلولة دون تحرر العرب وتقدمهم، ونبهت الصحيفة العرب من أن تدويل القناة يعد ضربة قاصمة، لا تقوم للعرب بعدها قائمة[٧]، وكتب سلمان الصفواني مقالاً في الصحيفة تحت عنوان (ما هي العقدة في قضية قناة السويس) إذ انتقد الكاتب أنانية الإنكليز والفرنسيين التي تكمن في نقطة واحدة، وهي ممارسة مصر لحقها المشروع في قرار التأميم دون الرجوع إلى السادة الأوصياء[٨]. وأفصحت الصحيفة تحت عنوان (أزمة الحق والحرية في مؤتمر المثلث الأنكلو أمريكي) لما دار في

مؤتمر لندن وما كشف عنه من حقائق مثيرة، ومن تلك الحقائق كما جاء في الصحيفة، تأييد ثلاث دول إسلامية لوجهة النظر الاستعمارية وهي باكستان وتركيا وإيران(٩).

وتحت عنوان (النقطة السوداء في سجل أيزنهاور) بقلم سلمان الصفواني حيث سخرت الصحيفة من قول الرئيس الأمريكي أيزنهاور، في أن الحصار على الملاحة 'الإسرائيلية' في القناة تعد نقطة سوداء في سجل مصر وأنه (أي الحصار غير عادل ولا ينطبق مع ميثاق سنة ١٨٨٨)، وعلقت الصحيفة بسخرية على قول أيزنهاور لأنه تحريف للحقائق وقلب للمفاهيم(١٠).

المصادر والمراجع
(١) صحيفة الزمان، العدد ٥٧٠٥ الصادر في ٤/آب/١٩٥٦.
(٢) المصدر نفسه، العدد ٥٧٠٨، الصادر في ٧/آب/١٩٥٦.
(٣) المصدر نفسه، العدد ٥٧٥٢، الصادر في ٩/آيلول/١٩٥٦.
(٤) صحيفة اليقظة، العدد ٢٥٥٥، الصادر في ٢٩/تموز/١٩٥٦.
(٥) المصدر نفسه، العدد ٢٥٥٧، الصادر في ٣١/تموز/١٩٥٦.
(٦) المصدر نفسه، العدد ٢٥٥٨، الصادر في ١/آب/١٩٥٦.
(٧) المصدر نفسه، العدد ٢٥٦٢، الصادر في ٦/آب/١٩٥٦.
(٨) المصدر نفسه، العدد ٢٥٦٨، الصادر في ١٣/آب/١٩٥٦.
(٩) المصدر نفسه، العدد ٢٥٧٧، الصادر في ٢٣/آب/١٩٥٦.
(١٠) المصدر نفسه، العدد ٢٦٠٩، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٥٦.

خامساً: العدوان الثلاثي على مصر:

اتسم موقف الصحافة العراقية إجمالاً بالشجب والتنديد والاستنكار إزاء العدوان الثلاثي على مصر، ويمكن القول أن السخط والتصدي للعدوان كان القاسم المشترك لمواقف أغلب الصحف العراقية إن لم تكن جميعها، حيث اتصف موقفها بالموضوعية والإدراك بالاستجابة لما يحمله الشعب العربي من مشاعر الاستياء والغضب على العدوان الغاشم.

وتحت عنوان (على الباغي تدور الدوائر) علقت صحيفة الزمان على العدوان قائلة بأنه يشكل خرقاً فاضحاً لميثاق الأمم المتحدة، واستبشرت بانتصار مصر وخذلان العدوان تجاوباً مع منطق التاريخ وإرادة الشعوب[١].

وأوصت الصحيفة تحت عنوان (السلم في الشرق الأوسط) يضمنه القضاء على 'إسرائيل' بوجوب التآزر والتلاحم العربي لمنع استعمال القوة ضد مصر، وأوضحت الصحيفة رأيها، بقولها أن تجربة مصر خير دليل يدعم وجهة نظر أولئك الذين وصفوا خطر الكيان الصهيوني بالخطر الأكبر[٢].

وتحت عنوان (مصر الصامدة) آشادت الصحيفة بشعوب العالم المحبة للحرية والسلام في تأييدها لقضية كفاح الشعب المصري العادلة ضد العدوان البريطاني – الفرنسي – 'الإسرائيلي' الذي أراد بهذه المؤامرة والاعتداء المفضوحين تنفيذ خطة استهدفت القضاء على حرية الشعب العربي[٣].

وواصلت الصحيفة في أعداد أخرى، تجسيد موقفها من العدوان الثلاثي، حيث نشرت في مقال لها تحت عنوان (دول الشرق وأثرها في الموقف الراهن) بقلم رئيس تحريرها محمود نديم إسماعيل أشار فيه

كاتب المقال إلى أن هذا الموقف يعتبر نقطة تحول مهمة في العلاقات الدولية والسياسية العامة، ودعا الكاتب ساسة الغرب بأن يفطنوا إلى الروح القومية، التي تغلغلت حتى أقصى الزوايا النائية من العالم، وأن موجة التحرير كفيلة بردع نوازعهم التعسفية والتوسعية(٤).

وتحت عنوان (الموت للغادرين المتآمرين) نقرأ في صحيفة (البلاد) قائلة بأنه يجب علينا أن ننتقم وسننتقم، وعزاؤنا الوحيد كما ورد في رأي الصحيفة أننا لسنا وحيدين(٥)، وفي عدد آخر من الصحيفة تحت عنوان (نحن والمعركة) دعت صحيفة (البلاد) إلى مساندة مصر، وبذل النفس رخيصة في سبيل الأرض والعرض التي يريد استباحتها الغزاة(٦). وواصلت الصحيفة تعزيز موقفها ضد العدوان حيث أشارت تحت عنوان (إجلال لمصر وخزي للمتآمرين) إلى أن التاريخ سيدون لمصر صفحة بيضاء، وسيدون للخونة والمتآمرين الغادرين صفحة سوداء، وقد دق انتصار مصر المسامير في نعوشهم القذرة(٧).

واستعرضت الصحيفة تحت عنوان (بورسعيد الخالدة) الملاحم البطولية لمدينة بور سعيد، التي تعد الحصن الأول من حصون حرية مصر ضد الشر العالمي، المتسم بالغزو البربري العدواني الأثيم(٨)، ودعت الصحيفة تحت عنوان (وحدة العرب اليوم) إلى مؤازرة دول العالم الحر، باستثناء بريطانيا وفرنسا و'إسرائيل' والقلة من أذنابهما لمواجهة الخطر الدامي الذي يواجه الأمة العربية(٩).

وباركت الصحيفة تحت عنوان (انتصر العرب) انتصار مصر والأمة العربية، وأشادت الصحيفة، بالانتصار في بور سعيد في هيئة الأمم، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، بعد أن تلطخت أيدي الأعداء بدماء الأحرار، الذين لقنوا الاستعمار درساً قاسياً، وشيعوا جنازته البغيضة في بلاد العرب(١٠).

وسخرت الصحيفة تحت عنوان (نزيل جاميكا)[*] من (أنتوني ايدن) الركن الأعظم للثالوث الأثيم الغادر على مصر الكنانة، وعلقت الصحيفة قائلة على ذهاب أيدن إلى جاميكا، بأنه ربما هرب من عذاب الضمير، وقد انهارت أعصابه شأنه في ذلك شأن الطغاة المستبدين[١١].

أما صحيفة اليقظة فقد تميز موقفها إزاء العدوان الثلاثي الغادر بالحماس والاندفاع الشديدين، حيث هاجمت الصحيفة إنكلترا وإسرائيل وفرنسا، وسياستهما حيال مصر والأمة العربية، وواصلت في معظم مقالاتها والتي كانت بقلم رئيس تحريرها سلمان الصفواني تنديدها بالمثلث الغاشم ونوازعه الاستعمارية والتعسفية.

وتحت عنوان (بأي حق يا إيدن تهاجم مصر وتقصف المدن؟) وصفت الصحيفة العدوان بأنه حروب صليبية من نوع جديد، وأن مصر أصبحت هدفاً للغزو اليهودي والبريطاني والفرنسي[١٢].

وتحت عنوان (٦٤ دولة تدمغ بريطانيا وفرنسا بعار الغدر والعدوان) وصفت الصحيفة تجاهل بريطانيا وفرنسا قرار هيئة الأمم المتحدة أنه صرخة من صرخات الرأي العام العالمي، ويقظة من يقظات الوجدان ضد اللصوصية والغدر والعدوان[١٣]، وواصلت الصحيفة تنديدها بالعدوان الثلاثي وتحت عنوان (الأمة التي لا تقهر) سخرت الصحيفة من الإنكليز والفرنسيين والصهاينة، لاعتقادهم بأنهم في حرب خاطفة، غادرة يقدروا أن يقلموا أظافير الأمة العربية[١٤].

وتحت عنوان (مصر للجميع والله لمصر) استعرضت صحيفة اليقظة دور مصر في دعم ومساندة القضايا العربية، وأردفت الصحيفة قولها، بأن العرب خصوصاً والمسلمين عموماً مدينون لمصر الشقيقة، كما أن لمصر في أعناقهم ديون لم يوفوها بعد[١٥]. ونقرأ تحت عنوان (إمبراطوريتان وشعب صغير!) استهجنت الصحيفة

واستنكرت قيام بريطانيا وفرنسا بالتآمر لكسر شوكة مصر، وأن المعركة كما ورد في رأي الصحيفة، ما زالت البداية وليست في النهاية[١٦]. وتحت عنوان (مصر تنشد العون فأين الأشقاء والأصدقاء؟) ناشدت الصحيفة العرب والشعوب الحرة في العالم، التجاوب مع البيان المصري بصدد المعونة، حيث أهابت الصحيفة بأحرار العالم تأييد النداء ونصرة مصر[١٧].

وعلى الرغم من موقف القتال فقد واصلت الصحيفة متابعة الموقف وطرح آراءها بشأن ذلك، وتحت عنوان (بعد وقف القتال لننهض في التأهب والاستعداد) حيث أشارت الصحيفة إلى أن وقف القتال لا يعني وقف الحرب بمعناه الشامل ضد مصر، وأفصحت الصحيفة عن رأيها بقولها أن المحنة لم تنته بعد، وحذرت من النوم على قرار وقف القتال، ما دام في الأراضي المصرية جندي واحد من جنود الأعداء[١٨].

وواصلت الصحيفة في مقال لها تحت عنوان (في الجو غيوم تدعو الأمة العربية للحذر) تنديدها وتحذيرها من ألاعيب الدول المعتدية، وناشدت الصحيفة بعدم الاطمئنان لتصريحات المعتدين، وأكدت على وجوب رصد حركاتهم المشوية دائماً بالغدر والخديعة[١٩].

هذا وقد واصلت الصحيفة تفاعلها مع أحداث مصر ضد العدوان الثلاثي، حيث نطالع تحت عنوان (كيف نعاون مصر؟) بقلم جليل كمال الدين والذي ألقى الضوء في مقاله على دور مصر في النضال ضد الاستعمار، وأكد الكاتب بأن الأمة العربية لن تقهر، وطالب الكاتب بمناصرة مصر بالغالي والنفيس من أجل عروبة مسالمة متطورة حرة مكافحة[٢٠].

وعلقت الصحيفة على المعلومات التي أدلت بها وزارة الخارجية السورية بخصوص العدوان البريطاني الفرنسي الصهيوني على مصر

بأن تلك المعلومات في رأي الصحيفة، ألقت أنواراً كاشفة عن حقيقة المؤامرة الدنيئة، على مصر الشقيقة خاصة والعرب عامة(٢١).

أما بخصوص التقارب العربي السوفيتي وما نتج عنه. من تعاون ومواثيق وخاصة فيما يتعلق بالجانب العسكري والاقتصادي، فقد استهدفت تلك الصحف مصر وسوريا لتقربهما للسوفيت.

إن الذي يعنينا من ذلك التقارب هو سوريا، كونها شكلت ساحة ساخنة من الأحداث إضافة إلى كونها قد أصبحت نقطة استقطاب، ومحط أنظار، الدول الاستعمارية وأذنابها من الحكام العرب في المنطقة، ولذلك كانت الساحة السورية قبلة الشعب العربي وتطلعاته القومية، وفي نفس الوقت كانت تمثل تلك الساحة قمة المؤامرات والدسائس على سوريا، سواء كان ذلك محلياً أو عربياً أو دولياً. ولقد كان التباين والاختلاف لردود فعل الصحافة العراقية إزاء ذلك التقارب السوري السوفيتي جلياً وواضحاً، لذا فقد تم اختيار ثلاث صحف وهي (الزمان والحرية وصحيفة اليقظة) كنماذج لبيان وتحديد وجهة نظرها، بموضوع التعاون السوري السوفيتي، وكذلك إلقاء بعض الضوء على طبيعة ذلك التعاون السوري السوفيتي، وكذلك إلقاء بعض الضوء على طبيعة ذلك التعاون، وحجم التسلح من هذا التعاون، والتي أثيرت حوله الضجة والتهويل سواء كان ذلك عربياً أو عالمياً.

وتحت عنوان (سوريا تلعب بالنار) عبرت صحيفة الزمان، عن موقفها الذي تجلى بشكل واضح في تصديها وامتعاضها من التقارب والتعاون بين سوريا والمعسكر الشيوعي بصورة كلية، حيث ذهبت الصحيفة في رأيها إلى أن شراء سوريا السلاح من حكومة موسكو، وعقد الصفقات التجارية، وفتح الباب على مصراعيه، ينعكس على العراق، كونه يشكل حدوداً مشتركة وجواراً مباشراً مع سوريا، إضافة إلى أن هذا التقارب حسب رأي الصحيفة يشكل صراعاً قائماً بين

القوى المعروفة في الشرق العربي، والذي بات صراعا مكشوفا[٢٢] وفي عدد آخر واصلت الصحيفة تنديدها بالسياسة السورية ونهجها الهادف إلى التقرب من الاتحاد السوفيتي، وتحت عنوان (سياسة الغرب تجاه مصر وسوريا)، دعت الصحيفة سوريا إلى تحاشي سياسة إثارة أعصاب الغرب، مما يدفعه إلى تصرفات تؤول بالضرر على البلاد العربية، وأوضحت الصحيفة في أن سلوك السياسة السورية تجاه الغرب، أدى إلى حرمانها من الدعم الاقتصادي الغربي، مما دفع سوريا نحو طلب المساعدة من المعسكر السوفيتي، بعد أن خاب أملها في رأي الصحيفة من الغرب[٢٣].

أما صحيفة الحرية فيبدو موقفها واضحا في تعاطفها مع النهج السياسي السوري، فيما يتعلق بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي بشكل عام ومهمة التسلح منه بشكل خاص.

وتحت عنوان (أتشتري سوريا الأسلحة من الاتحاد السوفيتي) ذكرت الصحيفة استعداد الاتحاد السوفيتي ليبادل سوريا سلاحا بمنتجات سورية، وأضافت الصحيفة، في تعليقها بأن سوريا راغبة في شراء الأسلحة السوفيتية بنفس شروط صفقة الأسلحة مع مصر[٢٤].

وتعزز الصحيفة موقفها بمقال تحت عنوان (الوصاية الغربية على الشرق الأوسط) إذ تصدت الصحيفة للضجة التي أثارتها الولايات المتحدة وبريطانيا على صفقة شراء السلاح السوفيتي، وأبدت الصحيفة استغرابها عن كيفية منح الأمريكيين والإنكليز أنفسهم حق الوصاية على الشرق الأوسط عموما، وعلى الأقطار العربية بوجه خاص، وأهابت الصحيفة بالعرب التسلح سواء من الكتلة الشيوعية أو الشيطان، وأن غضب واشنطن وإنكلترا لا يفسر في رأي الصحيفة إلا بالحرص على مصلحة 'إسرائيل'[٢٥] وتحت عنوان (شحنة أسلحة

سوفييتية إلى سوريا) أدانت الصحيفة الولايات المتحدة الأمريكية عندما علقت الصحيفة على تصريحات المستر (دالاس) بخصوص رفض الولايات المتحدة العرض الذي تقدمت به سوريا لشراء أسلحة أمريكية، مما أدى إلى التجاء الحكومة السورية لشراء الأسلحة من روسيا[٢٦] وأبرزت الصحيفة في عدد آخر وعلى صفحتها الأولى، تصريحات (العسلي) وتقييمه لموقف الاتحاد السوفييتي، وحرص سوريا ومصر والدول العربية المتحررة على صداقة من يحرصون على صداقتها ومخاصمة من يريد خصومتها.

وفي عدد آخر نشرت الصحيفة تصريحات (دالاس) قوله أنه يبدو أن المسؤولين السوريين الذين يشرفون على شحن الأسلحة السوفييتية قد تأثر وعلى الأقل بالشيوعية الدولية، وأن التطورات الأخيرة في سوريا تبعث فزعاً حقيقياً بالنسبة للبلدان المجاورة لسوريا[٢٧] وفي عدد لاحق أبرزت الصحيفة تصريحات (السيد هاني السباعي) وزير التربية والتعليم السوري في معرض رده على تصريحات (دالاس) قوله، في أن سوريا لا يمكن أن تهاجم جاراتها العربيات، لأن العربي لا يقاتل أخاه العربي، وأبرزت الصحيفة رأي (السباعي) في الأسلحة التي اشترتها سوريا بأنها كانت للدفاع بها عن نفسها[٢٨].

أما صحيفة (اليقظة) فقد ماثلت في موقفها صحيفة (الحرية) حيث اتسم في الدفاع عن موقف سوريا، ودعم نهجها الاستقلالي في التسلح.

وتحت عنوان (احذروا أيها العرب) بقلم سلمان الصفواني، حذرت الصحيفة العربي من المؤامرات التي تحاك على سوريا وتأليب الرأي العام ضدها، تمهيداً للاعتداء عليها، بحجة اتهام سوريا بالشيوعية[٢٩].

وفي عدد آخر من صحيفة اليقظة، وتحت عنوان (الويل للمعتدين) أدانت الصحيفة الحملة الظالمة التي تقودها واشنطن على سوريا، منذ فشل العدوان الثلاثي الغادر، بحجة صفقات الأسلحة التي عقدتها وسوريا والتي يتطلبها في رأي الصحيفة وضعها الاستقلالي والتحرري[٣٠]. وفي ضوء زيارة (لوي هندرسون) وكيل وزارة الخارجية الأمريكية إلى تركيا علقت الصحيفة تحت عنوان (انظروا إلى صورتكم) على قوله، في أنه يريد معرفة الانطباعات في دول الشرق الأوسط عن حقيقة الحالة في سوريا، حيث وصفت الصحيفة اجتماع هندرسون بالأتراك وببعض الساسة العرب أنه يرمي إلى أهداف خفية ضد سوريا[٣١].

ونقرأ تحت عمود (كل مساء) تعليق الصحيفة على تصريحات (جون فوستر دالاس) بقوله آن الأسلحة التي حصلت عليها سوريا. قد أثارت الفزع في نفوس جيرانها وانزعاجهم، حيث عقبت الصحيفة في أن قوة سوريا قوة للعرب، وخاطبت الصحيفة (دالاس) في أن جيران سوريا لا يخشون قوة سوريا بل يخشون مؤامرتكم ومن يسير في فلككم[٣٢].

وواصلت الصحيفة تصديها في الدفاع عن سوريا، وتحت عنوان (حركة القومية العربية) بقلم (جعفر كبه) حيث أشارت الصحيفة من اتهام سوريا بالشيوعية، وآنها قاعدة من القواعد العسكرية الروسية، وأوضحت الصحيفة في آن هذا الاتهام هو نهج قديم يراد به تشويه الحركات القومية التحررية في كل زمان وكل مكان[٣٣].

المصادر والمراجع

(١) صحيفة الزمان، العدد ٥٧٨٢، الصادر في ٤/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٢) المصدر نفسه، العدد ٥٧٨٥، الصادر في ٧/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٣) المصدر نفسه، العدد ٥٧٨٦، الصادر في ٩/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٤) المصدر نفسه، العدد ٥٧٩٨، الصادر في ٢٣/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٥) صحيفة البلاد، العدد ٤٧٩٨، الصادر في ٦/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٦) المصدر نفسه، العدد ٤٧٩٩، الصادر في ٧/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٧) المصدر نفسه، العدد ٤٨٠٠، الصادر في ٨/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٨) المصدر نفسه، العدد ٤٨٠١، الصادر في ٩/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٩) المصدر نفسه، العدد ٤٨١٤، الصادر في ٢٥/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٠) المصدر نفسه، العدد ٤٨٢٢، الصادر في ٤/كانون الأول/١٩٥٦.

(*) جاميكا: جزيرة صغيرة وهي مستعمرة بريطانية، من جزر الهند الغربية جنوب أمريكا الشمالية.

(١١) المصدر نفسه، العدد ٤٨٢٠، الصادر في ٢/كانون الأول/١٩٥٦.

(١٢) صحيفة اليقظة، العدد ٢٦٣٦، الصادر في ٧/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ٢٦٣٧، الصادر في ٨/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ٢٦٣٨، الصادر في ٩/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ٢٦٣٩، الصادر في ١٠/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٢٦٤٠، الصادر في ١١/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٧) المصدر نفسه، العدد ٢٦٤١، الصادر في ١٢/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٢٦٤٢، الصادر في ١٣/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٢٦٤٤، الصادر في ١٥/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ٢٦٥٢، الصادر في ٢١/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٢١) المصدر نفسه، العدد ٢٦٥٣، الصادر في ٢٢/تشرين الثاني/١٩٥٦.

(٢٢) صحيفة الزمان، العدد ٦٠١٤، الصادر في ١١/آب/١٩٥٧.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٦٠٣٠، الصادر في ٣٠/آب/١٩٥٧.

(٢٤) صحيفة الحرية، العدد ٣٩٤، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٥٥.

(٢٥) المصدر نفسه، العدد ٥٢٠، الصادر في ٢٦/شباط/١٩٥٦.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٩٣٩، الصادر في ٢٦/تموز/١٩٥٧.
(٢٧) المصدر نفسه، العدد ٩٥٦، الصادر في ٢٨/آب/١٩٥٧.
(٢٨) المصدر نفسه، العدد ٩٦٦، الصادر في ٢٩/آب/١٩٥٧.
(٢٩) المصدر نفسه، العدد ٢٨٦٨، الصادر في ١٥/آب/١٩٥٧.
(٣٠) المصدر نفسه، العدد ٢٨٤٢، الصادر في ١٥/تموز/١٩٥٧.
(٣١) المصدر نفسه، العدد ٢٨٧٩، الصادر في ٢٨/آب/١٩٥٧.
(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٨٨٠، الصادر في ٢٩/آب/١٩٥٧.
(٣٣) المصدر نفسه، العدد ٢٨٨٩، الصادر في ٩/أيلول/١٩٥٧.



الرئيسان المصري والسوري يوقعان في القاهرة اتفاق تأليف الجمهورية العربية المتحدة

سادسا: إعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة في صحافة العراق:

بعد الحرب العالمية الثانية حدثت تطورات سياسية واقتصادية وثقافية في الأقطار العربية، جاء بعضها انعكاسا للحرب بينما نضج بعضها الآخر بفعل التجربة التاريخية التي مر بها الوطن العربي، مما ساهم في نقل الفكر القومي من المستوى النظري إلى المستوى العلمي[١]. حيث تعمقت المشاعر الوحدوية بين أبناء الأمة العربية، نتيجة تبادل الأفكار والتفاعل فيما بين حركات التحرر العربية، الأمر الذي عجل في تطور الوعي القومي بين صفوف الجماهير العربية[٢]، حيث بدأت تشعر بأهمية الوحدة العربية، وتجسد ذلك من خلال كثرة عقد المؤتمرات القومية المختلفة وعلى كافة الصعد[٣]، وقد بدأ الفكر القومي يؤسس إيديولوجيات عربية قومية تمثل معطيات الواقع العربي[٤]، وكان للصحافة العراقية وخاصة السرية منها الدور المؤثر في هذا الجانب، باعتبارها لون من ألوان الكفاح، وسياسة تجعلها مستعدة للتضحية في سبيل أفكارها وآرائها، بكل ما تملك من مقومات حياتها وإمكاناتها، وقدراتها وجميع ما تهيأ لها من أسباب القوة والنفوذ والسلطان[٥].

وقبل التطرق إلى موقف الصحافة العراقية من الوحدة المصرية السورية، باعتبارها تمثل أول تجربة لمعطيات ذلك الفكر القومي، والذي ألمحنا إليه آنفا، نرى لواما علينا أن نستعرض ولو سريعا واقع حال الصحافة العراقية، أبان فترة إعلان الوحدة المصرية السورية واتجاهاتها.

إن من المعروف عن النظام الملكي في العراق أنه قد هيأ بعض المستلزمات السياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي قبل شروعه

في ربط العراق بعجلة حلف بغداد عام ١٩٥٥، وذلك لكسب رضا الأسرة الغربية خارجيا، وإسكات المعارضة والمحسوم موقفها سلبيا من الحلف داخليا.

فقد أقدم نوري السعيد على إلغاء كافة امتيازات الصحف الصادرة في تلك الفترة بموجب المرسوم الخاص بإلغاء الجمعيات والنوادي المجازة في ٣٠/تشرين الأول/١٩٥٤، والمرسوم الخاص بإلغاء امتيازات كافة الصحف في ١٣/كانون الأول/١٩٥٤.

علما بأنه جدد امتياز الصحف التالية وهي كل ما تبقى من تاريخ الصحافة، منذ نشوئها حتى فجر الرابع عشر من تموز الخالد وهي: اليقظة لصاحبها سلمان الصفواني، والأخبار لجبران ملكون، والزمان لتوفيق السمعاني، والحرية لقاسم حمودي، والشعب ليحيى قاسم، والحوادث لعادل عوني، والأوقات العراقية لعائلة رسام، والبلاد لرفائيل بطي، إلى جانب مجلتي الوادي لخالد الدرة، وقرندل لصادق الأزدي، وكانت معظم الصحف تؤيد سياسة الحكومات المتعاقبة على دست الحكم منذ عام ١٩٥٥ حتى منتصف عام ١٩٥٨، أي قبل اندلاع ثورة العراق الكبرى في ١٤ تموز المجيد عدا صحف البلاد والحرية واليقظة المعروفة بميول أصحابها القومية والوطنية[٦].

لقد كنا نلاحظ دوما في الفترات التي سبقت قيام ثورة تموز، أن الصحافة العراقية لم تكن تعبر في الواقع عن أهداف الشعب، بالكشف عن واقعه، الاجتماعي والطبقي، بقدر ما كانت تعبر بعض الصحف عن أهداف وأماني الشعب كطبقة أو كتلة تجمع الأعضاء برابطة واحدة، هي رابطة مقاومة الحكم الاستعماري، وذلك عن طريق تحليلات سطحية مقيدة بالظروف التي تكيف إطلاق الحرية (المكبلة) آنذاك[٧].

إلا أنه منذ شباط عام ١٩٥٨ وبعد تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا حتى بداية تموز، كانت النشرات السرية هي الوقود التي

حركت وسيرت دبابات الجيش، بالتضامن مع الشعب، لتعلن في الساعة الخامسة إلا خمس دقائق من فجر يوم الرابع عشر من تموز الخالد، مولد الجمهورية العراقية ولتضع النهاية لحكم الإقطاع والرجعية والتبعية للاستعمار العالمي[٨].

أما اتجاهات صحف تلك الفترة والتي نحن بصددها فقد عرفت صحف الأخبار وللزمان والمنار بمسايرتها موقف السلطة، أما صحيفة الشعب فيذكر فائق بطي أنها كانت معروفة بميولها الغربية المكشوفة، وإسنادها لسياسة نوري السعيد، ولم تختلف عن الزمان والأخبار، وهذه الصحف الثلاثة مع صحيفة الحوادث المسائية قد عطلت بعد اليوم الأول من ثورة تموز نتيجة الضغط الشعبي الذي كان يطالب بتعطيلها، إلا أن صحف الحرية واليقظة والبلاد كما يذكر بطي رغم إمكاناتها الضيقة، كانت واسعة الانتشار لاتخاذها خط الدفاع عن مصالح الشعب العراقي والأمة العربية، وكانت الحرية تهتم وتبرز الأخبار النضالية للشعب الفلسطيني والمصري، وتهاجم السياسات الغربية تجاه القضايا القومية العربية، شأنها في ذلك شأن صحيفتي اليقظة والبلاد[٩].

واستنادا إلى التحليل السابق لاتجاهات الصحافة العراقية، فقد اتسم موقف الصحافة العراقية نحو الوحدة المصرية، بالتباين والاختلاف في وجهات النظر تجاه خطوة إعلان الوحدة، وقيام الجمهورية العربية المتحدة، حيث اتخذت بعض الصحف موقف الإحجام والتحفظ، في حين بدأت صحف أخرى مباركتها واستبشارها بهذا الحدث، فيما تطوعت صحف أخرى بالتصدي واتخاذ المواقف العدوانية تجاه الوحدة وفيما يأتي استعراض لمواقف تلك الصحف.

فقد نشرت صحيفة الزمان مقالا بعنوان (وحدة الشقيقين) تناولت فيه الخطوة الوحدوية في مقالها الوحيد مع الإشادة المباركة

للشعبين بوحدة بلديهما، وأشارت الصحيفة بتحفظ وتأييد محدود إلى هذه المناسبة القومية، لتكون فاتحة القومية المشتركة[١٠]. أما صحيفة المنار فإنها التزمت مثل نظيرتها صحيفة الزمان بالتحفظ والاكتفاء بنشر الأخبار والنشاطات المتعلقة بخصوص إعلان الوحدة.

وتحت عنوان (مجلس الوزراء السوري يجتمع برئاسة شكري القوتلي) أشارت الصحيفة إلى الاجتماع المذكور لبحث (الاتحاد) بين سوريا ومصر، وتطرقت إلى أن الرئيس عبد الناصر قد أخبر الصحفيين الأمريكيين، بأن مصر وسوريا قد وصلتا إلى اتفاق تام لاتحادهما[١١].

وواصلت الصحفية في عدد آخر تحت عنوان (القاهرة تستقبل شكري القوتلي بحفاوة تامة) حيث أشارت الصحيفة إلى احتفالات القاهرة بمقدم (القوتلي)، وإعلان الاتحاد المصري السوري، وفي العدد نفسه نوهت الصحيفة، بتصريحات صلاح الدين البيطار، وإشادته بالوحدة، والذي وصفها أنها أمنية جميع أبناء الشعب العربي[١٢].

وتحت عنوان (الاحتفالات بسوريا ومصر بعد إعلان الوحدة) صفت فيه احتفالات مصر وسوريا بيوم الاتحاد المصري السوري، حيث سارت التظاهرات الحماسية في سائر أنحاء مصر وسوريا، لتعبر عن تأييدها ودعمها (للوحدة)، وتابعت الصحيفة نشر وقائع هذا الحدث كإرسال الأحزاب برقية تهنئة إلى الرئيس بمناسبة تحقيق الوحدة بين البلدين[١٣].

هذا وقد نشرت صحيفة المنار الأنباء الأخبار المتعلقة بالوحدة، ولكن بدون تعليق ويتحفظ، وهذا ما ذهبنا إليه لهذا النمط من الصحف في غموضها وعدم بيان موقفها من الوحدة.

وتحت عنوان (بيان الرئيس جمال عبد الناصر والقوتلي عن اتحاد الدولتين) أشارت الصحيفة إلى البيان الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر، والذي استعرض فيه الأحداث والأسباب التي دعت البلدين

إلى الاتحاد، وتحت نفس العنوان نشرت الصحيفة كلمة القوتلي، والذي اعتبر نفســه المواطـن الأول، الـذي سـيقف فيـه فـي فـبراير لانتخـاب الرئيس عبد الناصر رئيسا للجمهورية[١٤].

وواصلت الصحيفة متابعة النشاطات المتعلقة بخصـوص إعـلان الوحدة، وتحت عنوان (الضغط الخـارجي سبب اتحـاد سوريا ومصـر) حيث أشـادت إلـى تصريحـات القوتلي الـذي أفـاد فيـها، بـأن الضغـط الخارجي خلال الستة شهور الماضية على سوريا ومصر، قد أجبرهما من أجل تشكيل جمهورية عربية متحدة[١٥].

أمـا صحيفـة الشـعب فقـد اتسـم موقفـها تجــاه وحـدة مصــر وسـوريا، بـالتحفظ والاكتفـاء بمـا تناقلتـه وكـالات الأنبـاء ومـا أوردتـه الصحف... حيث نطالع في وسط الصفحة الأولى من الصحيفة وتحت عنـوان بـارز جـاء فيـه (الدولـة الموحـدة تعتـبر قائمـة)، حيـث أشـارت الصحيفة إلى قول أكرم الحوراني بخصوص الدولة الموحدة بعد أن تم الاتفاق على أسسها ونصوصها، والـذي سيكون بموجبها رئيس واحد وعلم واحـد ومجلس واحـد، ومـن جـانب آخـر أشـارت الصحيفـة إلـى تصريح السيد صبري العسلي بعد اجتمـاع مجلس الـوزراء، بأنـه اتفق علـى تـأليف الوفـد الـوزاري الـذي سيسـافر إلـى القـاهرة مـع الرئيـس القوتلي، لحضور إعلان مولد دولة موحدة[١٦]. وفي عددا آخر واصلت الصحيفة نشـر الأنبـاء والأخبـار المتعلقـة بالتحركات، التـي ترمـي إلـى إعلان الوحدة، وتحت عنوان تصدر الصحيفة (مولد الجمهورية العربية المتحـدة) واسـتنادا إلـى مصـادر القـاهرة، ونقـلا عـن وكالـة الأنبـاء العراقية، أفادت الصحيفة لإعلان مولد الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، عقب اجتماع مشترك عقده مجلسا وزراء مصر وسوريا بحضور الرئيسين ناصر والقوتلي[١٧].

وعن موقف آميركا من الاتحاد السوري المصري، نقلا عن وكالة رويتر أشارت الصحيفة إلى بيان وزارة الخارجية الأمريكية، تعليقا على إعلان الوحدة في الولايات المتحدة بوجه عام، إن تعتقد في أن إقامة علاقات أوثق في العالم العربي، أمر يقرره العرب أنفسهم طبقا لرغبات الشعوب المعنية مباشرة، ووفقا لرضاء المنطقة واستقرارها. وفي عمود آخر أشارت الصحيفة إلى إعلان سوريا ومصر يوم عطلة رسمية بمولد الجمهورية العربية المتحدة ابتهاجا بهذه المناسبة[١٨]. وفي عدد آخر أبرزت الصحيفة نقلا عن وكالة الأنباء العراقية من دمشق، ابلاغ الدبلوماسيين بقيام الجمهورية العربية المتحدة، حيث أشارت إلى استدعاء السيد صلاح الدين البيطار وزير الخارجية، سفراء السعودية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، واجتماعه بهم كل على حدة، وتسليمهم مذكرة تعلن قيام دولة جديدة باسم الجمهورية العربية المتحدة، وأشارت الصحيفة إلى قرار إيقاف جلسات مجلس الوزراء لحين إتمام انتخاب رئيس الجمهورية، وتأليف الحكومة فيما بعد[١٩].

وفي عدد لاحق نشرت الصحيفة وتحت عنوان بارز (القوتلي يرشح عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة) أشارت فيه الصحيفة إلى خطاب الرئيس شكري القوتلي، الذي أعلن فيه أنه يسره أن يكون المواطن الأول في الجمهورية العربي المتحدة الذي يرشح جمال عبد الناصر، وأبرزت قوله في أن الطريق الذي يسلكه طريق شاق، وأن رحلتنا فيه ليست نزهة، إنما كفاح وجهاد، وهتف السيد عبد اللطيف البغدادي بحياة العرب جميعا. ومن ناحية أخرى حيا السيد أكرم الحوراني السيد القوتلي بقوله اللهم أشهد أن الرئيس القوتلي قد أدى الرسالة وحمل الأمانة[٢٠].

وعن الأزمة المصرية السودانية أفصحت الصحيفة عن رأيها الذي أبدته في عمودها المخصص لبيان موقفها حيا الأحداث، حيث

أشارت فيه لأول مرة منذ قيام الوحدة وتحت عنوان (أزمة مؤسفة) إلى نزاع مصر والسودان على منطقة حدودية صغيرة تقع شمال خط العرض الثاني والعشرين، وإدعاء كل دولة حق السيادة عليها، وأبدت الصحيفة استغرابها بإثارة تلك الأزمة في الوقت الذي ينشغل فيه العالم العربي بالاتحادات التي تقوم بين الدول العربية، وأهابت الصحيفة بمصر والسودان بتجاوز تلك الضجة ولا يهم في رأي الصحيفة أن تكون تلك البقعة من الأرض واقعة في مصر أو في السودان، ما دامت جزء من بلاد العرب[٢١]. ومن الملفت للنظر أن صحيفة الشعب أثار اهتمامها قضية الخلاف بين مصر والسودان على بقعة حدودية، حيث أفصحت عن رأيها وموقفها في مقالاتها ومما يزيد الدهشة والاستغراب أن مقالات تلك الصحيفة لم تتفوه بكلمة واحدة أمام حدث لا يمكن مقارنته بالأزمة المذكورة، إلا وهو خطوة الوحدة، وقيام الجمهورية العربية المتحدة، سوى الاكتفاء بما تناقلته وكالات الأنباء لتلك الخطوة، وكما نوهنا عن ذلك آنفا، حيث أشارت الصحيفة تحت مقالها والمعنون (ما هذا) إلى شكوى السودان من مصر في مجلس الأمن، حيث استنكرت الصحيفة تلك الشكوى، وتوقعت الصحيفة أن يشكو الأمريكان السوفييت، أو تشكو كوريا الشمالية كوريا الجنوبية، أما شكوى السودان على مصر فلم يخطر بالبال على حد قول الصحيفة، وأعابت الصحيفة الدول العربية وجامعتها من عدم توسطها بين مصر والسودان، في الوقت الذي توسط فيه الأمريكان والإنكليز بين فرنسا وتونس عندما ارتكبت فرنسا عملا عدوائيا على تونس في مهاجمة قرية تونسية صغيرة[٢٢].

ونقلا عن وكالة أنباء الشرق الأوسط من القاهرة، عادت الصحيفة إلى نهجها في موقفها من الوحدة حيث نطالع عنوانا بارزا بانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر للجمهورية العربية المتحدة،

واستقالة حكومة العسلي وتوقف نشاط الأحزاب السورية[٢٣] ونقلا عن وكالة الأنباء العراقية من دمشق نشرت الصحيفة نبأ وصول الرئيس عبد الناصر فجأة إلى دمشق، وأشارت الصحيفة إلى اندفاع آلاف الناس في دمشق في التوجه إلى مكان تواجد الرئيس. وفي عمود آخر من الصحيفة ومن نفس المصدر، أشارت إلى إعلان حزب البعث العربي الاشتراكي عن حل جميع منظماته ومؤسساته في الجمهورية العربية المتحدة، بعد أن حل حزب التحرير العربي الذي يتزعمه الدكتور مأمون الكزبري وزير العدل في آخر وزارة سورية، وكذلك أشارت الصحيفة إلى تصريح السيد رشيد الكخيا عميد حزب الشعب في إعلانه حل حزبه، إضافة إلى تصريح الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام الأخوان المسلمين، وإشارته إلى قرار المكتب التنفيذي لجماعة الأخوان المسلمين بحل تنظيمهم[٢٤].

أما بصدد صحيفة الأخبار ومواقفها حيال خطوة الوحدة، فقد اتسم موقفها بالموضوعية مع التحفظ، بالرغم من كون توجهها الذي سار ضمن إطار التوجه العام للنظام الملكي، ومع ذلك قد تجلى موقفها أكثر وضوحا من صحيفة (الزمان والمنار) تجاه خطوة الوحدة، وإعلان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة.

وتحت عنوان (خطوة قومية) أشارت إلى خطب الرئيس عبد الناصر والقوتلي أثناء اجتماع مجلسي النواب المصري والسوري، حيث استعرضت الصحيفة فيه المراحل الكفاحية التي خاضتها مصر وسوريا، من أجل استقلالهما وتحقيق وحدتهما العربية[٢٥]. وأشادت الصحيفة تحت عنوان (لقاء عربي جديد) بالوحدة بين مصر وسوريا. وتمنت الصحيفة أن تكون تلك الخطوة مقدمة لخطوات وحدوية أخرى لإعلاء كلمة العرب وتحقيق أمانيهم القومية[٢٦]. وفي عدد آخر وتحت

عنوان (الدعوة إلى الاتحاد) واصلت الصحيفة بإشادتها بوحدة مصر وسوريا، ووصفتها بأنها خطوة نابعة من صلب السياسة العراقية في نهجها من أجل تكاتف توحيد كلمة العرب[٢٧]. وأردفت الصحيفة ففي عدد آخر وتحت عنوان (خطوة عربية مصلحة الأمة) وصفها لخطوة الوحدة في أن إعلانها جاء تجسيدا لأماني وآمال الشعب العربي، حيث تشكل الوحدة في رأي الصحيفة تحديا لكل النوايا العدوانية والتحديات التي تواجه أمه العرب[٢٨].

أما صحيفة الثغر[*] فقد اتسم موقفها من الوحدة المصرية بالتأييد بالتحفظ، مسايرة بذلك النهج النمطي التقليدي لبعض الصحف البغدادية الموالية للسلطة، دون الكشف عن موقفها بشكل واضح وصريح تجاه الخطوة الوحدوية، حيث اقتصرت الصحيفة في موقفها على الأخبار الوافدة والمنقولة عبر شبكات الوكالات والصحف والمطارات والمحطات الإذاعية، إلا أن المتتبع يلاحظ تعاطف الصحيفة مع خطوة الوحدة، إلا أن ذلك التعاطف والتأييد اتصف بالحيطة والتحفظ.

وعن دمشق نشرت الصحيفة تحت عمود بعنوان (الاتحاد بين مصر وسوريا) أشادت فيه إلى اجتماع مجلس الوزراء السوري المرتقب، لتحديد موعد إعلان الاتحاد بين مصر وسوريا، كما نشرت الصحيفة خبر عودة السيد صلاح الدين البيطار وزير الخارجية السورية من القاهرة، بعد إجراء مباحثات مع الزعماء المصريين حول الاتحاد المقترح، كما أوردت الصحيفة أن الرئيس عبد الناصر قد أخبر الدبلوماسيين الأمريكيين بأن مصر وسوريا قد توصلتا إلى اتفاق تام لاتحادهما، وأن باب الاتحاد مفتوحا على مصراعيه أمام الأقطار العربية الأخرى[٢٩].

وفي عدد آخر أبرزت الصحيفة وسط صفحتها الأولى، نبأ قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، سياسيا واقتصاديا

وثقافيا وعسكريا. وأشارت الصحيفة إلى البيان الذي ألقاه السيد صبري العسلي والذي جاء فيه أن قرار إعلان الجمهورية العربية المتحدة جاء معبرا عن رغبة الشعبين المصري والسوري، وهو الخطوة الأولى لتحقيق الوحدة العربية الشاملة[٣٠] وواصلت الصحيفة نشر أخبار المهرجانات والاستعراضات، التي أقيمت في دمشق بمناسبة إعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة، كما نشرت الصحيفة مواصلة الجماهير في القاهرة بإقامة مظاهر الغبطة والابتهاج بهذا اليوم التاريخي، وأشارت إلى اجتماع الرئيسين ناصر والقوتلي لبحث الترتيبات اللازمة لأسس الدولة الجديدة، قبل الاستفتاء الذي سيجرى خلال ثلاثين يوما، لاختيار الرئيس الأول للجمهورية العربية المتحدة[٣١]. وفي عدد لاحق من الصحيفة نطالع على الصحيفة الأولى عمودا بارزا تحت عنوان (الرئيس القوتلي يعود إلى دمشق بعد إعلان الوحدة) حيث أشارت فيه إلى عودة الرئيس شكري القوتلي والوفد المرافق له إلى دمشق، بعد أن حضروا الاحتفال بإعلان الجمهورية العربية المتحدة، وأوردت الصحيفة من القاهرة البرقيات التي كان قد بعث بها الحبيب بورقيبه، والحركات اليونانية، بمناسبة إعلان الوحدة، وتوقعت الصحيفة نقلا عن القاهرة وصول الأمير سيف الإسلام ولي عهد اليمن إلى القاهرة لأمور لها صلة بقيام الجمهورية العربية المتحدة[٣٢]. ومن ناحية أخرى أوردت الصحيفة من القاهرة خبرا مفاده أن الرئيس عبد الناصر سيلقي خطابا في مجلس الأمة المصري، يعلن فيه الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة، كما سيلقي الرئيس شكري القوتلي المؤقت للجمهورية العربية المتحدة، كما سيلقى الرئيس شكري القوتلي خطابا مماثلا في مجلس النواب السوري[٣٣].

وتحت عنوان (الرئيس القوتلي يرشح عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية الجديدة) أشارت الصحيفة إلى خطاب الرئيس شكري القوتلي في مجلس النواب السوري، وترشيحه للرئيس عبد الناصر لأن يكون رئيسا للجمهورية العربية المتحدة، وأكدت الصحيفة إلى أن جميع الأحزاب في البلدين ستحل، ويشكل تنظيم قومي واحد على غرار التنظيم المصري الحالي[٣٤].

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع تحت عنوان (استفتاء في مصر وسوريا على الوحدة ورئيس الجمهورية) حيث أشارت الصحيفة فيه إلى القرار الصادر عن القاهرة ودمشق القاضي بدعوة الناخبين للاستفتاء على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وأفادت الصحيفة أن وزيري الداخلية في القاهرة ودمشق يقومان بوضع الترتيبات المقتضية للاستفتاء[٣٥].

وأفادت الصحيفة في عمود آخر وتحت عنوان (الاستفتاء على الوحدة المصرية السورية) أنه يجري الآن في جميع أنحاء مصر وسوريا الاستفتاء الشعبي على الوحدة بين القطرين برئاسة السيد جمال عبد الناصر للجمهورية العربية المتحدة، وأشارت الصحيفة إلى استقبال الجماهير الغفيرة الشديد للقوتلي عندما ذهب ليدلي بصوته في الاستفتاء[٣٦].

وفي عدد آخر من الصحيفة أشارت إلى نتائج الاستفتاء الشعبي التي أسفرت على أكثر من ستة ملايين بإجابة 'نعم' لإقامة الجمهورية العربية المتحدة، وانتخاب عبد الناصر رئيسا، وفي سوريا بلغ العدد مليون وثلثمائة واثنا ألفا وكسور، وفي الوقت نفسه أشارت الصحيفة إلى مباركة السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية للرئيس عبد الناصر بمناسبة الاستفتاء[٣٧].

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عمود بعنوان بارز (في عطلة الجريدة، دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت) حيث أشارت الصحيفة استنادا إلى مصادرها في دمشق إلى إعلان الرئيس عبد الناصر دستور الجمهورية العربية المتحدة التي أطلق عليها اسم الدولة العربية المتحدة، وقد قرأ السادات مواد الدستور المؤقت، وأضافت الصحيفة أن الرئيس عبد الناصر أصدر مرسوما بتأليف وزارة الدولة الجدية من ٣٦ وزيرا، وأربعة منهم لنيابة رئاسة الجمهورية، اثنان منهم مصريان واثنان سوريان[٣٨].

أما صحيفة الحرية قد استبشرت بالخطوة الوحدوية قبل إعلانها، ومنذ ظهور المباحثات في الأفق العربي، حيث كانت نموذجا حيا في تجسيد موقفها من الوحدة المتسم بالحماسة المباركة والدعم، والخروج عن النمط التقليدي لبقية الصحف، من التحفظ والاحتراز والذي نوهنا عنه آنفا وتحت عمود الصحيفة الثابت (كلمة الحرية) وبعنوان (خطوة على طريقنا الطويل) أشارت فيه إلى تتبع حكومتنا مصر وسوريا ومواصلة جهودها، من أجل إخراج مشروع الوحدة بينهما إلى حيز الوجود، وأفصحت عن موقفها من هذا التحرك، في أن ما يعنيها من الخطوة هو مولد الاتجاه الجديد في السياسة العربية بغض النظر عن شكل الخطوة كأن تكون وحدة أو اتحاد[٣٩].

ونقرأ في عدد آخر وعلى صدر صفحاتها الأولى عناوين يستدل منها مباركة الصحيفة إعلان الوحدة ومنها (إعلان الوحدة بين سوريا ومصر) و(بيان الجلسة المشتركة لمجلسي الوزراء المصري والسوري) وكذلك (الكلمات التي ألقاها شكري القوتلي وعبد الناصر)[٤٠].

وتحت عنوان (احتفالات القاهرة ودمشق بمناسبة إعلان الوحدة) حيث أبدت الصحيفة شعورا بالغبطة والفرح، ووصفت أعياد دمشق التي ازدانت شوارعها بأقواس النصر، وامتلاء المدن السورية بالتضاهرات العديدة الهاتفة بحياة الوحدة والرئيسين، أما القاهرة فقد خرجت عن بكرة

أبيها، وامتلأت الشوارع والميادين وهي تبارك إعلان الوحدة، ترنو إلى الأفق من جديد متطلعة إلى الوحدة العربية الكبرى[٤١].

وواصلت الصحيفة دعمها ومباركتها الوحدة حيث أشارت تحت عمود كلمة الحرية وبعنوان (نقطة انطلاق المستقبل) في أن إعلان الوحدة ظل حلما يراود آذهان العرب على مر السنين، وشككت الصحيفة بعدم جدوى الجهود المبذولة من أجل تحقيق الاستقلال والرخاء ما لم تكون مدعومة بالوحدة المرتجاة تحت ظل علم واحد، هو علم الدولة العربية الكبرى[٤٢]، وتحت عنوان (حكاية التصريح الثلاثي) أشارت الصحيفة إلى إعلان وزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية، في أن بريطانيا تتشاور مع أمريكا وفرنسا لترى ما إذا كانت التطورات التي حصلت على أثر الاتحاد بين مصر وسوريا تستدعي إحداث تعديلات في التصريح الثلاثي بخصوص فلسطين أم لا! ونددت الصحيفة بالتصريح معلقة عليه، قائلة أن هذا العصر يرفض الوصايات، ولقد شبت الأمة العربية على الطوق، فلا مجال بعد اليوم لفرض وصاية عليها بأي شكل من الأشكال[٤٣].

وشاطرت صحيفة فتى العراق الموصلية قرينتها صحيفة الحرية في موقفها مباركة خطوة الوحدة بين مصر وسوريا، وتحت عنوان (حل الأحزاب السورية تمهيدا للاتحاد) نشرت الصحيفة مقالا أشادت فيه بالخطوات الإيجابية لحل جميع الأحزاب السياسية في سوريا تمهيدا لإتمام التشكيلات المتعلقة بشأن الاتحاد القومي بين مصر وسوريا.

وأشارت الصحيفة إلى دعوة رئيس الوزراء، في أن الاتحاد بين أعضاء الدول العربية هو خطوة أولى نحو الوحدة العربية المنشودة، وأعربت الصحيفة عن أملها بأن ترى الحلم الذي ساورها مدة من الزمن قد أصبح حقيقة بعد أن كان أمنية[٤٤].

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع مقالاها الافتتاحي المعنون (مرحبا بالوحدة) بقلم رئيس التحرير، حيث وصف المقال اليوم الأول من شباط بأنه يعد يوما تاريخيا خالدا، ومن أعظم أيام العرب الذي ستذكره الأجيال القادمة، ووصفت الصحيفة الخطوة الجبارة التي خطاها الشعب العربي في سوريا ومصر، بأنها نحو الوحدة العربية الشاملة التي دعا ويدعو وسيدعو إليها كل عربي مؤمن بعروبته وقوميته... وبالتالي كما ورد في رأي الصحيفة فهي مفتاح الجولة الثانية لثأر العرب في فلسطين[٤٥].

وفي عدد آخر من الصحيفة نشرت عمودا تحت عنوان (محادثات بين المملكة السعودية واليمن حول إعلان الجمهورية العربية المتحدة) حيث أشارت فيه إلى محادثات الإمام أحمد ومبعوث الملك سعود في مقر عاهل اليمن، حول الحالة الناجمة عن قيام الجمهورية العربية المتحدة ومشروع انضمام اليمن على أساس الاتحاد الفيدرالي[٤٦].

وتحت عمود (أسبوع الأحداث في الوطن العربي) أشارت الصحيفة إلى انتخابات الجمهورية المتحدة وفوز عبد الناصر بالرئاسة، وعلقت الصحيفة على ذلك بقولها أن الجمهورية العربية المتحدة قد حققت خطوات كبيرة، في إرساء أسس الاتحاد وتمنت الصحيفة في أن تكون ساعة الوحدة العربية الشاملة آتية لا ريب[٤٧].

من خلال مطالعتنا لصحيفة فتى العراق نلاحظ أنها تحاول خلق موازنة في موقفها بين الوحدة المصرية السورية من جهة، وبين الاتحاد العراقي الأردني من جهة أخرى، حيث نطالع في مقالها الافتتاحي المعنون (الدولة العربية الكبرى) بقلم رئيس التحرير حيث أشارت فيه إلى مباركة الشعب العربي وهتافه باسم فيصل والحسين وباسم جمال والقوتلي، في تحقيق هدفه المنشود الوحدة والاتحاد، وهو يرنو إلى تحقيق هدفه المرتقب بتحقيق الوحدة الشاملة[٤٨].

وفي عددا لاحق من الصحيفة وتحت عنوان (بعد تحقيق الوحدة... لا نريد الانقسام) بقلم رئيس التحرير، أكدت الصحيفة رفضها الحملات والانقسامات، التي توشك أن تفت في عضد الوحدة العربية، بعد أن لاحت طلائع الاستبشار ببزوغها بين سوريا ومصر، وبين العراق والأردن، وأفصحت الصحيفة في مقالها بأن الشعب العربي الذي فرح بالوحدة ليلتي الأول من شباط، والرابع عشر منه، ليجد الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد، والاتحاد العربي قد تحققا لا يستسيغ أي انقسام، ولا يريد أن يسكت إلا بعد سكوت الحملات بين الاتحاديين والتي تسير في غير صالح العرب[٤٩].

أما صحيفة العمل فقد انبرت في جميع مقالاتها بالتصدي للوحدة بين مصر وسوريا، ونددت من خلال طرح آرائها بميلاد (الجمهورية العربية المتحدة)، حيث تبنى رئيس تحريرها محمد فاضل الجمالي[*] كتابة تلك المقالات التي تدل على امتعاضها من الوحدة، وتطرقت في موقفها المعادي لهذه الخطوة وتحت عنوان (تحد أم اتحاد) فسرت الصحيفة الوحدة بين مصر وسوريا بأنها أمر غير طبيعي، وأنها تحد لشعور العراق والعراقيين، إضافة إلى كونها عمل مناف للمصلحة القومية[٥٠].

وذكرت الصحيفة تحت عنوان (الاتحاد العربي بين المنطق والعاطفة)، بأن الاتحاد أن يتحقق بين البلاد المتجاورة جغرافيا والمتكاملة اقتصاديا، وأن هذه الخطوة في رأي الصحيفة ما هي إلا رغبة (عبد الناصر) في خلق إمبراطورية عربية تحت زعامة مصر[٥١].

وواصلت الصحيفة استنكارها (للوحدة) ففي مقال لها تحت عنوان (وحدة سوريا ومصر وأثرها في الاتحاد العربي العام) أبدت استغرابها لاختيار اسم (الجمهورية) لوحدتهم، دون الاكتراث بوجود ستة ملوك على رأس ست دول عربية، وينتمون إلى عوائل مجاهدة في

الميدان القومي، وأن النظام الجمهوري الدكتاتوري، وعملية الدمج والإلحاق بمصر، وصداقة السوفييت هي الأسس للوحدة بين سوريا ومصر[٥٢]. وعللت الصحيفة موقفها بمقال تحت عنوان (الاتحاد الذي ندعو إليه)، قائلة بأن عدم مباركتها (الوحدة) لاعتقاد الصحيفة المذكورة في أنها عبارة عن ابتلاع قطر كبير لقطر صغير، فهي ليست وحدة، بل ضم واستيلاء[٥٣]. وفي عدد آخر نشرت مقالا تحت عنوان (يجب أن يعرف الشعب الحقيقة) حذرت الصحيفة الساسة العراقيين من الانزلاق في مجاراة الرأي العام، بصدد (ضم) سوريا إلى مصر، ونبهت الصحيفة على عدم الانسياق وراء الدعايات العاطفية والشعارات البراقة، وطالبت الصحيفة من رجال السياسة وفي مقدمتهم المسؤولون، أن يعلنوا رأيهم للشعب لضمان قيادته إلى شاطئ السلامة، والساكت عن الحق شيطان أخرس[٥٤].

لقد واصل الجمالي قيادة حملة التصدي والتكتل عبر مقالات صحيفة العمل، إذ كشف في مقال تحت عنوان (بوادر الشك بين الاعتقاد) عن تعرض أحرار سوريا ورجالها المخلصين إلى التنكيل والاضطهاد وإشاعة الرعب، وأضاف المقال إلى أن القضاء على حرية التعبير، حيلة معروفة ومألوفة في جميع النظم الدكتاتورية من نازية وشيوعية[٥٥].

ويبدو أن هذا التحامل سابق لأوانه لحداثة ولادة هذه التجربة، حيث لم تمر على ولادة (الوحدة) سوى أيام معدودات وبناء على ما تقدم، هل يجوز استقبال هذا الحدث بمثل هذا التنكيل والتجريح؟ لقد كان الأجدر بالصحيفة أن تمنح تلك التجربة الفتية الوقت المناسب ليصبح التقييم علميا وموضوعيا مع نضوج التجربة، ليتسنى بذلك إتاحة الفرصة والمجال في تحديد المؤشرات السلبية، ومناقشة مواطن

الضعف وإخفاقات التجربة وذلك من خلال الاستقصاء وتقصي الحقائق.

ونقرأ تحت عنوان (وحدة الحكم البوليسي) وصفت الصحيفة الوحدة بين سوريا ومصر أنها عاهة على الجسم (العربي) وأنها أي (الوحدة) لا تحتل إلا مقام الصفر، فهي مختلفة باطنيا ومتحدة ظاهريا، وأنها مدانة بالحقائق الدامغة، وأن الحكم البوليسي الدكتاتوري التعسفي في القطرين هو المبرر لهذه الوحدة[٥٦]. وواصلت الصحيفة مزاعمها ضد الوحدة في مقال تحت عنوان (ماذا في سوريا) أشارت فيه الصحيفة إلى تعسف المكتب الثاني في سوريا والمثل في شخصية عبد الحميد السراج، وتطرقت الصحيفة في مقالها إلى تدني الحالة الاقتصادية الناتجة عن ارتباط الاقتصاد السوري بالاقتصاد المصري[٥٧].

أما صحيفة الحوادث فقد اتصف وقفها عند ولادة الوحدة وإعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة، بالتحفظ والاكتفاء بنشر الأخبار التي تناقلتها وكالات الأنباء وخاصة العربية منها، إلا أن هذا الموقف سرعان ما تبدل في غضون أيام قلائل وقد تجلى ذلك بالتصدي للحدث والتشكيك به من خلال مقالات الصحيفة وأعمدتها الثابتة تحت عناوين كخواطر المساء وحديث الحوادث على سبيل المثال، ويبدو لمتتبع الصحيفة في أن مواقفها يزداد حدة في التنكيل والسخط وكلما زادت الخطوات والإجراءات الوحدوية بين حكومتي مصر وسوريا كلما تمادت صحيفة الحديث في صفاقتها إلى حد زعمها في أحد أعمدتها البارزة بإقدام مصر لدعوة 'إسرائيل' بالانضمام إلى الاتحاد ومن هنا ندرك موقف الصحيفة من الوحدة، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن صحيفة العمل ولا يوجد ما يبرر إجراء المقارنة بينهما من حيث النهج والمسار تجاه خطوة الوحدة.

ونقلا عن دمشق نشرت الصحيفة مقالا تحت عنوان (القوتلي يسافر إلى القاهرة مع هيئة وزارية ونيابية لإعلان إنشاء الدولة الموحدة بين مصر وسوريا) أشارت فيه إلى تصريحات بعض المسؤولين السوريين، بصدد الخطوات المرتقبة واللازمة لإنجاز خطوة الوحدة، وبهذا الخصوص أشارت الصحيفة إلى قول السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية، في أن مجلس الوزراء وافق على اختيار الوفد الوزاري الذي سيرافق القوتلي إلى القاهرة، لإعلان الدولة الجديدة[٥٨].

ونقلا عن أخبار القاهرة نشرت الصحيفة في عدد آخر عن إعلان الرئيسيين عبد الناصر والقوتلي إنشاء الدولة العربية المتحدة، ودعوة الشعبين المصري والسوري إلى استفتاء عام، وعلى نفس الصفحة من العدد نفسه وتحت عنوان (تعليق وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن على نبأ إعلان الاتحاد بين سوريا ومصر) أشارت الصحيفة إلى تعليق الخارجية الأمريكية في أن الولايات المتحدة تتحفظ في إعلان موقفها حاضرا لنقص معلوماتها عن الاتحاد المصري السوري وما يمكن أن يحدثه من أثر على الدولة العربية الأخرى[٥٩].

وتحت عنوان (جمال عبد الناصر يزور دمشق مع حكومته بعد نتيجة الاستفتاء حول النظام الاتحادي) أفادت الصحيفة نقلا عن القاهرة اعتزام الرئيس عبد الناصر بزيارة دمشق رسميا مع حكومته، بعد نتيجة الاستفتاء الذي سيجري يوم الحادي والعشرين من شباط الجاري[٦٠].

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان بارز نطالع (تأليف مجلس نيابي موفق للجمهورية العربية الموحدة الجديدة، والمصريين يحتلون ثلاثة أرباع المقاعد والسوريون الربع الباقي)، نقلا عن القاهرة

أشارت الصحيفة إلى إعلان عبد الناصر وقف الأحزاب السورية وتشكيل الاتحاد القومي. ومن جانب آخر نقرأ في نفس الصفحة من العدد نفسه ونقلا عن واشنطن في أن وزارة الخارجية الأمريكية تنظر بعين الأمل إلى الاتحاد السوري المصري، لتعلن موقفها الرسمي بعد الاستفتاء الشعبي(٦١). ويبدو أن صحيفة الحوادث هي الأخرى تنتظر عما سيتخذه الأمريكان من موقف إزاء الوحدة ، وانعكاس تأثيرها على منطقة الشرق الأوسط وبعبارة أخرى أن انجلاء موقف الصحيفة الحقيقي، كان متوقفا ومرتبطا بموقف دول أخرى ولهذا لم يتضح بشكل جلي وواضح حتى اللحظة، سوى اقتصار الصحيفة على نشر الأخبار الواردة وكما نوهنا عن ذلك سابقا.

وتحت عنوان (الدستور المؤقت للجمهورية العربية الموحدة الجديدة يوضع موضع التنفيذ، رئيس الجمهورية مصدر كل السلطات التشريعية والتنفيذية والإجرائية) أشارت الصحيفة فيه نقلا عن القاهرة إلى وضع دستور مؤقت لإدارة الدولة الجديدة في مرحلة الانتقال، ويكون للجمهورية العربية هيئة تنفيذية واحدة ممثلة برئيس الجمهورية، وسيكون للجمهورية الجديدة علم واحد وجيش واحد، وستتخذ الإجراءات لوضع دستور مستديم، وتحت عمود آخر في نفس الصفحة من العدد ونقلا عن دمشق نشرت خبرا تحت عنوان (البيطار يواصل الدبلوماسيين بإعلان الوحدة المصرية السورية)، أشارت فيه إلى مواصلة السيد صلاح الدين البيطار وزير الخارجية السورية والدكتور أسعد الخانجي الأمين العام لوزارة الخارجية، استقبال الممثلين الدبلوماسيين للدول العربية والأجنبية في سوريا، لإبلاغهم إعلان الجمهورية العربية المتحدة، وأوردت الصحيفة خبرا في نفس العدد وعلى نفس الصفحة نقلا عن القاهرة وتحت عنوان (الإمام أحمد يوافق من حيث المبدأ ضم اليمن للاتحاد المصري - السوري)

حيث أشارت فيها إلى تصريحات القاضي محمد العمري مساعد وزير خارجية اليمن، قوله في أن جلالة الإمام أحمد ملك اليمن قد وافق من حيث المبدأ على الاتحاد مع الجمهورية المتحدة[٦٢].

وفي عدد آخر من صحيفة الحوادث، وتحت عمود (حديث الحوادث) بدأ الستار يزاح عن موقف الصحيفة الحقيقي، حيث نشرت تحت عنوان (نريد اتحاد آخر) أشارت فيه إلى الظروف والملابسات التي أحاطت بالاتحاد المصري – السوري، وعلى وجود العراقيل الطبيعية، لتظهر مثل هذا الاتحاد انصهارا تاما، ومن هنا بدأت الصحيفة بالتعكز على الظروف الجغرافية كسبب مهم لعرقلة مثل هذه الخطوة، معمقة بذلك النزعة التي ذهبت بها قرينتها صحيفة العمل وغيرها، وناشدت الصحيفة حكومات العراق ولبنان والأردن والسعودية التي تشترك في حدودها وتشترك في أهدافها وسياستها، لتحقيق اتحاد حقيقي إيجابي يوحدها ويجعلها كتلة متراصة[٦٣]. وكشفت الصحيفة في عدد آخر وتحت عمود (خاطرة اليوم) عن حقيقة موقفها وسخريتها تجاه الوحدة المصرية السورية وتحت عنوان (فتوى الإمام بوحدة مصر وسوريا)، حيث أشارت إلى ترحيب إمام اليمن بالانضمام إلى وحدة مصر وسوريا، على شرط الاعتراف من قبل المسؤولين السوريين والمصريين بالتعاليم الزيدية والتقاليد اليمنية! وتساءلت الصحيفة عن مدى استعداد جمال عبد الناصر أن يقدم هذه الأمانة بين يدي الإمام أمير المؤمنين، وظل الله في أرضه، كما فعل السيد القوتلي وهو يقدم الأمانة إلى سيادته![٦٤].

وتحت عمود (خواطر المساء) نطالع عنوان (الوحدة العربية بين الإيمان والرياء) بقلم الأستاذ محمد رزق الله اوغسطين، ناشد فيه كاتب العمود الصحافة العربية التي تسبح ببحار من السرور والاغتباط بسبب الاتحاد المصري السوري، وذكر الكاتب أن هذا الاتحاد مع

سوريا ونفوسها ثلاثة أو أربعة ملايين فقط، وتفصل بينها وبين مصر البحار، وتساءل كاتب العمود لماذا لم تكن هذه الصحافة قد غمرت نفسها ببحار من الحزن والأسى والسواد يوم فرط عبد الناصر بوحدة مصر مع السودان، التي يبلغ عدد نفوسها ١٢ مليون نسمة والملاصقة لأرض مصر، والتي يربطها عرق حياة واحد هو نهر النيل، والذي يفرط بالوحدة مع السودان هل هو جدير بالزعامة على الاتحاد مع سوريا[٦٥].

في الوقت نفسه تحاول الصحيفة تأزيم الخلاف بين الحكومة المصرية السودانية حول منطقة شمالي وادي حلفا، حيث نقرأ تحت عنوان بارز (أزمة سياسية حادة بين الحكومتين المصرية والسودانية) حيث أشارت الصحيفة نقلا عن الخرطوم في أن المنطقة التي تدعي بها مصر جزءا لا يتجزأ من السودان، إذا تقوم بإدارته منذ ٥٦ سنة الحكومة السودانية ويقطنها مواطنون سودانيون. وفي عمود من نفس العدد من الصحيفة وتحت عنوان ملفت للنظر ومثير للدهشة والاستغراب (مصر تدعو 'إسرائيل' إلى الاتحاد) إذا شهدت بتنبؤات الكاتب الحر العبقري...! محمد رزق الله اوغسطين وتوقعاته في قيام مساعي لضم 'إسرائيل' إلى الاتحاد المصري – السوري، وآشارت الصحيفة إلى تأييد زعمها هذا في آن المعلق باللغة العربية من إذاعة 'إسرائيل' المسمى آبو موسى القدسي، أدعى بأن المعلق بالغة العبرية أيضا. قال آن الاتحاد المصري – السوري، متى ما تم فإن 'إسرائيل' ستجد نفسها بين آمرين آما آن تبقى داخل حصار عربي مضروب حولها، آو أن تنضم إلى هذا الاتحاد العربي[٦٦].

وتحت عمود بعنوان (الجمهورية العربية المتحدة) وبقلم يوسف البياتي رئيس جمعية الثقافة العربية في العراق، إذ طالب كاتب العمود بأن على مصر آن تظهر بأن القومية العربية أعظم من الشيوعية،

وأوضح الكاتب في أن الدين الرسمي في العراق هو الإسلام الذي على طرفي نقيض مع الشيوعية المخربة للأديان[٦٧]. ولا ندري ما يستهدفه كاتب العمود في هذه الدعوة المهمة، وهنالك سؤال يبدو للباحث بأنه طرح نفسه وهو: هل أن مصر أو سوريا أعلنتا الشيوعية كطريق، وما هي علاقة هذا التنويه أو التحذير الوارد في العمود المنوه عنه بإعلان استفتاء الشعب العربي في سوريا ومصر بشأن إقامة الوحدة والتصويت لعبد الناصر قائدا لها... أنه لأمر يثير الحيرة حقا. وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع خبرا بعنوان (مصر تبلغ الأمم المتحدة رسميا بقيام الجمهورية العربية الموحدة) وعنوان آخر (بقاء القوتلي في بيته بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة دون أن يترك السياسة)[٦٨].

ومن الملفت للنظر أن أغلب التسميات التي تناولتها صحيفة الحوادث، التي تتعلق بخصوص الجمهورية العربية المتحدة هو إطلاق تسمية موحدة وليست متحدة، أما الغرض من ذلك يكمن كما يبدو في أهداف وموقف الصحيفة من الجمهورية العربية المتحدة، ونواصل تتبع موقف صحيفة الحوادث من الوحدة المصرية السورية، وتحت عنوان عمود (خاطرة المساء) حيث نطالع عنوان (اتحاد... اتحاد!...) يظهر رأي الصحيفة في الاتحاد العراقي الأردني مقارنة بالوحدة المصرية السورية، والبعد الشاسع بين دستوري الاتحادين، وسبب ذلك في رأي الصحيفة أن الوحدة جاءت مرتجلة، والاتحاد بني على أسس رصينة قويمة، وأشارت الصحيفة إلى تباين بعض المواد القانونية بين الدستورين، لتبرز الصحيفة بعد ذلك نزعتها الحقيقية في التحزب للاتحاد الهاشمي وأفضليته على الوحدة[٦٩].

وتواصل الصحيفة تشكيكها بكل ما هو له صلة بدولة الوحدة، حيث نشرت، تحت عمود (حديث الحوادث) وتحت عنوان (عملة الجمهورية... المتحدة!؟) أشارت الصحيفة إلى مساوئ الاندماج

وتوحيد العملتين المصرية والسورية، ومع أن الصحيفة سبقت هذا القرار الذي لم يحدث، إلا أنها أرادت أن تشير بذلك إلى عدوانيتها من الوحدة وأفصحت عن موقفها في ذلك بإبداء استغرابها المصطنع من الشعب السوري، والذي يقبل أن يتنازل عن قسط كبير من قوته المالية فداءا لجمال عبد الناصر، وجمهوريته المتحدة، وهذا أمر بعيد الاحتمال كما جاء في الصحيفة إلا إذا حدث عنوة وبالإرهاب[٧٠].

وواصلت الصحيفة في عدد آخر تصديها وسخطها على خطوة الوحدة بين مصر وسوريا، إذ نشرت خاطرة تحت عمود (خاصرة اليوم) وتحت عنوان (أجيبوا يا عرب الجمهورية المتحدة؟!) تساءلت فيها الصحيفة كيان 'إسرائيل' لأن هناك قرابة بين الشيوعية والصهيونية، وأمام هذا يقف حكام مصر ليهددوا 'إسرائيل' عن لسان الشيوعية[٧١].

وتحت عمود (خواطر المساء) يعود الكاتب محمد رزق الله أوغسطين في مقاله المعنون (العرب في ٥٠ سنة) أشار فيه إلى تعاظم نفوذ العرب في الخمسين سنة الأخيرة، وأضاف الكاتب أنه لولا ظهور عبد الناصر وعداءه لأحكام القرآن الكريم لكان للعرب شأن أكبر واتحاد أعظم[٧٢].

وفي عدد لاحق من الصحيفة واصل الكاتب تحت عمود (خواطر المساء) وتحت نفس العنوان (العرب في ٥٠ سنة) تنديده بالرئيس عبد الناصر، وأشار إلى أن ثورات العراق وسوريا هي التي أيقظت العرب والتي أنتجت ثورات مصر نفسها، وليس عبد الناصر، واستغرب الكاتب من أن عبد الناصر هو الذي أيقظ أو خلق القومية العربية في الوقت الذي أنزل في بلاده المجر والهند وحتى 'إسرائيل'[٧٣]، وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع (الشيوعيين السوريون ساخطون على

الوحدة) إذ تعكزت الصحيفة على إعلان الشيوعيين السوريين سخطهم واستياءهم من مشروع الوحدة بين سوريا ومصر، ولا يبدو للباحث هذا التعاطف منصفا من قبل الصحيفة مع شريحة سياسية هي مقيتة في نظر الصحيفة قبل غيرها إلا وهم الشيوعيون.

وعلى أية حال نطالع في الصحيفة نفسها ومن نفس العدد وتحت عمود (حديث الحوادث وتحت عنوان المؤتمرات... وعبد الناصر) حيث أدانت الصحيفة الرئيس عبد الناصر في تسخيره وسائل الإعلام لتوجيه السباب والشتم ضد رجالات الأردن والعراق، وزعمه لتدبير مؤامرة لاغتياله من قبل السعودية واستخلصت الصحيفة القول في أنه لا يبدو أن حكم عبد الناصر لا يستطيع أن يستقيم بدون أزمات ولا مشاكل، وتحت ظل الأوضاع الطبيعية وبالانسجام مع الدول العربية[٧٤].

المصادر والمراجع

(١) الياس فرح (دكتور)، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٨٦، ص ص١٨٣ – ٢٠٥.

(٢) محمد ظافر الادهمي: منهج جديد في دراسة ظهور حركة القومية العربية، مجلة آفاق عربية العدد ٢، السنة ١٩٨١، ص١١.

(٣) للتوسع حول هذا الموضوع: انظر ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، دار العلم الملايين – بيروت، السنة ١٩٥٩، ص٢٥٧.

(٤) سيد ياسين: تحليل مضمون الفكر القومي العربي/دراسة استطلاعية/مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة ١٩٨٠، ص١١٢.

(٥) عبد اللطيف حمزة (دكتور)، دراسة أزمة الضمير الصحفي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي – مصر الجديدة، السنة ١٩٦٠، ص٢٧.

(٦) فائق بطي: صحافة العراق تاريخها وكفاح أجيالها، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٨٦، ص١٧٠.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٦.

(٨) فائق بطي: صحافة الأحزاب وتاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الأديب بغداد، ١٩٦٩، ص١٨٤.

(٩) فائق بطي: صحافة العراق تاريخها وكفاح أجيالها، المصدر السابق نفسه، ص ص١٧٠ – ١٧٣

(١٠) صحيفة الزمان، العدد ٦١٦٢، الصادر في ٣ /شباط/١٩٥٨.

(١١) صحيفة المنار، العدد ١١٦٦، الصادر في ٣٠/كانون الثاني/١٩٥٨.

(١٢) المصدر نفسه، العدد ١١٦٨، الصادر في ٢/شباط/١٩٥٨.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ١١٦٩، الصادر في ٧/شباط/١٩٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ١١٧٢، الصادر في ٧/شباط/١٩٥٨.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ١١٧٧، الصادر في ١٣/شباط/١٩٥٨.

(١٦) صحيفة الشعب، العدد ٤٠٧٥، الصادر في ٢١/كانون الثاني/١٩٥٨.

(١٧) المصدر نفسه، العدد ٤٠٧٧، الصادر في ٢/شباط/١٩٥٨.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٤٠٧٨، الصادر في ٣/شباط/١٩٥٨.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٤٠٨٠، الصادر في ٥/شباط/١٩٥٨.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ٤٠٨١، الصادر في ٦/شباط/١٩٥٨.

(٢١) المصدر نفسه، العدد ٤٠٩٢، الصادر في ١٩/شباط/١٩٥٨.
(٢٢) المصدر نفسه، العدد ٤٠٩٤، الصادر في ٢١/شباط/١٩٥٨.
(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٤٠٩٦، الصادر في ٢٣/شباط/١٩٥٨.
(٢٤) المصدر نفسه، العدد ٤٠٩٨، الصادر في ٢٥/شباط/١٩٥٨.
(٢٥) صحيفة الأخبار، العدد ٤٨٦٣، الصادر في ٢٨/كانون الثاني/١٩٥٨.
(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٤٨٦٧، الصادر في ١/شباط/١٩٥٨.
(٢٧) المصدر نفسه، العدد ٤٨٧١، الصادر في ٥/شباط/١٩٥٨.
(٢٨) المصدر نفسه، العدد ٤٨٨٥، الصادر في ٢٢/شباط/١٩٥٨.
(*) الثغر صحيفة يومية سياسية مستقلة، صدرت في البصرة بتاريخ ١٢/مايس/١٩٢٣ وصاحبها شاكر النعمة.
(٢٩) صحيفة الثغر، العدد ٦٧٣٨، الصادر في ٢/كانون الثاني/١٩٥٨.
(٣٠) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤٠، الصادر في ٢/شباط/١٩٥٨.
(٣١) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤١، الصادر في ٣/شباط/١٩٥٨.
(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤٢، الصادر في ٤/شباط/١٩٥٨.
(٣٣) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤٣، الصادر في ٥/شباط/١٩٥٨.
(٣٤) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤٤، الصادر في ٦/شباط/١٩٥٨.
(٣٥) المصدر نفسه، العدد ٦٧٤٥، الصادر في ٨/شباط/١٩٥٨.
(٣٦) المصدر نفسه، العدد ٦٧٥٦، الصادر في ٢١/شباط/١٩٥٨.
(٣٧) المصدر نفسه، العدد ٦٧٥٧، الصادر في ٢٢/شباط/١٩٥٨.
(٣٨) المصدر نفسه، العدد ٦٧٦٧، الصادر في ١٨/شباط/١٩٥٨.
(٣٩) صحيفة الحرية، العدد ١٠٩٦، الصادر في ٣٠/كانون الثاني/١٩٥٨.
(٤٠) المصدر نفسه، العدد ١٠٨٩، الصادر في ٢/شباط/١٩٥٨.
(٤١) المصدر نفسه، العدد ١٠٩٩، الصادر في ٣/شباط/١٩٥٨.
(٤٢) المصدر نفسه، العدد ١١٠١، الصادر في ٥/شباط/١٩٥٨.
(٤٣) المصدر نفسه، العدد ١١٠٩، الصادر في ١٤/شباط/١٩٥٨.
(٤٤) صحيفة فتى العراق، العدد ٢١٢٧، الصادر في ٣٠/كانون الثاني/١٩٥٨.
(٤٥) المصدر نفسه، العدد ٢١٢٩، الصادر في ٦/شباط/١٩٥٨.
(٤٦) المصدر نفسه، العدد ٢١٣٠، الصادر في ٣٠/شباط/١٩٥٨.
(٤٧) المصدر نفسه، العدد ٢١٣٤، الصادر في ٢٤/شباط/١٩٥٨.

(٤٨) المصدر نفسه، العدد ٢١٣٦، الصادر في ٣/آذار/١٩٥٨.
(٤٩) المصدر نفسه، العدد ٢١٣٧، الصادر في ٦/آذار/١٩٥٨.
(*) محمد فاضل الجمالي، سياسي عراقي بارز تبوأ رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية ومما أشيع عنه أنه تبنى السياسة الأمريكية ودعا إليها.
(٥٠) صحيفة العمل، العدد ٤٦، الصادر في ٤/شباط/١٩٥٨.
(٥١) المصدر نفسه، العدد ٥١، الصادر في ١٠/شباط/١٩٥٨.
(٥٢) المصدر نفسه، العدد ٥٣، الصادر في ١٢/شباط/١٩٥٨.
(٥٣) المصدر نفسه، العدد ٥٧، الصادر في ١٨/شباط/١٩٥٨.
(٥٤) المصدر نفسه، العدد ٥٨، الصادر في ١٩/شباط/١٩٥٨.
(٥٥) المصدر نفسه، العدد ٥٩، الصادر في ٢٠/شباط/١٩٥٨.
(٥٦) المصدر نفسه، العدد ٦٠، الصادر في ٢١/شباط/١٩٥٨.
(٥٧) المصدر نفسه، العدد ١٠٠، الصادر في ١٠/نيسان/١٩٥٨.
(٥٨) صحيفة الحوادث، العدد ٤٥٢٣، الصادر في ١/شباط/١٩٥٨.
(٥٩) المصدر نفسه، العدد ٤٥٢٤، الصادر في ٣/شباط/١٩٥٨.
(٦٠) المصدر نفسه، العدد ٤٥٢٥، الصادر في ٤/شباط/١٩٥٨.
(٦١) المصدر نفسه، العدد ٤٥٢٧، الصادر في ٦/شباط/١٩٥٨.
(٦٢) المصدر نفسه، العدد ٤٥٢٨، الصادر في ٧/شباط/١٩٥٨.
(٦٣) المصدر نفسه، العدد ٤٥٢٩، الصادر في ٨/شباط/١٩٥٨.
(٦٤) المصدر نفسه، العدد ٤٥٣٤، الصادر في ١٤/شباط/١٩٥٨.
(٦٥) المصدر نفسه، العدد ٤٥٣٥، الصادر في ١٥/شباط/١٩٥٨.
(٦٦) المصدر نفسه، العدد ٤٥٣٧، الصادر في ١٩/شباط/١٩٥٨.
(٦٧) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٠، الصادر في ٢٢/شباط/١٩٥٨.
(٦٨) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤١، الصادر في ٢٤/شباط/١٩٥٨.
(٦٩) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٢، الصادر في ٢٥/شباط/١٩٥٨.
(٧٠) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٣، الصادر في ٢٦/شباط/١٩٥٨.
(٧١) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٤، الصادر في ٢٧/شباط/١٩٥٨.
(٧٢) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٥، الصادر في ٢٨/شباط/١٩٥٨.
(٧٣) المصدر نفسه، العدد ٤٥٤٦، الصادر في ١/آذار/١٩٥٨.
(٧٤) المصدر نفسه، العدد ٤٥٥١، الصادر في ٧/آذار/١٩٥٨.



الرئيس جمال عبد الناصر

الفصل الثالث

سياسة الجمهورية العربية المتحدة

١٩٥٨ - ١٩٦١

أولاً: سياسة الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨ – ١٩٦١:

لقد تكللت جهود السوريين والمصريين بالنصر بعد اتفاقهما بقيام الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨، لتكوين دولة عربية قوية سياسياً واقتصادياً، تقود النضال العربي نحو التحرر من قيود الاستعمار والتبعية التي كانت عليها بعض الأقطار العربية، ساعية في الوقت نفسه إلى تحقيق آمال الشعب العربي السوري، بالتخلص من الإقطاع والتخلف والجهل، وتحقيق العدالة الاجتماعية. لذلك قامت دولة موحدة، العمل على اتباع السياسة الخاصة بها في سبيل تحقيق أهدافها على جميع الصعد الداخلية والخارجية والاقتصادية على النحو الآتي:

١- السياسة الداخلية:

بدأت الجمهورية العربية المتحدة بناء نظامها السياسي الجديد، بتقسيم الجمهورية إلى إقليمين، شمالي وجنوبي هما سوريا ومصر، تحت إدارة تنفيذية مركزية برئاسة جمال عبد الناصر، رئيساً للجمهورية ولمجلس الوزراء، يساعده عدد من نواب الرئيس من كلا الإقليمين. ويشكل في الإقليمين، مجلس تنفيذي، لكل منهما يرأسه رئيس يعين من قبل رئيس الجمهورية[١].

وقد حدد الدستور المؤقت، الصادر في ١٥ آذار ١٩٥٨، شكل الدولة وصلاحية السلطات الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية فيها. ولما كان الجانبان السوري والمصري، لم يتفقا في مفاوضاتهما على تحديد موعد لإجراء انتخابات تشريعية، لاختيار أعضاء مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة، لهذا اقتضت الحاجة إلى إبقاء الأعضاء السابقين لمجلسي النواب السوري والأمة المصري[٢]، ومواصلة مهامهم النيابية إلى حين إجراء انتخابات تشريعية جديدة[٣].

ولم يحدد الدستور المؤقت، العدد الكلي لمجلس الأمة ولا مدة العضوية فيه، إلا أنه بعد إجراء الانتخابات التشريعية في ٢٣ تموز ١٩٦٠، تم اختيار (٢٠٠) عضو من الإقليم المصري، الأمر الذي أدى إلى إثارة ردود فعل قوية لدى الأوساط السورية بحجة سيطرة المصريين، سيطرة تامة على المجلس وقراراته، ويبدو أنهم تناسوا أن تحديد أعضاء مجلس النواب يعتمد على عدد السكان وأن الوحدة تشمل وحدة الشعبين في شعب عربي واحد.

وعلى أي حال، فقد كانت للمسيرة التشريعية الأولى بين الإقليمين إيجابيتها وسلبياتها على الجانب السوري، حيث أنه قد سمح للمرأة السورية المشاركة بالانتخابات، بغض النظر عن أية شهادة الابتدائية. وبهذا ضمنت المرأة ممارسة حقوقها السياسية في الإقليمين من دون عائق[٤] بيد أنه، ومما يؤخذ على تلك الانتخابات الاشتراط على المرشحين لخوضها أم يكونوا أعضاء في الاتحاد القومي، الأمر الذي عدته قوى الأحزاب السياسية السابقة في سوريا، عائقاً بوجهها، وعلى وجه الخصوص الفئات التقدمية منها لأنه سوف يعيق وصول الكثيرين منهم إلى مجلس الأمة، وحلول الآخرين من قوى التخلف والرجعية بدلاً عنهم.

وعلى العموم، لم يسهم مجلس الأمة بشكل فعال في الأحداث السياسية في أثناء سنوات الوحدة، إذ لم تثبت الأيام ولو بدليل واحد قيام هذا المجلس بأي دور سياسي بارز أو قرار في أية قضية، وانحصر عمل المجلس في إقرار الميزانية والقوانين المالية والإدارية التي تتطرق إلى الضرائب والقروض فقط[٥].

وعلى صعيد السلطة التنفيذية، شكل عبد الناصر، أول حكومة للجمهورية في ٥ آذار ١٩٥٨، وقد ضمت بالإضافة إلى المصريين عدداً من السوريين على رأسهم أكرم الحوراني وصبري العسلي نائبين

للرئيس وصلاح الدين البيطار وزيراً للدولة، وفي الوقت نفسه، شكلت وزارة تنفيذية في كلا الإقليمين، ترأس فيها أكرم الحوراني، بصورة مؤقتة وزارة الإقليم السوري[٦].

ويبدو واضحاً، من تشكيلة الوزارة السورية أن جمال عبد الناصر كان ميالاً إلى إبعاد العسكريين وتدخلاتهم المستمرة في شؤون السلطة السياسية، ولهذا قام بتنحية بعض السياسيين السابقين وإبعاد كبار الضباط عن مناصبهم العسكرية، وتحويلهم إلى مناصب مدنية، ولا سيما عفيف البزري بمنصبه، رئيساً لأركان الجيش الذي سمي بالجيش الأول[٧].

وتأكيداً لأهمية القوات المسلحة في الدفاع عن الجمهورية، أصبحت وزارة الحربية وزارة مركزية، واختير المشير عبد الحكيم عامر وزيراً لها[٨] وتنفيذاً لتوجيهات الرئيس عبد الناصر بإجراء عملية تطبيع وحدوية ممزوجة بالخوف من إفشال الوحدة من قبل العسكريين السوريين ومن ذوي الميول السياسية الأخرى، بدأت لقيادة العسكرية بمحاولة لتحديث الجيش الأول في سوريا وذلك بالتخلص من كبار الضباط من ذوي الرتب العالية ومن العناصر غير الوحدوية بالإحالة على التقاعد[٩]، كما تم إجراء بعض التنقلات لضباط الجيشين شملت نقل الضباط المصريين إلى سوريا، ونقل السوريين إلى مصر[١٠].

إن هذه التنقلات، لم تلق آي ترحيب من قيادة الأحزاب السابقة، ولا من رئيس آركان الجيش الأول عفيف البزري، إذ أنهم اعتبروها نوعاً من زيادة السيطرة المصرية على سوريا الأمر، الذي أدى ظهور علامات التذمر والاستياء بين السياسيين وعلى رأسهم لفريق البزري، الذي قدم استقالته وقبلها عبد الناصر[١١].

ونظراً للأخطاء التي ظهرت في عمل الوزارة السابقة. التي كشفت عن عيوب لابد من تلافيها، وأبرزها صعوبة التنسيق وعدم تحديد المسؤوليات بدقة، وعدم وجود رقابة على التنفيذ. أجري تعديل وزاري في ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٨، تألفت فيه الحكومة المركزية الثانية، وقد ضمت سبعة من السوريين وكان أكرم الحوراني نائباً للرئيس[١٢] هذا وقد أبعد من تشكيلة الوزارة الجديدة صبري العسلي، بعد أن ازداد التنافس فيما بينه وبين أكرم الحوراني فضلاً عن ورود اسمه في المحاكمات الخاصة في العراق، لمحاكمة رجال العهد الملكي حول المؤامرات السورية السابقة[١٣].

وبرغم التغيير الوزاري، إلا أن الوضع السياسي والاقتصادي في سوريا، ازداد تأزماً، وكان للحديث الذي أجراه الرئيس عبد الناصر مع رجال الاقتصاد والغرف الصناعية والتجارية والزراعية في القاهرة أهمية عظيمة وتأثير كبير في الأوساط الاقتصادية والتجارية في سوريا، وقد اتسم الحديث بالصراحة حيث استعرض فيه الرئيس ورجال الاقتصاد الحالة الزراعية وسوء الموسم الزراعي وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي وزعزعة النقد السوري الأمر الذي أدى طرح (٧٦) مليون ليرة سورية لإعادة الثقة العالية في سوريا وتثبيت النقد وعدم الإشاعات القائلة بدمج النقد السوري جنيه المصري وقد نتج عن هذا اللقاء تشكيل لجنة عليا لدراسة وضع سوريا الاقتصادي[١٤]. الأمر الذي دعا الرئيس عبد الناصر إلى إرسال لجنة ثلاثية في ٧ كانون الثاني ١٩٥٩، إلى سوريا، مؤلفة من نائبيه عبد اللطيف البغدادي وأكرم الحوراني ومن زكريا محي الدين، وزير الداخلية المركزي[١٥] للإشراف على البرامج التنموية وتطورها في سوريا، وتذليل العقبات القانونية والمالية أمام الوزارات، لتواكب التقدم الذي يسير عليه الإقليم الجنوبي[١٦].

ومع ذلك فإن اللجنة لم تحقق الأهداف التي أرسلت من أجلها، وذلك لاستمرار تدهور الوضع الاقتصادي السوري.

وبعد ما وصل الوضع في الإقليم السوري إلى طريق مسدود، رأى الرئيس عبد الناصر، ضرورة تغيير إدارة الإقليم، بالعمل على إعطاء المزيد من اللامركزية في الإدارة، ومنح الصلاحيات الضرورية لأحد نوابه للإشراف على تنفيذ السياسة العامة في الإقليم السوري ورسم وتنسيق السياسة الوحدوية بين إقليمي الجمهورية العربية المتحدة وطريقة تنفيذها، لذلك أصدر عبد الناصر في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٩ قراراً بتعيين المشير عبد الحكيم عامر نائباً في دمشق، وخوله معظم صلاحياته رئيس المجلس التنفيذي والوزراء المركزيين، إضافة إلى وظائفه السابقة[١٧].

وبهذا الصدد أدلى المشير عبد الحكيم عامر بحديث لمراسل صحيفة أمريكية أعلن فيه أنه ليس لمهمته بدمشق علاقة بالموقف في العراق، وأن الجمهورية العربية المتحدة ستواجه المؤامرات والدسائس الموجهة ضدها بالعمل البناء، ووصف الإشاعات المعادية بوجود تذمر في الجيش الأول بأنه هراء، ثم نفى وجود أية تحركات عسكرية على حدود العراق[١٨].

وعلى العكس مما كان متوقعاً، فإن سياسة عبد الناصر الجديدة بالاعتماد على شخصية قوية، لها مطلق الصلاحيات، ستساعده في إنعاش الوضع الاقتصادي المتردي وإدارة الإقليم السوري، لكنها أثبتت فشلها أيضاً إذ إنها ولدت قناعة لدى السوريين بأن الرئيس عبد الناصر، لم تكن له أي ثقة بهم، ليعطيهم هذا المنصب، ومما زاد في الأمر سوءاً تلك السياسة التي بدأ المشير عامر انتهاجها في الإقليم السوري، لا سيما في صفوف الجيش.

لقد بدأ في النصف الثاني من عام ١٩٥٩، تشكيل الاتحاد القومي، وهو التنظيم البديل للأحزاب السياسية، الذي طرحه الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك أفراد الشعب كافة، حيث يمارس، من خلاله، قادة لجانه في مؤتمرهم 'العام رسم الخطط العامة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، واقتراح التشريعات، وإبداء التوجيهات في السياسة الدولية[١٩].

لقد تكوّن الاتحاد القومي من تجمعات هرمية، تبدأ من القرى والنواحي والأقضية، ثم المحافظات حتى تصل إلى المؤتمر العام في الجمهورية العربية المتحدة[٢٠]، ويبدو إن انتخابات الاتحاد القومي في سوريا، التي جرت في تموز ١٩٥٩، جاءت مخيبة لآمال قادة حزب البعث العربي الاشتراكي، إذ لم ينجح الكثيرون منهم، على خلاف ما توقعوه، ولقد أكد ذلك الرئيس عبد الناصر حينما قال لهم: 'إن حل الحزب (البعث) سيكون شكلياً، لأن الاتحاد القومي المقترح سيعتمد على أعضاء الحزب ومبادئ البعث[٢١] وإن الاتحاد هو 'البيئة الطبيعية التي يستطيع فيها البعثيون أن يمارسوا نشاطهم المعهود[٢٢] ثم جرت في تشرين الأول ١٩٥٩، حملة اعتقالات واسعة شملت كبار الموظفين والضباط من الجيش الأول، وذلك نتيجة التذمر الذي أوجدته السياسة العسكرية، التي مهدت للاستعانة ببعض الضباط المصريين في سوريا، والتي عدها السوريون نوعاً من الاستهانة بقدراتهم القيادية العسكرية قراراً بتسريح وإحالة على التقاعد، لأكثر من ألف شخص من العسكريين السوريين، وقد زاد في هذا التذمر، قرار تخفيض رواتب القوات المسلحة وجهاز الشرطة في الإقليم السوري، وذلك لمعادلتها برواتب أمثالهم في الإقليم الجنوبي ونتيجة لذلك، أصدر المشير عامر بصفته السياسية والعسكرية السوريين، وقد أثار

هذا القرار موجة من الغضب الشديد في صفوف الجيش، وأوجد جواً متوتراً في داخل قطعاته[٢٣].

ومع ذلك، قام عبد الحكيم عامر في سوريا، باستحداث تنظيمات إدارية جديدة مشابهة للتنظيمات المصرية إذ أصبح لكل وحدة إدارية مجلس محلي، يقوم بإبداء المشورة اللازمة المسؤولة[٢٤].

أما بالنسبة لموقف المرشحين البعثيين من الانتخابات فقد كان لنتائج تلك الانتخابات، تأثير بالغ في نفوسهم، لأنهم أول من سعى وأصر على تكوين الوحدة بين القطرين، ولهذا فإنهم أقدر على حماية الوحدة ومن أجل هذا، فإنهم اعتبروا فشلهم هزيمة متعمدة لهم، ساهم في وضعها عبد الحميد السراج من خلال وظائفه المتشعبة كوزير للداخلية، ورئيس للأجهزة الأمنية في الإقليم الشمالي، للنيل منهم والسيطرة على الحكم في سوريا. ويذكر أكرم الحوراني 'إن عبد الناصر أصدر — دون إطلاعنا — قانوناً موحداً 'بشأن حالة الطوارئ في الجمهورية العربية المتحدة ليشمل هذا القانون لإقليم السوري وليتيح للسراج قمع أية معارضة في هذا الإقليم'[٢٥].

من كل ما سبق، حصلت لدى قادة حزب البعث العربي الاشتراكي، القناعة التامة بأنهم لم يعد لهم دور مهم في النظام القائم.

لذلك قرر الوزراء البعثيون، الاستقالة من مناصبهم. وبدأت الاستقالات منذ كانون الأول ١٩٥٩، واختتمت في ٢٠ أيلول ١٩٦٠، باستقالة خمسة وزراء من بينهم أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية ووزير العدل المركزي، وصلاح الدين البيطار، وزير الثقافة والإرشاد المركزي[٢٦]، وبذلك شهدت قيادة الجمهورية العربية المتحدة في ذلك الوقت، أزمة وزارية خطيرة، نتيجة تخبطها في إدارة الإقليم السوري، بالاستعانة بعبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج[*] على الرغم من

خلاف الأخير مع المشير عامر، وخروج قادة البعث نهائيا من السلطة بعد استقالة آخر وزيرين بعثيين من الحكومة. وبعد أن بلغت تلك المشاكل ذروتها في الإقليم السوري، عقد الرئيس عبد الناصر، اجتماعات مطولة في منتصف كانون الثاني ١٩٦١، ناقش فيها أعضاء الوزارات الثلاث. المركزية ووزارتي الإقليمين، الأوضاع في سوريا تقرر بعدها اعتماد الإدارة المركزية، وتشكيل وزارة مركزية واحدة(٢٧).

وقد تم تشكيل الحكومة المركزية في ١٦ آب ١٩٦١، حيث ضمت (٣٦) ستة وثلاثين وزيرا، منهم أربعة عشر وزيرا سوريا وسبعة نواب للرئيس، منهم اثنان من سوريا، هما نور الدين كحالة لشؤون الإنتاج وعبد الحميد السراج للشؤون الداخلية(٢٨).

وعلى الرغم من تشكيل الوزارة الموحدة، استمرت الأوضاع في سوريا بالتردي، ونتيجة للقرارات الاشتراكية التي أصدرتها قيادة الجمهورية العربية المتحدة حصلت الاضطرابات في صفوف القوى السياسية والمجتمع السوري. ولم يلبث عمر الوزارة الجديدة طويلا، إذ استطاع العسكريون تدبير انقلابهم العسكري، في ٢٨ أيلول ١٩٦١، بعد أن قدم عبد الحميد السراج استقالته، وقبولها بيومين، والتي أدت إلى فقدان الوحدة السورية – المصرية أقوى سندا لها. وكان الخطأ كبيرا من جانب عبد الناصر حينما عين السراج نائبا له وإبعاده عن مناصبه الأمنية في سوريا، حيث ارتبكت أجهزته مما أتاح الأجواء الملائمة للمتربصين للوحدة، ومنها القوى الاستعمارية وأدواتها في المنطقة، التي سعت الوحدة وبالتالي القضاء عليها(٢٩).

٢- السياسة الاقتصادية:

أولت مفاوضات الوحدة الجانب الاقتصادي أهمية كبيرة فشكلت لجنة مشتركة بين مصر وسوريا لوضع مسودة للخطط الاقتصادية على أساس أن القطرين سيشكلان دولة واحدة وبعد إعلان الوحدة اتخذت السلطات المسؤولة، مجموعة من الإجراءات والخطوات لتوحيد الاقتصاد وجعل الدولة الجديدة ذات طابع ونظام اقتصادي موحد.

ولما كان الاقتصاد السوري، يعتمد بالأساس على الزراعة حيث يعمل ثلثي السكان فيها، ويشكل الناتج الزراعي نسبة ٧٠٪ تقريباً من واردات الدخل القومي، لذا بدأت الجمهورية العربية المتحدة بتشريع العديد من القوانين والأنظمة التي كان لها الأثر الكبير في معالجة الكثير من الجوانب المهمة في إنجاح العملية الزراعية وتطورها في سوريا ومن هذه القوانين قانون العلاقات الزراعية الذي نظم العمل الزراعي بين الأطراف الثلاثة في العملية الزراعية وهم أرباب العمل والمزارعون والعمال الزراعيون (الفلاحون)[٣٠]. كما وضع هذا القانون حدوداً للأجور، وكيفية إنهاء عقود العمل إلى غير ذلك من الأسس التي تكفل حماية العمال الزراعيين، وأرباب العمل على حد سواء[٣١].

ومن أجل القضاء على التركة الاستعمارية وتحقيق العدالة الاجتماعية في المجال الزراعي صدر قانون الإصلاح الزراعي في ٢٧ أيلول ١٩٥٨، الذي عالج بشكل جذري مسألة ملكية الأرض الزراعية، وقام بتحديدها وتوزيع الأراضي على صغار الفلاحين حسب الأراضي المروية سيحاً أو مطراً[٣٢]، كما ساهم اقلانون المذكور في تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية وإنشاء مجالس إدارة الإصلاح الزراعي[٣٣]. وكان قانون الإصلاح الزراعي وسيلة فعالة للحد من

ملكيات الإقطاعيين الذين كانوا يسيطرون على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية فضلا على أراضي الدولة التي كانت عمليا بأيديهم. وليس من شك أن الإصلاح الزراعي كان ضربة قوية لقوى الإقطاع، وجهتها القوى الوطنية، لتأمين حياة أفضل لعدد كبير من أبناء الجمهورية، لخلق مجتمع جديد هو المجتمع الاشتراكي الديمقراطي لتعاوني. لذلك لا غرابة أن عملت الفئات المعارضة من الملاكين والرأسماليين الذين تضررت مصالحهم، ضد هذا القرار، وسعوا بشتى السبل لإفشاله وإلى جانب ذلك، أصدرت قيادة الجمهورية العربية المتحدة عدة قوانين أخرى من أجل تطوير العمل الزراعي وزيادة الإنتاج، فبدأت بإلغاء الفوارق الاجتماعية في الريف من خلال قرارها إلغاء قانون العشائر[٣٤]. كما قامت بتوسيع وزارة الزراعة وأصدرت قانون العمل الزراعي وتأسيس الجمعيات التعاونية الزراعية ومدها بالقروض اللازمة بعد توسيع المصرف الزراعي[٣٥]. هذا فضلا عن الكثير من المشاريع الزراعية وتنفيذ مشاريع الري الكبيرة على نهر الفرات، وحفر الآبار في المناطق الصحراوية، وتجفيف المستنقعات لتوسيع الرقعة الزراعية[٣٦].

ومن أجل الاهتمام بتطوير القطاعات الاقتصادية الأخرى صدر برنامج الإنماء الاقتصادي للسنوات العشرة ١٩٥٨ – ١٩٦٨[٣٧].

وقد نص البرنامج على إخراج المشاريع الكبرى في الإقليم السوري إلى حيز الوجود مثل طرق الري والخطوط الحديدية، وحصر الثروة المعدنية والطرق والجسور. وغيرها من المشاريع الصناعية والزراعية[٣٨].

ولكي يتحقق هذا، أنجزت الحكومة عدة إجراءات اقتصادية تهدف إلى تسريع تحقيق الوحدة والتكامل الاقتصادي بين الإقليمين، والسعي لتطوير الاقتصاد السوري وجعله يسير بخط مواز للاقتصاد

المصـري، فعملـت علـى إنشـاء المجلـس الاقتصـادي الأعلـى، لغـرض التنسيق بين المؤسسة الاقتصادية السورية ومؤسسة بنك مصر والهيئة العامـة للتصنيع، كمـا اعتمـدت فـي الوقـت ذاتـه، علـى وضـع الخطـة الخمسـية التـي اعتمـدت للسـنوات ١٩٦٠ – ١٩٦٥، موضـع التنفيـذ لزيادة الدخل القومي في الجمهورية إلى ٤٠٪ وتحقيق مستوى مناسب في التطور الاقتصادي للإقليمين[٣٩].

وخلال ذلك، شهد الإقليم السوري، إنشاء العديد من المؤسسات التـي تعنـي بتطور الصناعـة، كالمصرف الصنـاعي، والهيئـة العامـة لتنفيذ المشـاريع الصناعيـة، واسـتحدثت وزارة خاصـة للصناعـة وأخـرى للتخطيط[٤٠]. كما بذلت الدولة، عناية كبيرة في البحث عن المعادن من خلال قيامها بعمليات المسح الجيولوجي لمساحات واسعة في الإقليم الشمالي، وخاصة عن النفط، وقد قامت باستغلال ما تم العثور عليه في منطقة حقل كراتشكوك فضلاً عن استغلال بقية المعادن الأخرى[٤١].

ويضاف إلى ما سبق ذكره تلك الإنجازات التي حدثت في الصناعات التحويلية والتـي تضـم، الصناعات الهندسـية والمعدنيـة والبنائيـة والغـزل والنسـيج والغذائيـة والتـي بلغـت رؤوس أموالـها التوظيفيـة فـي سـنوات الوحـدة أكثر مـن (١٠٢) مئـة وثلاثـة ملايـين ليرة[٤٢].

وجدير بالذكر، أن حكومة الجمهورية العربيـة المتحـدة، عملت على اتخاذ عدة إجراءات من أجل التوحيد الاقتصادي بين الإقليمين، فعملـت علـى وضـع الخطـط الاقتصاديـة الشـاملة، وزيـادة التبـادل التجاري، وذلك بإلغاء تراخيص الاستيراد والرسوم الكمركية، والاتفاق المتبادل على تداول جميع السلع بين الإقليمين. كما عملت على تسهيل تنظيم المدفوعات والمساعدات المالية بين مصرفي الإقليمين[٤٣].

وعلى الرغم من كل ما فعلته الحكومة في المجال الاقتصادي. لإنعاش الاقتصاد السوري إلا أن الخسارة الجسيمة التي أصابت الإقليم، نتيجة سوء المواسم الزراعية خلال سنوات الوحدة، قد أثرت كثيراً على الحالة المعاشية، إذ انعكست هذه الخسارة على الصناعة والتجارة أيضاً[44]. فضلاً عن التأثيرات الخارجية التي حالت دون تطور سوريا الاقتصادي خلال تلك المدة.

ومن أجل إنعاش الاقتصاد السوري، كان لابد من إجراء حاسم في المجال الاقتصادي وذلك بتأميم المصارف والشركات السورية الأهلية وذلك مثلما فعلته القيادة المصرية بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢. وعلى الرغم من معارضة بعض الوزراء السوريين، لإصدار قرارات التأميم، وعلى رأسهم نور الدين كحالة نائب رئيس الجمهورية، إلا أن الرئيس جمال عبد الناصر، أصر على إصدار قرارات التأميم الاشتراكية، مشيراً إلى أهميتها الاقتصادية وكونها ضربة لأعوان الاستعمار والرجعية.

وفي ٢٣ تموز ١٩٦١، صدرت قرارات التأميم، وتناولت المصارف الأهلية كافة وشركات لقطاع الخاص ومؤسساته، ومن بينها الشركة السورية الكبرى، وشركة الشهباء والدبس[45]. حيث أحدثت القرارات الاشتراكية، ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية في سوريا وكانت سلاحاً ذا حدين، ففي الوقت الذي هدفت فيه القرارات خدمة قطاعات واسعة من المجتمع السوري، فأنها خلقت تذمراً في الأوساط الإقطاعية والرأسمالية أيضاً وأوجدت ردود فعل عنيفة بين هؤلاء الذين لم يتوانوا بعد من التآمر على الوحدة وتخريب الاقتصاد السوري من خلال تهريب أموالهم إلى الخارج[46].

وأخيراً، يبق أن نشير إلى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة، استطاعت ومن خلال تلك الفترة القصيرة، أن تقدم الكثير لأبناء الشعب السوري من خدمات صحية وتربوية واجتماعية وفي مجالات النقل والمواصلات.

٣- السياسة الخارجية:

إن إعلان الوحدة المصرية — السورية، وتزايد شهرة عبد الناصر، ولّد انطباعاً لدى حكام الأقطار المجاورة بأن الجمهورية العربية المتحدة ستسعى جاهدة لتضم أقطارها إليها. لذلك أسرعت العائلة الهاشمية في كل من العراق والأردن، بتأليف الاتحاد العربي للوقوف في مواجهة تطلعات عبد الناصر الوحدوية، غير أن الرئيس عبد الناصر، أدرك مدى الخوف الذي بدأ ينتاب العراق والأردن، لهذا أرسل تهنئة إلى الملك فيصل الثاني ملك العراق بمناسبة قيام الاتحاد الهاشمي وتمتيناً للروابط الأخوية بينهما[٤٧].

وفي لبنان كان الرئيس كميل شمعون ووزير خارجيته شارل مالك قد تحولا عن حيادهما في الشؤون العربية إلى تأييد للغرب، وبالتالي الوقوف ضد عبد الناصر وسياسته. وهذا الموقف أثار التوتر بين المؤيدين للغرب والمناوئين له من مؤيدي القضايا الوطنية والقومية العربية، وقيادة عبد الناصر بالتالي أسفر عن صدامات علنية بين المجموعتين[٤٨]. وقامت وزارة الخارجية اللبنانية باتهام الجمهورية العربي المتحدة بالتدخل في شؤون لبنان، وذلك بتقديمها الأموال والسلاح للمؤيدين، فضلاً عن إرسالها بعض رجال القوات المسلحة بصورة خفية[٤٩]. وقد أيدت كل من بريطانيا والولايات المتحدة، بيان الخارجية اللبنانية ووقفتا بجانبها محاولين الضغط على الجمهورية العربية السورية من أجل إنهائها[٥٠].

وعلى الرغم من إعلان الرئيس جمال عبد الناصر بخطاب له في ١٦ مايس ١٩٥٨ عدم صحة ما نسب إليه، حيث قال 'أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لها أي دخل في هذه الحوادث التي حدثت في لبنان' واتهم حكام لبنان في أنهم يريدون أن يحولوا المشكلة الداخلية

التي تقع بين أبناء الوطن الواحد إلى مشكلة خارجية، وأنهم بهذا يختلقون الأعذار لكي يستعينوا بدول أجنبية تحت اسم تدخل الجمهورية العربية المتحدة[٥١] وقد أكد باسم الجمهورية العربية المتحدة على احترام استقلال لبنان بقوله: 'أننا نؤيد استقلال لبنان ونحترم استقلال لبنان ولا نقبل التدخل في شؤون لبنان ولا نتدخل في شؤون لبنان'[٥٢]. ولكن مع ذلك استمر حكام لبنان في اتهامهم للجمهورية العربية المتحدة، وقدمت شكوى إلى مجلس الأمن الدولي، ضد الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٢٣/ مايس/ ١٩٥٨[٥٣]. كما أرسلت الولايات المتحدة بعض قواتها المسلحة إلى لبنان، مع مرابطة الأسطول الأمريكي السادس قرب السواحل اللبنانية[٥٤].

لقد أثار موقف الولايات المتحدة، وإرسالها الجنود إلى لبنان، كل من الاتحاد السوفيتي، والرئيس عبد الناصر، وعبّر الاتحاد السوفياتي عن استنكاره، في بيان شديد اللهجة، حول قيام الولايات المتحدة بإنزال قواتها وتدخلها في لبنان، ودعاها إلى وقف تدخلها المسلح في الشؤون الداخلية للبلدان العربية، وإلى سحب قواتها فوراً من لبنان، وقال البيان أن الاتحاد السوفياتي لا يمكن أن يقف موقف المتفرج أمام الأحداث التي تشكل خطراً على المناطق القريبة من حدوده[٥٥].

كما أدلى الرئيس عبد الناصر في ١٦ تموز ١٩٥٨ بتصريح جاء فيه 'أن احتلال القوات الأمريكية للبنان يشكل خطراً على السلام في الشرق الأوسط، ويشكل تهديداً سافراً للدول العربية التي رفضت أن تخضع للاستعمار، وصممت على اتباع سياسة مستقلة'[٥٦].

ومن الجدير قوله هنا، أن إنزال القوات الأمريكية في لبنان كان في وقت استطاعت فيه القوات المسلحة العراقية من تفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والقضاء على النظام الملكي وإنهاء ارتباطاته المشبوهة بالاستعمار ولهذا، فقد عدت محاولات الولايات المتحدة، لضرب الحركة الوطنية في

لبنان، بإنزال قواتها فيها، إنما استهدفت تخويف وتهديد العراق المستقل ودعم عملائها في العراق، وبالمنطقة، لتقويض الثورة، ولهذا فإن حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وعلى لسان قائدها جمال عبد الناصر، أعلنت وقوفها إلى جانب العراق، وأكدت أن أي عدوان على الجمهورية العراقية، يعتبر في الوقت نفسه عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة، وفي هذه الحالة سوف تقوم الجمهورية العربية المتحدة بكافة التزاماتها تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي[٥٧].

لقد أثبتت السياسة الأمريكية. فشلها في التخطيط لضرب الحركة الوطنية العربية، بعد ما وقف الاتحاد السوفياتي، إلى جانب القوى الثورية العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة، الأمر الذي أدى إلى سحب القوات الأمريكية من لبنان بتاريخ ٨/ آب/ ١٩٥٨[٥٨].

ومن جهة أخرى، استمرت الخصومات وتبادل الاتهامات عبر الإذاعة والصحافة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، ضد نوري السعيد وحكومته، إلى أن جاءت ثورة الرابع من تموز ١٩٥٨، لتضع حداً لفتور العلاقات بين البلدين. وفي الحقيقة أن لسياسة ناصر القومية الدور الواضح في إسناد الثورة ودعمها سياسياً وإعلامياً، فبعد الثورة بعدة أيام جرت في دمشق بين الرئيس عبد الناصر، والعقيد عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء العراقي، سلسلة من اللقاءات على مختلف المستويات كان من نتائجها اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق وكان الجانبان، قد أكدا على الارتباط الوثيق بينهما والوقوف بلداً واحداً في الدفاع ضد أي عدوان عليهما، كذلك تم الاتفاق على اتخاذ الخطوات العاجلة والعملية لتنمية التعاون الاقتصادي والعملية لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي[٥٩].

كما استمرت علاقة البلدين بالنمو والازدهار، نحو توطيد علاقات وحدوية بينهما، وقد توّجت تلك العلاقات بعقد أربع اتفاقيات

في شهر تشرين الثاني ١٩٥٨، شملت التكامل الاقتصادي والتجاري والتعاون الفني والوحدة الثقافية[٦٠].

وعلى كل حال، لم تكن العلاقات وتطورها بين العراق والجمهورية العربية المتحدة تلقى قبولاً كاملاً من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق، والزمرة المحيطة به من الشيوعيين الذين كانوا على خلاف واضح مع القوميين العرب واتجاههم الوحدوي[٦١] الذي أدى إلى قيام الانتفاضة في مدينة الموصل على يد العقيد عبد الوهاب الشواف عام ١٩٥٩، تلك الثورة التي تعد البداية لخلافات استمرت إلى نهاية حكم الزعيم عام ١٩٦٣، وقد قام الزعيم بملاحقات ومحاكمات عدد من الشخصيات القومية في العراق، وعلى رأسهم عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني. وبذلك بدأت العلاقات العراقية مع الجمهورية العربية المتحدة، تأخذ اتجاهاً جديداً، أساسه الابتعاد والتشنيع الإذاعي بين الجانبين وقد أشار جمال عبد الناصر إلى ذلك في خطبة له في سوريا قال فيها "... بعض الأمور، أيها الأخوة المواطنون سارت على غير ما كنا نأمل أن تسير لأن قادة العراق انحرفوا بهذه الثورة، وجعلوا من أنفسهم حلفاء لنوري السعيد ووقعوا في براثن الشيوعيين العملاء... ووقفوا مع أعداء القومية العربية... ثم تولتهم الأنانية والفردية وشعروا أن التضامن العربي أو الوحدة العربية قد تؤثر على مركز زعيمهم الذي سموه بالأوحد[٦٢].

ونتيجة لتوتر العلاقة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، فإن الحكومة العراقية قد رحبت بالانفصال وبدأت بإقامة علاقات جيدة مع النظام الانفصالي في سوريا.



الملكان وأعضاء الوفدان يوقعان في عمان اتفاق إنشاء اتحاد عربي بين
العراق والأردن

المصادر والمراجع

(١) محمود حلمي (دكتور)، النظام الدستوري في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ١٩٦٥، ص ص٩٧ – ٩٨.

(٢) د.ك.و: ملفات البلاط الملكي، ملف رقم ٢٦٦٦، تقارير المفوضية الملكية العراقية دمشق، أنظر المادة ١٣ من الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة في و ٩، ص١٩.

(٣) د.ك.و: ملفات البلاط الملكي، ملفة رقم ٢٦٦٦، تقارير المفوضية الملكية العراقية دمشق، أنظر نص القرار رقم (٦) الصادر في ١٢/آذار/١٩٥٨، و٣، ص٥.

(٤) محمد رشيد عبود الراوي، التطورات السياسية في سوريا ١٩٥٨ – ١٩٦٣ رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٥، ص٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ص٧٦، ٧٧.

(٦) حسن الحكيم/مذكراتي: صفحات من تاريخ سوريا الحديث ١٩٢٠ – ١٩٥٨، الجزء الثاني، دمشق، ١٩٦٦، ص ص٢٤٩ – ٢٥٠.

(٧) مصطفى حمدون، لقاء معه في مجلة آفاق عربية (عراقية) السنة الثامنة العدد الأول، كانون الثاني ١٩٩٣، ص ص٩٠ – ٩٨.

(٨) د.ك.و: ملفات البلاط الملكي، ملفة رقم ٢٦٦٦، تقارير المفوضية الملكية العراقية، دمشق، و ٧، ص١٥.

(٩) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفة رقم: ع /٦٩١/٦٩١/٨، برقية السفارة العراقية في دمشق المؤرخة في ٢٧/٤/١٩٥٨.

(١٠) صلاح نصر، عبد الناصر وتجربة الوحدة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص١٤٠– ١٤١.

(١١) أنظر نص بيان الاستقالة في جريدة الأخبار، بيروت، العدد ٢٤٩ في ١٢ مايس ١٩٥٩.

(١٢) محمد رشيد الراوي، المصدر السابق، ص٨٠.

(١٣) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفة رقم: ع/٦٩١/٦٩١/٨ برقية السفارة العراقية في دمشق بتاريخ ٢٤/٣/١٩٥٨.

(١٤) ملفات وزارة الخارجية، المصدر، سري، رقم ٢/٨/٧، بتاريخ ١٦/١/١٩٥٩.

(١٥) صحيفة الأهرام: الصادر في ٧/كانون الثاني/١٩٥٩.

(١٦) المصدر نفسه: الصادر في ٨/كانون الثاني/١٩٥٩.

(١٧) المصدر نفسه الصادر في ٢٠/تشرين الأول/١٩٥٩.

(١٨) ملفات وزارة الخارجية، المصدر السابق نفسه، برقية واردة من دمشق، رقم ت/١٩٦/١٩٦/٨ بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٥٩.

(١٩) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفة رقم: ع ٥٠٨/٥٠٨/٨، تقرير المفوضية العراقية العامة في دمشق المرقم ٢٤٩/١١ في ٢١ مايس ١٩٦٠.

(٢٠) المزيد من التفاصيل أنظر: عثمان خليل عثمان، الوضع الدستوري للاتحاد القومي القاهرة، ١٩٦٠، ص ص٧ – ٢٥.

(٢١) شبلي العيسمي، الوحدة العربية كعقيدة، المصدر السابق، ص١١.

(٢٢) حزب البعث العربي الاشتراكي، نضال البعث، ج ٤، بيروت دار الطليعة، ط ٢، ١٩٧١، ص٢٢٣.

(٢٣) ل.ت.ح ملفة رقم (٤٠)، تقرير القنصلية العراقية العامة في دمشق المرقم ٤٧٢/١/٢ في تشرين الثاني/١٩٥٩ بعنوان من وراء زيارة المشير عامر إلى الإقليم السوري.

(٢٤) المصدر نفسه، تقرير القنصلية العراقية العامة في دمشق المرقم ١/٦/١٩٥ في ١٤ تشرين الأول ١٩٥٩.

(٢٥) مذكرات أكرم الحوراني: العرب اليوم (صحيفة) عمان ١٨/آب/١٩٩٧.

(٢٦) صحيفة الأهالي، عراقية، العدد ٥٣٠، في ٢١/أيلول/١٩٦٠.

(*) عين عبد الحميد السراج في ١٦ أيلول ١٩٦٠ رئيساً للمجلس التنفيذي في سوريا ووزير الدولة في الحكومة المركزية ورئيس للمؤسسة الاقتصادية في سوريا، فضلاً عن الناحية الأمنية الأخرى، أنظر صلاح نصر، المصدر السابق، ص ص٢١٢– ٢٢٧.

(٢٧) صلاح نصر، مصدر سابق، ص ص١٢٩ – ٢٢٢.

(٢٨) أنظر: الجريدة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة، العدد ١٨٨، في ١٩/آب/١٩٦١.

(٢٩) محمد رشيد الراوي، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٣٠) محمد عبد العزيز أحمد ووفيق عبد العزيز فهمي، تجربة الوحدة بين مصر وسوريا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص٨٦.

(٣١) بهي الدين زيان، في ضلال الوحدة، مطابع مذكور وأولاده، القاهرة ١٩٥٩، ص٥٥.

(٣٢) أنظر نص القانون رقم ١٦١ لسنة ١٩٥٦ في شأن الإصلاح الزراعي في الإقليم السوري الصادر في ٢٧/أيلول/١٩٥٨ في معهد الإنماء العربي، يوميات ووثائق الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ – ١٩٦١ المجلد الثالث، بيروت ١٥٨٨ و ١١٠٧، ص ص٣١١ – ٣١٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ص٣١٧ – ٣٤١.

(٣٤) أنظر نص القانون رقم ١٧٧ لسنة ١٩٥٨ الصادر في ٢٨ أيلول ١٩٥٨ في معهد الإنماء العربي يوميات ووثائق الوحدة، م ٣٠ و٢١١١٥، ص ص٣٣٤ – ٣٣٥.

(٣٥) بهي الدين زيان (دكتور)، المصدر السابق، ص٥٥، وكذلك محمد عبد العزيز المصدر السابق، ص٩٦.

(٣٦) بهي الدين زيان (دكتور)، المصدر السابق، ص٣٧، وكذلك محمد رشيد الراوي، المصدر السابق، ص ص١١٩– ١٢٠.

(٣٧) أنظر نص القانون ١٣٣ لسنة ١٩٥٨ المتضمن برنامج الإنماء الاقتصادي للسنوات العشرة ١٩٥٨ – ١٩٦٨ في معهد الإنماء العربي، يوميات وثائق الوحدة، المصدر السابق م ٣ و ٩٥٠ ص ص٨٩ – ٩٢.

(٣٨) أنظر حديث أكرم الحوارني، نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ١/مايس/١٩٥٩ إلى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٢/٢.

(٣٩) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفة رقم: ع/٥٠٨/٥٠٨/٨، تقرير القنصلية العراقية العامة بدمشق المرقم ١٦٦/١/٢ في ٣ نيسان ١٩٦٠، محمد عبد العزيز، المصدر السابق، ص٨٢.

(٤٠) أنظر حديث أكرم الحوراني، العرب اليوم. مصدر سابق، وكذلك محمد رشيد الراوي، مصدر سابق، ص٢٢.

(٤١) بهي الدين زيان، المصدر السابق، ص ص٣٧ – ٤٠.

(٤٢) محمد عبد العزيز، المصدر السابق، ص٨٩.

(٤٣) محمد عبد العزيز، المصدر نفسه، ص ص٩٩ – ١٠٠.

(٤٤) (ل.ت.ح)، ملفة رقم (٤٠) تقرير القنصلية العراقية العامة بدمشق المرقم ٣٢٢/١/٢ بتاريخ ٩ تموز ١٩٦٠ وكذلك أنظر حول الموضوع تقرير السفارة العراقية في دلهي الجديدة (الهند) المرقم ٦٠٢/١٧/٢ في ٧/تشرين الثاني في المصدر الثاني.

(٤٥) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفة رقم ع ٨/٧٣٥/٧٣٥ تقرير المفوضية العراقية العامة بدمشق المرقم ١١٨٩/٢٢ في ٢٩/تموز/١٩٦١ وكذلك الملفة رقم ٨/٧٣٥/٧٣٥/٤٠ المرقم ١٣٠٥/٢/٢ في ١٩/آب/١٩٦١.

(٤٦) محمد رشيد الراوي، مصدر سابق، ص١٢٦.

(٤٧) فكرت نامق عبد الفتاح، مصدر سابق، ص٤٧٤.

(48) Ddelek Hhogwood. Opcit pp. 59. 60.

(٤٩) أنظر نص البيان الصحفي لوزير الخارجية اللبنانية الدكتور شارل مالك بتاريخ ٢٣/مايس/١٩٥٨ في معهد الإنماء العربي، يوميات ووثائق الوحدة، م ٢، ص٤٣٨، ص ص١١١ – ١١٢.

(٥٠) المصدر نفسه، ٤٥٩ ص ص١٢٩ – ١٣٠ الوثيقة رقم ٤٦١، ص ص١٣٦ – ١٣٧.

(٥١) أنظر نص خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودته من موسكو بتاريخ ١٦/مايس/١٩٥٨ في معهد الإنماء العربي، يوميات ووثائق الوحدة، م ٢، و ٤٦٠، ص ص١٣٠– ١٣٦.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) المصدر نفسه، م ٢، و ٤٨٠ و ص١٥٨.

(٥٤) المصدر نفسه، م ٢، ٧٤٦، ص٤٣٧.

(٥٥) المصدر نفسه، م ٢، و ٧٥١، ص ص٤٤٠ – ٤٤٢.

(٥٦) المصدر نفسه، م ٢، و ٧٥٠، ص٤٣٩.

(٥٧) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٦/تموز/١٩٥٨ حول احتلال القوات الأمريكية للبنان المصدر نفسه، م ٢، و ٧٥٠، ص٤٤٠، وكانت الجمهورية العربية المتحدة من أولى الدول العربية التي اعترفت بثورة ١٤ تموز في العراق حال قيامها وذلك برسالة وجهها الرئيس جمال عبد الناصر إلى مجلس السيادة بتاريخ ١٤/تموز/١٩٥٨ أنظر نص الاعتراف في الأهرام بتاريخ ١٥/٧/١٩٥٨.

(٥٨) الأهرام، في ٩/آب/١٩٥٨.

(٥٩) صابر قلحوط (دكتور)، المصدر السابق، ص ص١٤٤ – ١٤٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٤٥، وكذلك معهد الإنماء العربي، يوميات ووثائق الوحدة، م ٢، و ١٢٢٩، ص ص٤٨١ – ٤٨٢.

(٦١) أنظر نص البيان الذي أذاعه الحزب الشيوعي العراقي بتاريخ ٩/كانون الثاني/١٩٥٩ والذي تضمن رأي الحزب من انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة، معهد الإنماء العربي يوميات ووثائق الوحدة، م ٣ و ١٥٣٨، ص ص١٢٦ – ١٢٧.

(٦٢) (ل.ت.ح) ملفة رقم (٤٠). تقرير القنصلية العراقية في حلب المرقم ٢٢/٦/١ بتاريخ ١٩ شباط ١٩٦٠ حول زيارة الرئيس عبد الناصر للإقليم السوري، كذلك أنظر كلمة الرئيس عبد الناصر في ساحة الجلاء بدمشق في تاريخ ١٥/آذار/١٩٥٩ في معهد الإنماء العربي، يوميات ووثائق الوحدة، م ٣، و ٢٠٥٢، ص ص٧٩٣ – ٧٩٨.

ثانياً: سياسة الجمهورية العربية المتحدة وموقف صحافة العراق منها خلال العهد الملكي ٢٢ - شباط - ١٣ تموز ١٩٥٨:

ومن الحقائق التي لا يمكن الجدل أو النقاش فيها مسألة موقف العراق الرسمي في معارضته وتصديه لخطوة وحدة سوريا مع مصر.

وأن تشدد سياسة العراق ضد تلك الخطوة أمر طبيعي إذا ما وضعنا بعين الاعتبار محاولات العراق العديدة بهدف قيام حكم موال له في سوريا على شكل اتحاد أو وحدة، وبأي وسيلة حتى وأن تطلب ذلك استخدام القوة. وهذا ما حدث فعلاً ولكن دون جدوى.

أن هدف ضم سوريا إلى العراق عميق الجذور وزاد الاهتمام بهذا الهدف خلال فترة الخمسينات أكثر من فترة الأربعينات، بسبب مرور النفط العراقي عبر أراضي سوريا وزيادة عائداته[1].

إضافة إلى أحلام الهاشميين في السعي لتحقيق هذا الهدف انطلاقاً من إيمانهم بأحقيتهم في تحقيق وحدة الهلال الخصيب تحت زعامتهم، ومن هنا ينبغي التسليم بعد الدهشة والاستغراب في انتهاج سياسة العراق الرسمية لموقف يتجسد فيه التصدي والوقوف أمام أي مد وحدوي من شأنه التقارب والتنسيق مع سوريا، وخارج حدود دائرة البيت الهاشمي وهذه حقيقة ندرك مغزاها إذ ما تذكرنا تأليب السعيد 'لانتوني ايدن' وتحريضه للإطاحة بعبد الناصر ونفوذه مازال محدوداً بمصر، فكيف الحال وقد امتد هذا النفوذ بين ليلة وضحاها إلى سوريا؟

من هنا بدأ أساس العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، ومن البديهي انعكاس تلك العلاقة على موقف الصحافة العراقية من الجمهورية العربية المتحدة وسياستها على الصعيدين المحلي والعربيين ولا سيما أن أغلب الصحف العراقية موالية للسلطة

وليس عندها ما تملك سوى الانصياع وترديد ما يستهوي الساسة العراقيين وموقفهم الرسمي، تجاه السياسة التي تنتهجها الجمهورية العربية المتحدة داخلياً وعربياً ودولياً.

لقد بدأ التنديد والتصدي للجمهورية العربية المتحدة منذ ولادتها. وعلى سبيل المثال لا الحصر بعد عزمها على اتخاذ علم جديد لها بعد تحديد قياسته وألوانه، واتخاذ علامة الصقر شعاراً جديداً له، مما أثار هذا الإجراء العائلة الهاشمية، كونه يشكل سرقة للجهود التي قام بها الشريف حسين، وأن العلم الجديد هو علم الثورة العربية الكبرى، وأما الصقر فهو صقر قريش الذي اتخذه الشريف حسين شعاراً له حيث طالبت المفوضية العراقية بعد إطاحة مديرية التوجيه والإذاعة علماً، لغرض مهاجمة الحكومتين المصرية والسورية لهذا الإجراء[٢].

وعلى آثر انتخاب الرئيس عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة في يوم ٢١/ شباط/ ١٩٥٨. بعث الرئيس عبد الناصر ببرقية ودية إلى الملك حسين يعلمه فيه بفوزه بالانتخابات، ويدعوه إلى توثيق عرى المودة والصداقة القائمة بين البلدين، مما أثار ذلك امتعاض السفير العراقي في عمان، والذي قام بدوره في إرسال مذكرة إلى الخارجية العراقية قال فيها (أن في إعلام جلالة الملك حسين شخصياً من قبل عبد الناصر بالذات بانتخابه رئيساً... انحرافاً دبلوماسياً ظاهراً إلا إذا ما اعتبرنا أن العلاقات بينهما شخصياً هي أقوى ما تكون من الود والتقارب، الأمر الذي لا يقره الواقع)[٣]. من هنا نستطيع التوجس وإلقاء الضوء على تحديد موقف الصحافة العراقية وتصديها لسياسة الجمهورية العربية المتحدة، وتشكيكها بتلك السياسة محلياً وعربياً، وقد دأبت تلك الصحف على متابعة أخبار الجمهورية العربية المتحدة وسياستها الداخلية، الأمنية منها الاقتصادية، إضافة إلى سياستها العربية.

١- السياسة الداخلية:

تعد صحيفة الأخبار واحدة من تلك الصحف الموالية للسلطات الحاكمة آنذاك، وكانت تعكس الملامح الأساسية للسياسة العراقية تجاه الجمهورية العربية المتحدة، حيث ذكرت تحت عنوان (أدعياء العروبة) بزيف الاستفتاء والتنديد بالرئيس عبد الناصر وسياسته، وعلقت الصحيفة على أن المصريين كانوا يشتمون (فاروق) أيام فاروق. أما اليوم ففاروقهم الجديد أشد من فاروقهم القديم. وفاروقهم الجديد يريد أن يعلمهم الحرية بالنار والحديد(٤). وواصلت الصحيفة في عدد آخر تنديدها بالسياسة الداخلية للعربية المتحدة، فقد نشرت تحت عنوان (بلوى الشعب السوري) زعمت الصحيفة فيه أن الشعب السوري مكبل بقيود دكتاتور القرن العشرين جمال عبد الناصر واصفه إياه بالمهاتر والجائر(٥)، وأبرزت الصحيفة خبراً مفاده إن السلطات السورية اعتقلت ٣٠ شخصاً لقيامهم بتنظيم المظاهرات في عيد العمال، وأضافت الصحيفة إن السلطات السورية لا تزال تلاحق قسماً آخر من العمال ليحالوا على التحقيق أسوة بالذين تم اعتقالهم، واستغربت الصحيفة نقلاً عن الصحيفة النور الدمشقية الناطقة بلسان حال الحزب الشيوعي في سوريا من هذا التصرف، لأن عيد أول أيار عيد عالمي يحتفل به العمال والشعوب تحت شعار النضال ضد الاستعمار، والدفاع عن السلام والتعايش السلمي(٦).

أما صحيفة الشعب فقد أوردت مقالاً تحت عنوان (جواز اعتقال النواب في سوريا) أشارت فيه أن مجلس الأمة المصري حسبما نص عليه دستور الجمهورية العربية المتحدة لم يدع مجال لعقد اجتماع المجلس النيابي السابق، ولا يمكن اعتبار أعضائه متمتعين بالحصانة(٧).

وتحت عمود بعنوان (إزالة التوتر) نددت الصحيفة بالرئيس عبد الناصر، وسياسته تجاه الأحرار والوطنيين، وزجهم في السجون والمعتقلات في مصر وسوريا، وإنه فرّط في حقوق مواطنيه، وباع أمانيهم إلى أسياده في موسكو، مقابل ما حصل عليه من دبابات وطائرات ليهدد بها أخوته من العرب والمسلمين[٨]. وواصلت الصحيفة في عدد آخر تحت عنوان (في ذكرى الجلاء عن سوريا) تنديدها بالسياسة الداخلية للعربية المتحدة، حيث تباكت الصحيفة على سوريا، لابتلاعها من قبل دولة شقيقة، تحت ظل فرعون مصر وطاغوتها، ووصفت صحيفة الشعب العهد الذي تعيشه سوريا بأنه عهد يتسم بالطغيان والفساد والجور، وإنه لم يبق للبيوت حرمات ولا للمجالس أمانات في ظل سلطات دولة الوحدة المزعومة[٩].

ونشرت الصحيفة مقالاً تحت عنوان (هجوماً ولكن على من؟) واصلت فيه تصديها للرئيس عبد الناصر لجوره وطغيانه، ومنعه على حد زعم الصحيفة الناس من ذكر الله، وإقفال المساجد والمحاكم الشرعية وترويج المبادئ الشيوعية[١٠] لقد نشرت صحيفة الشعب مقالاً تحت عنوان (ناموس الضعفاء) تمشدقت الصحيفة فيه بتعليق إذاعة بغداد، حيث استعرضت صحيفة الشعب تاريخ نضال الأمة العربية وأبدت أسفها في أن يكون محصلة ذلك النضال تكبيل شعبي سوريا ومصر بدكتاتورية وتعسف عبد الناصر، ونددت الصحيفة بوسائل الإعلام المصرية والسورية لتهجمها على البيت الهاشمي[١١].

وعشية ثورة ١٤ تموز واصلت الصحيفة موقفها المتزمت تجاه الجمهورية العربية وذلك بنشرها تعليق إذاعة بغداد، الذي امتلأ نقداً رخيصاً، وشتائم مبتذلة، حيث سخرت تحت عنوان (مهزلة مضحكة) من الرئيس عبد الناصر، ووصفت إذاعة العربية المتحدة وصحافتها

بأنها إذاعات الشر والفساد وصحافة المجاري والمستنقعات، وأردفت الصحيفة قولها أن تلك الإذاعات والصحف تفسد على القراء المنكوبين أذواقهم وأفكارهم[١٢].

أما صحيفة الحوادث فقد تناولت السياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، بنفس النمط الذي تناولته قريناتها من الصحف الأخرى، إذ نشرت مقالاً تحت عمود 'حديث الحوادث' وبعنوان (قائمة أخرى) إشارات الصحيفة فيه بشيء من السخرية، إلى قرار الرئيس عبد الناصر بسحب الجنسية المصرية عن عدد من المواطنين المصريين، وعلّقت الصحيفة على القرار إنه سلاح للقضاء على المعارضين، وشل الحريات الدستورية ونشر الإرهاب في مصر، وإن الثورة التي قيل إنها جاءت لتقضي على فساد فاروق وبطانته، ولتحرير المصريين، وتثبيت دعائم الدستور، هي الأداة الأولى في رأي الصحيفة، لهدم أبسط أنواع الحريات الدستورية للمواطنين[١٣] وواصلت الصحيفة في عدد آخر تنديدها بالسياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، حيث استعرضت في مقالها الافتتاحي المعنون (الوزراء والشقاوة في سوريا!!) ما أسمته بالإسراف في حق المحرمات، وانعدام القانون والدستور في مصر وسوريا، وقد عززّت الصحيفة زعمها برفض الموافقة على محاكمة السيد أحمد عبد الكريم وزير الشؤون البلدية والقروية في سوريا، بتهمة اعتدائه بالضرب والشتم على أحد المواطنين السوريين، وعلّقت الصحيفة قائلة 'إن وزراء عبد الناصر أصبحوا من رجال آل كابوني لا يعرفون غير الضرب منطقاً يستعملونه'[١٤].

ونقرأ على صدر الصفحة الأولى من صحيفة الحوادث وتحت عنوان (سوريا تصبح ولاية مصرية) أبدت فيه تباكيها على سوريا، وسلطتها التي نقلت بكامل صلاحيتها إلى القاهرة، وعلى شعبها الذي يكاد يطاله الشطب والحذف والنقل، وإن ذلك في رأي الصحيفة

محصلة طبيعية[١٥] وتحت عمود (خبر وتعليق) نشرت الصحيفة مقالاً تحت عنوان (حتى الموظفين يا جمال؟!) إلى قرار الرئيس عبد الناصر باستبدال كلمة مصري وسوري، الواردتين في قانوني الموظفين في مصر وسوريا بعبارة (متمتعاً بجنسية الجمهورية العربية المتحدة)، حيث علّقت الصحيفة على القرار بأن معناه أن يترك السوريون التساؤل والشغب، لأن علي صبري حاكم سوريا العام أصبح سورياً لا مصرياً ولا شرقياً ولا غربياً[١٦].

وبصدد الموضوع نفسه والمتعلق بالسياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، أبرزت صحيفة المنار خبراً، أشارت فيه إلى صدور أمر يقضي بحل جميع الأحزاب السورية، في الإقليم الشمالي ومنع النشاط الحزبي ومعاقبة الذي يعملون في الحزبية سراً أو جهراً[١٧].

وتحت عنوان (موجة اعتقالات في سوريا)، أوردت الصحيفة نبأ مفاده أن موجة من الاعتقالات جرت في سوريا، بين عدد من الساسة وضباط الجيش السوري، وأضافت الصحيفة أن خلافاً وقع بين السيد صبري العسلي وأكرم الحوراني، وأن اللواء عفيف البزري لا يزال موجوداً في القاهرة[١٨].

وأما صحيفة العمل فقد شاطرت قريناتها من الصحف التصدي والوقوف بحزم ضد سياسة الجمهورية العربية المتحدة، بنطاقيها الداخلي والعربي، والتنديد بالرئيس عبد الناصر، حيث تجسّد موقفها ذلك من خلال مقالاتها الافتتاحية وأعمدتها اليومية الثابتة. وتحت عمود (تعليق العمل اليومي) نقرأ تحت عنوان (إعفاء المعتقلين السياسيين في الأردن يجسّم الفرق بين اتحادنا واتحادهم)، حيث أشارت الصحيفة إلى التفافة حسين عاهل الأردن في إصدار عفوه عن عدد غير قليل من المعتقلين السياسيين، بمناسبة إعلان دستور الاتحاد

العربي، عكس ما تم بمناسبة إعلان الاتحاديين مصر وسوريا، وحسبما زعمت الصحيفة، أن حكام الجمهورية العربية المتحدة في دمشق قاموا باعتقال المئات من المعارضين، ومطاردة الألوف من أبناء الشعب السوري[١٩].

ونشرت الصحيفة مقالاً تحت عنوان (المعارضة في العراق والمعارضة في مصر وسوريا) نددت فيه، بإذاعة صوت العرب لقيامها بما أسمته بحملة استفزازية، بمناسبة الانتخابات واستعانتها ببعض المعارضين العراقيين، وأبدت الصحيفة ارتياحها لوجود معارضة في العراق، ومن جانب آخر تحدّت صحيفة العمل إذاعة صوت العرب، بوجود معارض واحد في القاهرة مخالف لسياسة عبد الناصر، ويبقى حراً طليقاً في الوقت ذاته[٢٠].

٢- السياسة الاقتصادية:

اتسم أغلب موقف الصحافة العراقية من السياسة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة بالتحفظ، والاكتفاء بما تبنته الوكالات، وما تنشره الصحف العربية والعالمية، من أنباء حيال تلك السياسة ونشاطاتها في المجال الاقتصادي، فقد نشرت صحيفة الأخبار نبأ وصول خبراء من ألمانيا الغربية، واستعداد ألمانيا لمنح قروض ومساعدات فنية إلى الجمهورية العربية المتحدة[٢١]، وفي عدد آخر نقلت الصحيفة خبراً عن راديو موسكو، بمضاعفة التبادل التجاري بين الاتحاد السوفيتي والإقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة، وبأضعاف مضاعفة بين الإقليم المصري والاتحاد السوفيتي على كل ما كان بين سنة ١٩٥٤-١٩٥٧، وذلك ناتج عن إقصاء بريطانيا وفقدانها لمراكزها الاقتصادية في الشرق الأوسط، كما أعلن الراديو نقلاً عن الصحيفة، قدرة المصريين بالسيطرة على أنابيب النفط عن طريق قناة

السويس، وقدرة السوريين على السيطرة على أنابيب النفط الممتدة من العراق إلى البحر المتوسط، وأن الاتحاد السوفيتي سوف يستخدم كل أرباح مبيعاته لشراء السلع المصرية[٢٢]، وفي صحيفة الحوادث نقرأ مقالاً تحت عنوان (إطلاق أرصدة شركة قناة السويس السابقة المجمدة في أمريكا)، حيث أشارت الصحيفة إلى قرار الخارجية الأمريكية في الافراج عن (٤٤٠) مليون دولار كأرصدة مجمدة وتسليمها إلى شركة قناة السويس، وتعويض حملة أسهمها بموجب الاتفاق المبرم بين الشركة والحكومة المصرية[٢٣]، أما صحيفة المنار فقد أبرزت خبراً بعنوان (مدير البنك الدولي يصل القاهرة من السودان ومحادثات تعويض أسهم قناة السويس المنحلة وتوسيع القناة، حيث أشارت الصحيفة إلى اجتماع الرئيس عبد الناصر والمستر (يوجين بلن) مدير البنك الدولي للإنشاء والتعمير، لأجل قرض مصر لتوسيع قناة السويس[٢٤]، وفي عدد آخر أشارت الصحيفة إلى أنباء المعونة السوفيتية للإقليم السوري، وبرنامج زيارة الرئيس عبد الناصر إلى موسكو لبحث عدد من القضايا، وتوقيع عدة اتفاقيات جديدة[٢٥]، وتحت عنوان (توقيع اتفاقية تعويض حملة أسهم القناة للإفراج عن أرصدة مصر المجمدة في الولايات المتحدة)، حيث أفادت الصحيفة أن ممثل محادثات روما قد تلقى من البيت الأبيض إشعاراً بإطلاق أرصدة مصر المجمدة من قبل الحكومة الأمريكية[٢٦]. وفيما يتعلق بخصوص السياسة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة نشرت صحيفة البلاد، وتحت عنوان (المباحثات المصرية الفرنسية)، أشارت فيه نقلاً عن جنيف إلى أن العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر وفرنسا تسير في طريق التحسن، ومن المنتظر أن يصل الطرفان إلى اتفاق بهذا الشأن.

وفـي نفس العـدد نشـرت مقـالاً تحـت عنـوان (القيسـوني فـي الإسـكندرية) أفـادت الصحيفـة عـن مباحثـات الدكتـور عبـد المنعـم القيسوني وزير الاقتصاد والتجارة المصري، مع شركات التصدير ولجنة بورصة العقـود فـي الأسـكندرية، لبحـث أزمـة القطـن بعـد أن خفضت أسعاره إلى مـا دون مستوى الأسعار العالمية[٢٧]. وفـي عدد آخر وتحت عنوان (منع السوريين من التعامل مع اليهود)، أشارت الصحيفة إلى قـرار وزارة الاقتصـاد والتجـارة المتضمـن، منـع جميـع المسـتوردين السوريين مـن التعامل مـع المصدريـن اليهود الأجـانب، الذيـن تربطـهم 'بإسـرائيل' أوثق الروابط، وأن الوزارة كما ورد فـي الصحيفة تعتقـد أن وعـي المواطنـين وحرصهم علـى أهـداف المقاطعـة، سـيغني عـن اتخـاذ تدابير رادعة بحق المستوردين(٢٨). ونشرت مقالاً تحت عنوان (اتفاقية مالية بين ألمانيا الغربية والجمهورية العربية المتحدة) أشارت الصحيفة فيـه إلـى توقيـع اتفاقيه بـين البرفسـور (لوفـى فيـك) ووزيـر الاقتصـاد الألمـاني والدكتـور عبـد المنعـم القيسـوني وزيـر الاقتصـاد للجمهوريـة العربية المتحدة، وسيكون في وسع العربية المتحدة نيل مساعدات ألمانية بقيمـة ٤٠٠ مليـون مـارك ألمـاني، مقـابل أن تعيـد الجمهوريـة العربيـة المتحدة الأملاك والمؤسسات الألمانيـة فـي مصـر وسـوريا التـي صـودرت أثناء الحرب العالمية الثانيـة، وسـتقوم شـركة كروب ببنـاء حـوض للسـفن، ومصنع لصهر المعادن، ومصنع للورق في الجمهورية العربية المتحـدة[٢٩].

ونشـرت مقـالاً تحـت عنـوان (بعثـة يوغسـلافية تـزور القـاهرة)، أفـادت الصحيفـة فيـه نقـلاً عـن إذاعـة وكالـة الأنبـاء اليوغسـلافية الرسـمية، أن بعثة اقتصاد يوغسلافية ستصل القـاهرة لإجـراء محادثـات حـول توسـيع التبـادل التجـاري بـين يوغسـلافيا والجمهوريـة العربيـة المتحـدة، وزيـادة الصادرات المصرية إلى يوغسلافيا[٣٠].

وواصلت صحيفة البلاد نشر نشاطات الجمهورية العربية المتحدة، في المجال الاقتصادي حيث نشرت تحت عنوان (الخبراء السوفييت في سوريا) حيث أشارت إلى الجولة الاستطلاعية للخبراء الروس في اللاذقية وطرطوس وجزيرة أرواد، الواقعة على بعد ثلاث كيلومترات تجاه طوروس، حيث سيقوم هؤلاء الخبراء كل ضمن اختصاصه بإجراء دراسات موضعية، لمشاريع الطرق والمرافئ المنوي تنفيذها في سوريا(٣١).

وفي عدد آخر نشرت صحيفة البلاد نقلاً عن جنيف عن وجود مخالفات غير متوقعة بين ممثلي شركة قناة السويس السابقة وممثلي الجمهورية العربية المتحدة، حول معدل سعر الجنيه المصري الذي سيعتمد في دفع مبلغ ٣٢ مليون جنيه إسترليني تعويضاً لحاملي أسهم الشركة السابقة، ويشترط أن يكون الدفع بالعملة الإسترلينية أو بالفرنكات الفرنسية، على أساس قيمة الجنيه المصري بالنسبة إلى الدولار(٣٢).

وتناولت صحيفة العمل السياسة الاقتصادية للعربية المتحدة بالتشكيك والسخرية، فقد نشرت مقالاً تحت عنوان (ماذا في سوريا)، أبدت الصحيفة فيه حرصها وتباكيها على سوريا والسوريين، بحجة أن مقدراتهما أصبحت بيد دكتاتورهما عبد الناصر، وأشارت الصحيفة إلى تدني مستوى الحالة الاقتصادية في سوريا لارتباط اقتصادها بالاقتصاد المصري، والذي سيؤدي في رأي الصحيفة إلى انخفاض سعر الليرة السورية، وإلى تضرر الاقتصاد السوري الذي كان على جانب عظيم من الازدهار(٣٣)، ونشرت الصحيفة في عدد آخر مقالاً بعنوان (سيادة هنا وتنازل هناك) سخرت فيه من الرئيس عبد الناصر، لرفضه العرض الذي تقدم به البنك الدولي فيما يخص مشروع السد العالي، واعتبار الرقابة على طريقة صرف القرض عدواناً على سيادة مصر، ومن جانب آخر زعمت الصحيفة قيام خبراء روس بمسك حسابات القرض، الذي وعد الاتحاد السوفيتي بتقديمه، وعلقت

الصحيفة باستهجان، حول تمسك عبد الناصر بالسيادة والاستقلال إزاء بنك دولي، ليس له من هدف في رأي الصحيفة غير تقديم المعونة والمساعدة، ولكنه أي عبد الناصر يستهان به إزاء دولة شيوعية صادرت حريات حقوق العشرات من الدول الصغيرة[٣٤].

٣- السياسة الخارجية:

من البديهيات المسلم بها أن السياسة الخارجية هي امتداد لسياسة الدولة الداخلية، وينطبق هذا الكلام على السياسة الخارجية بشكل عام، أما ما نقصده بالتحديد في بحثنا هذا هو السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة، على وفق المنظور القومي، وضمن الإطار العربي العام.

لقد كان الوطن العربي بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، يموج بالحركات الثورية، والأحداث الدامية، وإزاء هذه الحالة فإن الطلائع الثورية العربية بدأت تدرك مسؤولياتها التاريخية لتخطي حالة الركود والجمود، المفروضة على الواقع العربي من الخارج بواسطة تسخير الأدوات الداخلية من العملاء والمأجورين، وفي ضوء ما تقدم فإنه ليس بمقدورنا تناول الحركات والأحداث، التي لم تثر ردود فعل لدى الصحافة العراقية، المتعلقة بالسياسة العربية لدولة الوحدة وسنكتفي بإبراز أهم الأحداث، التي يمكن من خلالها استخلاص مواقف تلك الصحف وما أبدت خلالها من آراء.

بعد إعلان الاتحاد العربي بين العراق والأردن في الرابع عشر من شهر شباط عام ١٩٥٨ تحت رئاسة الملك فيصل الثاني، بعث الرئيس عبد الناصر برقية تهنئة إلى الملك فيصل الثاني مباركاً فيها خطوة الاتحاد، ومتمنياً أن يكون الاتحاد قوة للعرب، في الوقت الذي كانت فيه برقية الرد على الرئيس عبد الناصر تتسم بالتجاهل التام لقيام الجمهورية العربية المتحدة[٣٥].

وفي ٢٠/آذار/١٩٥٨، أشار الرئيس عبد الناصر في خطابه، إلى أن غرض الاتحاد العربي هو مقاومة الجمهورية العربية المتحدة، وأنه جاء بوحي من الاستعمار البريطاني[٣٦]، إن ما بين موقف الرئيس عبد الناصر في برقيته من ثناء على ولادة الاتحاد، وبين ما تطرق إليه في خطابه، بخصوص الاتحاد والتنديد به في ٢٠/آذار/١٩٥٨، وكما نوهنا عنه آنفاً، يظهر التناقض أو التراجع في موقف الرئيس عبد الناصر، بسبب عدم نية الحكومة العراقية بالاعتراف بقيام الجمهورية العربية المتحدة، والأكثر من ذلك هو أن مشروع دولة الاتحاد استهدف استقطاب أكبر عدد ممكن من الدول العربية، لتوسيع قاعدة ذلك الاتحاد، لمواجهة دولة الوحدة كمحاولة إقناع السعودية والكويت ولبنان، للانضمام إلى ذلك الاتحاد، وقد انعكس ذلك كله على سياسة الجمهورية العربية المتحدة، وظهور ردود فعل الصحافة على تلك السياسة التي تجسدت في مقالاتها الواردة أدناه.

لقد نشرت صحيفة الأخبار مقالاً تحت عنوان (جهود العراق نحو تحقيق الوحدة، وأن الاتفاق مع عبد الناصر يعتمد على تغير سياسة مصر) أشارت فيه إلى تصريحات نوري السعيد التي أعلن فيها، 'بأن العراق يسعى لتحقيق الوحدة العربية ويرحب بانضمام أي قطر أو أية إمارة إلى الاتحاد العربي الهاشمي، وأبرزت الصحيفة دعوة السعيد للمسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة، بعدم التدخل في الشؤون العربية ليسود الوفاق بين الأقطار العربية[٣٧].

وتحت عنوان (لصالح من تستمر هذه الحملات؟) أدانت الصحيفة الحملات الإعلامية الإذاعية منها والصحفية، بين الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الاتحاد العربي، وأشارت الصحيفة إلى تطوع الغيارى من المخلصين العرب، والسياسيين العراقيين، لوضع حد لهذه الحملات التي لم يجن منها العرب غير الاضطراب والتشتت،

إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل وقوبلت بحملات، أشد وأعنف من قبل العربية المتحدة، مما دفع بحكومة الاتحاد العربي على حد زعم الصحيفة إلى تركيز هجماتها والبادي أظلم(٣٨).

وتحت عمود (راديو الاتحاد العربي في بغداد يوضح موقف الاتحاد المشرّف من القضايا العربية) نددت صحيفة المنار بسياسة الجمهورية العربية المتحدة وبالرئيس عبد الناصر، وأوضحت الصحيفة أن ساسة العربية المتحدة يروّجون الدعايات المغرضة ضد العراق والأردن، حيث استقبلوا الاتحاد بين الدولتين بالهجوم والتصدي(٣٩).

وفي عشية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أشادت صحيفة العمل بالاتحاد العربي الهاشمي ووصفته بأنه طريق الحرية والسلام، ومن جانب آخر نددت الصحيفة بالرئيس عبد الناصر وسياسة الجمهورية العربية المتحدة، الهادفة إلى فرض سياستها على الأقطار العربية، ومحاولاتها إجبار تلك الأقطار، على حد زعم الصحيفة، مخاصمة المعسكر الغربي والسير في ركاب المعسكر الشيوعي(٤٠).

٤- أحداث لبنان وموقف الصحافة العراقية من سياسة الجمهورية العربية المتحدة إزاء تلك الأحداث:

اتسم موقف الصحافة العراقية بالإجماع تقريباً، بالتصدي والإدانة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة، إزاء أحداث لبنان متهمة إياها بالتدخل السافر في الشؤون الداخلية للبنان، و أنها السبب في إشعال الساحة اللبنانية اضطراباً، حيث لا يكاد يميز قارئ بين طيات تلك الصحف، أن يفرق بين موقف العراق الرسمي، وبين ما طرحته الصحف العراقية من خلال مقالاتها وأعمدتها الثابتة من آراء وأفكار، ومواقف، تخص الأزمة اللبنانية وعلاقة العربية المتحدة بها. ولم تتناول تلك الصحف الأحداث التي شهدتها الساحة اللبنانية بشيء من التريث

والموضوعية، بقدر ما تناولتها بتصور ضيق، من خلال تنديدها بالجمهورية العربية المتحدة واستماتتها في الدفاع، عن بقاء ولاية كميل شمعون وزبانيته في دست الجكم.

وتحت عنوان (دماء الأبرياء) اتهمت صحيفة الأخبار حكام القاهرة ودمشق بإثارة الفتنة في أحداث لبنان، وتبديد الأموال لقتل الأبرياء وبث التفرقة، وشراء ضمائر الخونة، ووصفت الصحيفة حكام مصر والشام بالطغاة الذين ينادون بتحريم الأسلحة الذرية، لكن يستحلون قتل العرب في بلاد العرب[٤١]، وتحت عنوان (دروس وعبر) نددت الصحيفة بالجمهورية العربية المتحدة، بعبارات مشينة، ووصفتها الصحيفة بأنها جمهورية آخر زمان ونعتتها باليهودية، كما اتهمت الرئيس عبد الناصر، بإرسال السلاح والذخيرة إلى الخارجين على القانون في لبنان، وإرسال الجواسيس السوفيت بجوازات سفر عربية، ووصفت الصحيفة الرئيس عبد الناصر بالعبد الخاضع لأسياده السوفيت الملحدين[٤٢]. وواصلت صحيفة الأخبار تنديدها بالجمهورية العربية المتحدة وتحت عنوان (نغم واحد)، هاجمت الصحيفة حكام مصر وسوريا، وأنهم أجرموا بحق العرب وتآمروا على مستقبل العرب، بتوجيه من سادتهم في موسكو، واتهمت الصحيفة الرئيس عبد الناصر بأنه ضرب ضربته في لبنان، فأرسل الجواسيس والمتفجرات فكانت الفتنة الهوجاء، وما أصاب لبنان في رأى الصحيفة من تخريب، فقد أصاب العراق والأردن وليبيا وتونس وغير ذلك من الشرور التي تبعث من زبانية مصر والشام[٤٣].

وأبرزت الصحيفة في عدد آخر تصريحات السيد كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية، والتي هاجم فيها 'همرشولد' السكرتير العام للأمم المتحدة، لتشجيعه في رأي كميل شمعون الجمهورية العربية

المتحدة، بالاستيلاء على منطقة الشرق الأوسط[٤٤] وإزاء الأحداث السياسية التي رافقت انتهاء ولاية كميل شمعون وانتخاب رئيس جديد للبنان، توقعت الصحيفة بأن الرئيس جمال عبد الناصر سيكون أول من يعترف بالحكومة الجديدة[٤٥].

أما صحيفة الشعب فقد ماثلت قرينتها صحيفة الأخبار في موقفها تجاه الأزمة اللبنانية وتحت عنوان (موقف خطير)، أشارت فيه الصحيفة إلى خطورة الموقف في لبنان، واستمرار المعارك في مختلف أنحاء البلاد، بين قوات الحكومة وأبناء الشعب، وأدانت الصحيفة في مقالها الجمهورية العربية المتحدة وسياستها إزاء الأزمة اللبنانية، وذلك بشنها الحملات الإذاعية والصحفية الضيقة على المسؤولين في لبنان واتهامهم من قبل المتحدة بالخيانة[٤٦].

وواصلت صحيفة الشعب في عدد آخر نشر مقالاتها، بصدد لبنان وأزمته، وتحت عنوان (شكوى ولكن لمن؟)، أشارت الصحيفة إلى الأحداث التي تشهدها الساحة اللبنانية، وتطرقت الصحيفة إلى إصرار الحكومة اللبنانية، بتقديم شكواها إلى الجامعة العربية ضد الجمهورية العربية المتحدة، ووصفت الصحيفة الجامعة العربية بأنها جسد ميت، منددة بسياسة العربية المتحدة، وتدخلها في شؤون لبنان[٤٧].

أما صحيفة الحوادث فقد وصفت تحت عنوان (لا يمكن أن يعتدل) نظام عبد الناصر بالإرهاب والدكتاتورية، وتأييد الخطط الشيوعية في الشرق الأوسط، وانعكاساتها تلك الخطط على ساحة لبنان، ونددت الصحيفة بصحف العربية المتحدة التي استغلت على حد زعم الصحيفة، حادث اغتيال نسيب المتني[*]، واتهام تلك الصحف الحكومة اللبنانية بتدبير الحادث، وزعمت الصحيفة من أن تلك الممارسات هي من خطط الهدم والتخريب التي يمارسها عبد

الناصر[٤٨] وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان (شكوى لبنان في مجلس الأمن)، أشارت إلى قرار الحكومة اللبنانية بتقديم شكواه إلى مجلس الأمن ضد مصر وسوريا، وأفصحت الصحيفة عن رأيها في أن مصر وسوريا هما المسؤولتان عن هذا الإجراء، وهما اللتان قادتا الوطن العربي إلى هذا المصير، الذي لا يرضى به كل غيور، وفي عمود الصحيفة اليومي. من نفس العدد وبعنوان (خواطر المساء) تباكت الصحيفة على كميل شمعون، كونه في رأي الصحيفة، لم يخالف الدستور بل أراد تعديله وتصحيحه، منددة في نفس الوقت بالعربية المتحدة وساستها[٤٩].

وتحت عنوان (ما هو التدخل إذن؟) سخرت فيه صحيفة الحوادث من سياسة الجمهورية العربية المتحدة وادعاءاتها، بعدم تدخل عبد الناصر وعبد الحميد السراج بالشؤون الداخلية للبنان، وأبدت الصحيفة دهشتها من نفس تحريضهما على الثورة، وتساءلت الحوادث عن أسباب التدخل في اتهام رئيس الدولة اللبنانية بالخيانة، وتأييده الاستعمار والفساد وغير ذلك من الاتهامات[٥٠].

أما صحيفة المنار فقد أبرزت تصريحات السيد كميل شمعون، والتي أدان فيها سياسة الجمهورية العربية المتحدة وتدخلها في شؤون لبنات الداخلية، وأشارت الصحيفة إلى طلب لبنان عقد الجلسة الاستثنائية للجامعة العربية في السودان أو في ليبيا، لوضع حد لتدخل العربية المتحدة في أمور لبنان[٥١]. وتمشياً مع تعليق إذاعة بغداد وتحت عنوان (لبنان سينتصر) أدانت الصحيفة، التهم التي تروجها أجهزة الإعلام المصرية والسورية ضد لبنان، واستشهدت الصحيفة بدولة المجر، التي تم إخضاعها من قبل الشيوعيين إلى حكمهم الغاشم، وناشدت الصحيفة العرب بعدم ترك لبنان وحيداً وهو يدافع عن حريته واستقلاله[٥٢].

وقد شاطرت صحيفة العمل قريناتها الصحف الأخرى في التصدي لسياسة الجمهورية العربية المتحدة، والتنديد بالرئيس عبد الناصر، وتجسّد ذلك من خلال مواقفها في معالجة الأحداث التي وقعت في أرجاء لبنان.

وتحت عنوان (ماذا في لبنان) أدانت صحيفة العمل سياسة العربية المتحدة حيال لبنان من خلال الطغيان الناصري، والتدفق العسكري المصري، بتوزيع المتفجرات على المجرمين، وإيجاد حركة غوغائية على حد زعم الصحيفة، يغذيها عبد الناصر والمكتب الثاني في سوريا، من مظاهرات وإضرابات ومصادمات بين الأهلين ورجال الأمن[٥٣].

وتحت عنوان (وقى الله لبنان)، واصلت الصحيفة اتهام العربية المتحدة، بالتدخل في لبنان وتهريبها السلاح والعتاد عبر الحدود لتحدي الرئيس الشرعي كميل شمعون[٥٤]، ووصفت الصحيفة ذلك التدخل بأنه جريمة شيوعية ناصرية، ومن جانب آخر استغربت الصحيفة من تردد رجال لبنان على القاهرة متوهمين في رأي الصحيفة أن جمال عبد الناصر هو مرجعهم، وهو قائدهم، وليس الرئيس كميل شمعون. وتحت عنوان (في لبنان محنة وفرصة) دعت الصحيفة إلى استحصال موافقة البرلمان اللبناني للاتحاد مع العراق والأردن، لتفادي الفتنة، والمحافظة على كيان لبنان، فضلاً عن تطويق 'إسرائيل' بين قلب (الاتحاد العربي) من جهة وبين الجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى[٥٥] غير أن هذا الرأي والموقف يبدو للباحث طارئاً وغريباً، كونه يشكل تناقضاً جذرياً مع آراء صحيفة العمل المعهودة، حيال سياسة العربية المتحدة خاصة عندما أشارت وتحت عنوان (اجتماع جمال عبد الناصر مع بن غوريون هل هو أكذوبة نيسان)، إلى انضمام 'إسرائيل' إلى الجمهورية العربية المتحدة، وهل

تناست الصحيفة كيف عززت مزاعمها تلك حين أوردت حججاً غريبة، ومنها تساهل الحكومة المصرية في عبور السفن 'الإسرائيلية' عبر القناة ومن خليج العقبة، كذلك تقارب مصر مع فرنسا حليفة 'الكيان الصهيوني' إضافة إلى حجتها في قضية إيفاد الصحفي المصري إبراهيم عزت إلى 'إسرائيل' ودعمت صحيفة العمل آرائها بعدم نشر الحكومة المصرية تكذيباً رسمياً لهذه الأخبار وغيرها[٥٦] فكيف تكون العربية المتحدة أحد طرفي الكماشة ضد 'إسرائيل'، وعلى أية حال نعود إلى تتبع موقف الصحيفة حيث نشرت الصحيفة تحت عنوان (جمال عبد الناصر والغرب) حرضت فيه الغرب على الرئيس عبد الناصر بعدم إبداء أي تساهل أو تعاون معه، وأن دوره الإيجابي في خدمة السوفييت، خلق وضعاً مضطرباً في لبنان، ودعاية ضد الغرب في الوطن العربي، مما يؤثر في رأي الصحيفة على الاستقرار في الشرق الأوسط، ويشجع على انتشار الشيوعية في المنطقة[٥٧].

وأبدت صحيفة العمل قلقها على لبنان خلال مقالها الافتتاحي والمعنون (محطة لبنان) بالحفاظ على سيادة لبنان، وعدم استعداده لمجابهة ثورة تغذيها دولة مجاورة، وهي العربية المتحدة ومن ورائها دولة كبرى هي روسية السوفييتية، وناشدت الصحيفة لبنان إلى طلب قوة دولية، كالتي تحل في غزة والأراضي المصرية، للخروج من محنته ظافراً باستقلاله ومعتزاً بدستوره وقانونه[٥٨].

أما صحيفة الحرية الذي اتسم موقفها باستقلال منبرها السياسي والقومي، وكما نوهنا عن ذلك سابقاً، والتي تختلف في نهجها عن قريناتها الصحف الأخرى في معالجة الأزمة اللبنانية وما شهدتها من أحداث، حيث نشرت على صدر صفحتها الأولى احتجاج الحكومة اللبنانية على التدخلات، التي تقوم بها الجمهورية العربية المتحدة، في التحريض وإثارة الشغب، وتضمن الاحتجاج وكما ورد في

الصحيفـة طلـب الحكومـة اللبنانيـة مـن العربيـة المتحـدة وقـف تلـك النشـاطات التـي تسـيء إلـى صـلات الأخـوة بـين البلديـن الشـقيقين[٥٩]، واستبشرت الصحيفة وتحت عمود (كلمة الحرية) وبعنـوان (٢٤ تمـوز) بقرب الرابع والعشرين من تموز، وهو الميعـاد المرتقب لاجتمـاع مجلس النـواب اللبنـاني. واختيار خلفٍ لرئيـس الجمهوريـة الحـالي، وأشـادت الصحيفة بنداء غرفة تجـارة بيروت وإعـلان الاقتصـاديين عـن عزمـهم علـى إغـلاق متـاجرهم وإيقـاف مصـانعهم، إذا لـم يوفـق مجلـس النـواب إلى انتخاب الرئيس الجديـد، وتشـكيل الحكومـة التـي تكفـل الطمأنينـة للبنـان والسـلامة لأبنائـه، وعبـرت الصحيفـة عـن لهفتهـا بحسـم الأزمـة اللبنانية، حسماً محلياً لدرء المخاطر عن لبنان والأمة العربية[٦٠].

المصادر والمراجع

(١) خالدة بلال صالح: مصدر سابق، ص٢٠٦.

(٢) وزارة الخارجية: ملفة رقم ٤/١٠٩٢/١٠٩٢/٨، برقية رمزية من المفوضية بعمان إلى وزارة الخارجية، بغداد في ١٢/شباط/١٩٥٨.

(٣) د.ك.و: رقم الملفة ١٠/٦/ تسلسل ١٥٩، كتاب السفارة العراقية بعمان المرقم ٢/٧٣/٢٥٥، في ١٢/نيسان/١٩٥٨.

(٤) صحيفة الأخبار، العدد ٤٨٩٧، الصادر في ١١/ آذار/١٩٥٨.

(٥) المصدر نفسه، العدد ٤٩٠٢، الصادر في ١٦/ آذار/١٩٥٨.

(٦) صحيفة الأخبار، العدد ٤٩٠٧، الصادر في ٢١/آذار/١٩٥٨.

(٧) صحيفة الشعب، العدد ٤١٣٢، الصادر في ١/نيسان/١٩٥٨.

(٨) المصدر نفسه، العدد ٤١٤٠، الصادر في ٩/نيسان/١٩٥٨.

(٩) المصدر نفسه، العدد ٤١٤٨، الصادر في ١٧/نيسان/١٩٥٨.

(١٠) المصدر نفسه، العدد ٤١٥٣، الصادر في ٢٥/نيسان/١٩٥٨.

(١١) المصدر نفسه، العدد ٤٢١١، الصادر في ٢٥/حزيران/١٩٥٨.

(١٢) المصدر نفسه، العدد ٤٢٢٤، الصادر في ١٣/تموز/١٩٥٨.

(١٣) صحيفة الحوادث، العدد ٤٥٩٥، الصادر في ٢/آذار/١٩٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ٤٥٩٩، الصادر في ٨/آذار/١٩٥٨.

(١٥) المصدر نفسه، العدد ٤٦٢٢، الصادر في ٥/حزيران/١٩٥٨.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٤٦٣٨، الصادر في ٢٤/حزيران/١٩٥٨.

(١٧) صحيفة المنار، العدد ١١٩٩، الصادر في ١٤/آذار/١٩٥٨.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ١٢٠٨، الصادر في ٢٥/ آذار/١٩٥٨.

(١٩) صحيفة العمل، العدد ٨٦، الصادر في ٢٥/آذار/١٩٥٨.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ١١٩، الصادر في ٧/آذار/١٩٥٨.

(٢١) صحيفة الأخبار، العدد ٤٩٤٦، الصادر في ٩/ آيار/١٩٥٨.

(٢٢) المصدر نفسه، العدد ٤٩٩٧، الصادر في ١٢/تموز/١٩٥٨.

(٢٣) صحيفة الحوادث، العدد ٤٥٩٥، الصادر في ٢/آذار/١٩٥٨.

(٢٤) صحيفة المنار، العدد ١٢١٩، الصادر في ٨/نيسان/١٩٥٨.

(٢٥) المصدر نفسه، العدد ١٢٣٤، الصادر في ٢٩/نيسان/١٩٥٨.
(٢٦) المصدر نفسه، العدد ١٢٣٦، الصادر في ١/آذار/١٩٥٨.
(٢٧) صحيفة البلاد، العدد ٥١٦١، الصادر في ٢٥/آذار/١٩٥٨.
(٢٨) المصدر نفسه، العدد ٥١٨٨، الصادر في ١٧/نيسان/١٩٥٨.
(٢٩) المصدر نفسه، العدد ٥١٩٨، الصادر في ٨/آذار/١٩٥٨.
(٣٠) المصدر نفسه، العدد ٥٢٠٨، الصادر في ١١/آذار/١٩٥٨.
(٣١) صحيفة البلاد، العدد ٥٢٤٧، الصادر في ٢٣/حزيران/١٩٥٨.
(٣٢) المصدر نفسه، العدد ٥٢٦٣، الصادر في ١٣/تموز/١٩٥٨.
(٣٣) صحيفة العمل، العدد ١٠٠، الصادر في ١٠/نيسان/١٩٥٨.
(٣٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٩، الصادر في ٢٤/نيسان/١٩٥٨.
(٣٥) عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص ص ١٨٧-١٨٨.
(٣٦) جمال عبد الناصر: قال الرئيس: مجموعة خطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر، مطبعة دار الهلال، د. ت.، ص٣٢٩.
(٣٧) صحيفة الأخبار، العدد ٤٩٤٣، الصادر في ٦/أيار/١٩٥٨.
(٣٨) المصدر نفسه، العدد ٤٩٨٣، الصادر في ٢٢/حزيران/١٩٥٨.
(٣٩) صحيفة المنار، العدد ١١٩٩، الصادر في ٧/نيسان/١٩٥٨.
(٤٠) صحيفة العمل، العدد ١٧٢، الصادر في ١٤/تموز/١ ٩٥٨.
(٤١) صحيفة الأخبار، العدد ٤٩٤٩، الصادر في ١٣/ أيار/١٩٥٨.
(٤٢) المصدر نفسه، العدد ٤٩٥٢، الصادر في ١٧/آيار/١٩٥٨.
(٤٣) المصدر نفسه، العدد ٤٩٧٢، الصادر في ١٠/ حزيران/١٩٥٨.
(٤٤) صحيفة الأخبار، العدد ٤٩٩٥، الصادر في ٤/تموز/١٩٥٨.
(٤٥) المصدر نفسه، العدد ٤٩٩٧، الصادر في ١٢/تموز/١٩٥٨.
(٤٦) صحيفة الشعب، العدد ٤١٧٤، الصادر في ١٩/آذار/١٩٥٨.
(٤٧) المصدر نفسه، العدد ٤١٧٧، الصادر في ٢٢/آذار/١٩٥٨.
(❖) نسيب المتنى، صحفي لبناني ذات ميول ناصرية وصاحب صحيفة التلغراف اللبنانية وقد اغتيل في الأحداث اللبنانية.
(٤٨) صحيفة الحوادث، العدد ٤٦٠٢، الصادر في ١٢/آذار/١٩٥٨.
(٤٩) صحيفة الحوادث، العدد ٤٦١٢، الصادر في ٢٤/آذار/١٩٥٨.

(٥٠) المصدر نفسه، العدد ٤ ٤٦١، الصادر في ٢٧/آذار/١٩٥٨.

(٥١) صحيفة المنار، العدد ١٢٥٣، الصادر في ٢٣/آذار/١٩٥٨.

(٥٢) المصدر نفسه، العدد ١٢٨٣، الصادر في ٢٧/حزيران/١٩٥٨.

(٥٣) صحيفة العمل، العدد ١٠٣، الصادر في ١٣/نيسان/١٩٥٨.

(٥٤) المصدر نفسه، العدد ١٢٦، الصادر في ١٦/آذار/١٩٥٨.

(٥٥) المصدر نفسه، العدد ١٥٦، الصادر في ٢/حزيران/١٩٥٨.

(٥٦) المصدر نفسه، العدد ٩٤، الصادر في ٣/نيسان/١٩٥٨.

(٥٧) المصدر نفسه، العدد ١٤٧، الصادر في ١٠/حزيران/١٩٥٨.

(٥٨) المصدر نفسه، العدد ١٦٧، الصادر في ٨/تموز/١٩٥٨.

(٥٩) صحيفة الحرية، العدد ١١٧٨، الصادر في ١٤/أيار/١٩٥٨ ١.

(٦٠) المصدر نفسه، العدد ١٢٢٤، الصادر في ١٣/تموز/١٩٥٨.



الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، والعقيد الركن عبد السلام محمد عارف
صبيحة إنشاء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

ثالثاً: موقف الصحافة العراقية من سياسة الجمهورية العربية المتحدة خلال العهد الجمهوري حتى انتفاضة الموصل ١٩٥٩:

لقد وقفت صحف العراق بدون استثناء موقفاً إيجابياً، اتسم بالحماس والاندفاع تجاه الجمهورية العربية المتحدة، لوقوفها بحزم وثبات إزاء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وينطبق هذا التقييم حتى على بعض الصحف التي واصلت امتدادها في الصدور والتي كانت قبل الثورة موالية للسلطة في العهد الملكي، كصحيفة الأخبار التي لم تتردد يوماً عن نشر مقالاتها وتعليقاتها تنديداً وتهجماً ضد الجمهورية العربية المتحدة، وقيادتها المتمثلة بالرئيس جمال عبد الناصر، إبان العهد الملكي، ولكنها سرعان ما اتخذت موقفاً مغايراً بعد قيام ثورة ١٤ تموز[*]، حيث بدأت تشير في مقالاتها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ووصفته بأنه (رائد القومية العربي) (وباني مجد العرب). فعلى صدر صفحتها الأولى أوردت صحيفة الأخبار اعتراف الجمهورية العربية المتحدة رسمياً بالجمهورية العراقية، كما نشرت الصحيفة قرار العراق بانسحاب من الاتحاد العربي الزائف، والذي وصفته بأنه وسيلة لتوحيد العروش المنهارة[١].

وفي عدد آخر أبرزت الصحيفة تصريح الرئيس عبد الناصر بمعارضته تواجد القوات الأمريكية في لبنان، وإعلانه بأن أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر في الوقت نفسه عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة، وعبّرت الصحيفة في العدد نفسه وتحت عنوان (مرحباً بعبد الناصر بطل السلام) عن مشاعر الفرح لالتقاء جناحي العروبة في مصر الكنانة، وعراق الرافدين، على صعيد التحرر القومي، إضافة إلى إشارات التمجيد الأخرى بالرئيس عبد الناصر[٢].

وتحت عمود كلمة اليوم نشرت مقالاً بعنوان (هنيئاً لك ولنا.. يا جمال) استبشرت الصحيفة فيه بوحدة الأمة العربية، انطلاقاً من مبدأ الضمان الجماعي، الذي أصبح لأول مرة في رأي الصحيفة الأداة الفعالة في الدفاع عن العرب، ولم تنس الصحيفة أن تبعث تحياتها للرئيس عبد الناصر ووصفها إياه بطل القومية العربية وحصنها الحصين[٣].

وواصلت الصحيفة تحت باب في 'الأفق العالمي' وتحت عنوان (المعنى العميق للوحدة العربية) إشادتها بخطاب الرئيس جمال عبد الناصر، والذي أشار فيه إلى ارتباط العرب بوشائج الدم والغرائز، وليس في استطاعة الحواجز المصطنعة النيل والتباعد بينهم، وبدافع تلك الوشائج ظلت الوحدة العربية الهدف الأول والأخير للأمة العربية في وطن عربي متحرر، يساهم في خدمة الحضارة البشرية والمبادئ الإنسانية[٤].

وما دمنا بصدد موقف صحيفة الأخبار فقد أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي بتاريخ ٢٧/تموز/١٩٥٨ بياناً خاطبت فيه رئيس مجلس الوزراء الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وكذلك نائب رئيس مجلس الوزراء العقيد الركن عبد السلام عارف بيان عنوانه (حول الوضع الراهن والأخطار الكامنة والمحدقة بالجمهورية والتدابير الملحة العاجلة لتعبئة قوى الشعب) وقد أشارت فيه اللجنة المركزية في بيانها إلى المذكرة المستعجلة المقدمة منها في ٢٠/تموز/١٩٥٨، وأن هذا البيان ليؤكد ما ورد في تلك المذكرة حيث حذّر من خلال تقديره للوضع آنذاك والأخطار المحدقة بالجمهورية والتدابير الواجب اتخاذها ضد رموز العهد البائد ولمختلف الشرائح السياسية والاجتماعية وما يهمنا من ذلك مهاجمة صحيفة الأخبار والنيل من صاحب امتيازها جبران ملكون واصفة إياه بالجاسوسية في

الوقت الذي يُحرم فيه الحزب الشيوعي من حرية النشر وحرية التنظيم، وقد جدد البيان ولاء قيادة الحزب لثورة ١٤ تموز والعمل على صيانة الجمهورية والدفاع عنها[٥].

أما صحيفة الحرية فقد أشادت باندفاع وحماس موقف الجمهورية العربية المتحدة إزاء ثورة العراق، حيث أبرزت على صفحتها الأولى قول الرئيس عبد الناصر أن أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر في الوقت نفسه عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة[٦].

وتحت عمود كلمة الحرية وبعنوان (القومية العربية) وصفت الصحيفة الرئيس عبد الناصر بالقائد الملهم، وأنه حامي ركب القومية العربية في مسالك الحرية والعزة والكرامة، مشيرة إلى قوله 'أننا أيها الأخوة.. لأن معركتنا واحدة ولأننا شعباً واحداً ولأننا أمة واحدة'[٧].

وتحت نفس عمود كلمة الحرية أشادت الصحيفة تحت عنوان (طريق الوحدة) بلقاء دمشق الخالد بين قادة الجمهورية العراقية وقادة الجمهورية العربية المتحدة، حيث وصفت الصحيفة اللقاء أنه حلم سعيد طالما حرمنا منه الاستعماريون وأذنابهم أجيالاً متعاقبة[٨].

وواصلت الصحيفة إشادتها بالجمهورية العربية المتحدة وسياستها تجاه ثورة ١٤ تموز حيث باركت الثورة المجيدة تحت عنوان (عيدان)، عيد ثورة ٢٣ تموز في القاهرة، وعيد ١٤ تموز في بغداد، وأردفت الصحيفة قولها في أن أعياد تموز قد ردت لنا الاعتبار، وأعادت إلينا الشعور بالعزة والكرامة، بعد أن طال عهد الظلم والظلام[٩].

وواصلت الصحيفة تحت عنوان (عهد الأحرار) إشادتها بالرئيس جمال عبد الناصر وبقوله في أن عهد العملاء قد انتهى.. واليوم بدأ عهد الأحرار، وإشارته إلى تواطؤ بعض القادة المزيفين مع الاستعمار والصهيونية العالمية، وأنهم لا يريدون من وراء مزاعمهم، سوى تثبيت دعائم أسيادهم في الأرض، على حساب رقاب المستضعفين[١٠].

وفي عدد آخر أبرزت الصحيفة تصريحات المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وإشادته بثورة الجيش العراقي في ١٤ تموز، وتأكيده على أن القومية العربية، أثبتت أنها أقوى من التهديد، والقنابل، والدسائس[١١].

وقد اتسم موقف صحيفة الجمهورية تجاه الجمهورية العربية المتحدة، بالاندفاع والحماس، حيث دعت تحت عنوان (الثورة والوحدة) بقلم الدكتور سعدون حمادي إلى وحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، وأن ذلك في رأي الصحيفة، هو التجسيد العملي لتحقيق هدف المجتمع العربي الأساسي، وهو وحدته القومية[١٢].

ونطالع في مقال الصحيفة الافتتاحي المعنون (المسؤولية في العمل السياسي.. الوحدة مطلب الأمة العربية جمعاء) بقلم د. سعدون حمادي، حيث أشارت الصحيفة إلى ضرورة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وذلك في رأي الصحيفة تلبية لإرادة الشعب العراقي، ولتتويج نضاله المرير من أجل ذلك الهدف المنشود وهو الوحدة، وجاء في مقال الصحيفة أن أهم أهداف ثورة ١٤ تموز، هو التقاء بغداد بدمشق والقاهرة، تحت ظل الجمهورية العربية المتحدة[١٣].

وعبرت الصحيفة تحت عنوان (الثورة والمستقبل) عن إشادتها بتجربة الثورة خلال شهر واحد من عمرها، واصفة تلك التجربة بأنها جزء عضوي من النهضة العربية الشاملة، وأنها انبثاق ثوري لتيار القومية العربية المتحرر، الذي شيد في رأي الصحيفة الجمهورية العربية المتحدة[١٤].

ونشرت الصحيفة تحت عنوان (حول ميثاق الوحدة الثقافية العربية بداية الطريق) باركت فيه خطوة وزارة المعارف العراقية، بالعمل والتنسيق مع الجمهورية العربية المتحدة في المجال الثقافي والتعليمي، ووصفت الصحيفة الخطوة بكونها أخرجت التعليم من ممارسة العهد البائد الذي جعل التعليم، وسيلة لإفساد تعليم النشء

وتثبت الملكية الفاسدة في رأي الصحيفة، وتعميق النظرة الإقليمية الاستعمارية الضيقة وتقديسها(١٥).

وفي عدد آخر دعت الصحيفة إلى قيام وحدة اقتصادية مع الجمهورية العربية المتحدة، وذلك في رأي الصحيفة للضرورة القومية التي تمليها قضية التحرر ذاتها، لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية، وهي فوق كل ذلك كما ورد في الصحيفة، تمهيد إيجابي لقيام الوحدة التي هي عماد حياتنا(١٦).

أما صحيفة الثورة فقد نشرت تحت عمود بعنوان (الإشاعات المغرضة)، مشيرة إلى حقيقة تضامن الجمهورية العراقية مع الجمهورية العربية المتحدة، وأشارت الصحيفة إلى المؤتمر الصحفي الذي عقده السفير العراقي في القاهرة، والذي رد فيه على الدعايات الكاذبة التي تبثها وكالات الأنباء الاستعمارية، بأن هناك خلاف بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وفنّد السيد السفير ذلك بأن القاهرة وبغداد ستعرف كيف تلقن الاستعماريين درساً، في وحدة الصف العربي وفي التعاون من أجل خير الوطن العربي(١٧).

وتحت عنوان (معركة العرب الشاملة ضد الاستعمار) استعرضت فيه الصحيفة كيفية زحف الاستعمار فوق ظهور 'الإسرائيليين' نحو قناة السويس، لخوض معركة عاتية مع القومية العربية المتفجرة، وللقضاء على أرض العرب المتحدة، وذكرت الصحيفة بأن تلك الأحداث هي التي بذرت بذرة الثورة الكبرى في العراق(١٨).

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان (شعارنا الجديد للوحدة العراقية والقومية العربية)، أشارت الصحيفة إلى ثورة ١٤ تموز، وتحديد أهدافها في أمرين هامين، الأمل استثمار التحرر الداخلي والخارجي، والثاني ارتباط العراقيين بإخوانهم العرب الذين فرّق بينهم الاستعمار(١٩).

وواصلت صحيفة الثورة موقفها من الجمهورية العربية المتحدة، وسياستها إزاء ثورة العراق، حيث عبّرت عن شعورها تحت عمودها المعنون (معركتنا في بور سعيد)، بذكرى العدوان على بور سعيد، في وقت كان العراق حينذاك حصناً من حصون الاستعمار، وأشادت الصحيفة بكلمة الزعيم عبد الكريم قاسم، في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت، بالوقوف ضد كل تآمر على الجمهورية العربية المتحدة[٢٠].

وبصدد الثقافة والتعليم فقد نشرت صحيفة الثورة مقالاً تحت عنوان (صلات الثقافة والتعليم بين أبناء الأمة العربية)، رحبت فيه بوفد الجمهورية العربية المتحدة، برئاسة السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم، وأبدت تمنياتها بتوثيق صلات الثقافة والتعليم بين العرب جميعاً، على الأسس الشعبية الثائرة، التي كان لها النصر وسيكون لها على الدوام[٢١].

إن غرس بذرة الخلاف وتأزمه ساعد في تعميق فجوة التباعد، ثم تحول إلى التوتر والقطيعة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، ليصبح امتداداً للسياسة الخارجية العربية، في كلا البلدين مما انعكس ذلك على موقف الصحافة العراقية، تجاه سياسة الجمهورية العربية المتحدة، إبان تلك الفترة وقد ساعد على ذلك عوامل عديدة، منها الصراع العقائدي بين الشيوعيين والفئات القومية[*]، والنزاع بين قائدي الثورة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف[*]. إضافة إلى خشية البريطانيين على مصالحهم من تقارب بغداد والقاهرة[*].

لقد ازدادت حالة تردي العلاقات بين العراق والمتحدة سوءاً، وأصبح واضحاً بشكل حاد عند إعلان الحكومة العراقية عن مؤامرة يقودها رشيد عالي الكيلاني[*]، والتلويح بضلوع الجمهورية العربية المتحدة بها، وفي ضوء ما تقدم انعكست تلك العلاقات المشوبة بالحيطة والحذر على موقف الصحافة العراقية من سياسة الجمهورية العربية المتحدة والتنديد بها.

تحت عنوان (إليكم يا بعض إخواننا العرب)، استغربت صحيفة الثورة، من أحمد سعيد وبقية المعلقين والصحفيين من التهجم على ثورة العراق، وإبداء تلك الجهات تحسرها، على نوري السعيد وبهجت العطية من قبل أدعياء القومية[٢٢]، وقد تعمدّت الصحيفة في مقالها المعنون (رسالة أخوية إلى الأستاذ أحمد سعيد وبعض الأخوان العرب)، بالسخرية من الصفات التي تلصق بالعراق لصقاً، كالانفصالية والشعوبية والانحراف والانعزالية، وذكرت الصحيفة أن تلك التهويشات هي محاولات لصرف الأنظار عن الاستعماريين والصهاينة، وأن الذين يتكلمون باسم العروبة في رأي الصحيفة لن يخدموا في موقفهم إلا خطط الاستعمار وإسرائيل[٢٣]. ونشرت الصحيفة مقالا تحت عنوان (حملات خائبة) بقلم يونس الطائي رئيس تحرير الصحيفة، استنكر فيه الاتهامات الباطلة الصادرة من صحف العربية المتحدة، ونيلها من عروبة ثورة العراق، واتهام الصحافة العراقية التي ظهرت بعد انبثاق ثورة ١٤ تموز بعمالتها لروسيا[٢٤].

وفي عدد آخر أبرزت صحيفة الثورة ادعاءات المدعي العام لمحكمة الشعب العراقية، وإشارته إلى مؤامرة رشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف، ونددّت الصحيفة بالمؤامرة والمتآمرين، وأبرزت الصحيفة تساءل المدعي العام عن سر دفاع إذاعة صوت العرب، عن المؤامرات التي تحاك في الظلام ضد الجمهورية العراقية[٢٥].

ومن خلال مقالها المعنون (حديث هادئ أيضاً!) نددّت الصحيفة بالشتائم والافتراءات والأكاذيب التي تتقيأها القاهرة، منذ أن شعرت بأن الديمقراطية في العراق، ليس وهماً يمكن التخلي عنه، واتهمت الصحيفة سياسة العربية المتحدة، بشق الصف العربي، وأن التهجم على محكمة الشعب ورئيسها المهداوي، هو تهجم في رأي الصحيفة على إرادة شعب باسل عظيم، ورغبته وميله للعدل والحق[٢٦].

وواصلت صحيفة الثورة تنديدها بسياسة العربية المتحدة، وفي مقالها بعنوان (المتآمر هو الذي يشق الصف العربي)، أبدت الصحيفة استيائها من سياسة العربية المتحدة تجاه وحدة الشعب العربي ودورها في شق الصف العربي، وأشارت إلى حكمة الزعيم عبد الكريم قاسم، في عدم كشفه لتفاصيل ووقائع المؤامرات، التي تحيكها العربية المتحدة، حرصا منه في رأي الصحيفة على وحدة الصف العربي(٢٧).

أما صحيفة الحضارة ذات الطابع الشيوعي فقد اتسم موقفها من سياسة الجمهورية العربية المتحدة، بالتصدي والاستنكار فقد نشرت تحت عنوان (لماذا تركز الحملة الهستيرية على العراق وحده)، استعرضت فيه الصحيفة سياسة هتلر وموسوليني وفرانكو التعسفية تجاه شعوبهم، وأفصحت الصحيفة عن رأيها، بأن سياسة عبد الناصر العربية هي امتداد لتلك السياسات وأن تبنيه لسياسة محاربة الشيوعية هي في رأي الصحيفة، التقاء مع سياسة المستعمرين الأمريكان، وحلفائهم بناة حلف شمال الأطلسي وميثاق بغداد وحلف جنوب شرق آسيا(٢٨).

وتحت عمود الصحيفة الثابت (من الحياة)، نشرت الصحيفة مقالا تحت عنوان (حكام العربية المتحدة.. عصابة عالمية!!!) زعمت فيه أن حكام العربية المتحدة، في رأي الصحيفة لم يكونوا إلا عصابة مسلحة كبيرة، سيطرت على الثروات المصرية والسورية، كما تسيطر أي عصابة من عصابات شيكاغو على ثروات الضعفاء العزل الآمنين(٢٩).

وواصلت الصحيفة تصديها وتشنيعها بالرئيس عبد الناصر فقد نشرت مقالا تحت عنوان (حكام العربية المتحدة.. أمام قوة الشعوب !!!) سخرت فيه من الرئيس جمال عبد الناصر، حين يظهر في المجتمعات بخطبه وإشاراته، وترجيع صوته، وتمايل رأسه، واهتزاز كتفيه، وأن عبد الناصر في رأي الصحيفة لم يبرهن لمرة واحدة على إيمانه وإخلاصه،

وأن أعماله التآمرية على العراق وعلى سوريا هن براهين وجدانية، تدين عصابة حكام العربية المتحدة وعلى رأسها عبد الناصر[٣٠].

أما صحيفة اتحاد الشعب فقد شاطر قرينتها صحيفة الحضارة في تصدي وشجب سياسة حكام العربية المتحدة، قد نشرت تحت عنوان (حول تصريحات جمال عبد الناصر الأخيرة لمستلزمات الحقيقة للتضامن العربي)، حيث عقبت الصحيفة على تصريحات الرئيس عبد الناصر والتي أفضى بها إلى المستر (وودر وايت) المعلق في الإذاعة البريطانية، قائلاً أن الحملة التعسفية الجائرة هي ليست في مصلحة التضامن العربي، وعلقت الصحيفة على تلك التصريحات بأنها ليست بعيدة عن مغزى تصريحه في خطاب المينا عن التضامن العربي، إذ أعقبته شؤون وشجون[٣١].

وتحت عنوان (في ذكرى ولادة الجمهورية العربية المتحدة) أدانت الصحيفة تجربة الوحدة وإصرار حكام العربية المتحدة في رأي الصحيفة على تجاهل الواقع، ورفض دراسة القضايا بهدوء، وأن إخفاقات التجربة قد نبه بها الوطنيون الداعون إلى التريث حسب زعم الصحيفة، وفي طليعتهم الشيوعيون في سوريا والعراق ومصر[٣٢].

وفي عدد آخر نشرت مقالاً تحت عنوان(التضامن العربي في خطب الرئيس جمال عبد الناصر) أوضحت فيه الصحيفة أن التضامن العربي، يستلزم احتراماً صادقاً لإرادة ورغبات جميع أجزاء الوطن العربي وتقييم جميع القوى الوطنية، في مجموع البلاد العربية، ولكن هذا التضامن وهذا النهج، يتعارض مع ممارسات العربية المتحدة، تجاه الأقطار العربية المتحررة[٣٣].

أما صحيفة الأهالي فقد سارت في نفس أسلوب المجابهة والتصدي، لسياسة العربية المتحدة، حيال ثورة ١٤ تموز ومسارها السياسي، وتحت عنوان (الحملات المغرضة ضد جمهوريتنا وحقيقة دوافعها) أبدت الصحيفة

امتعاضها من الحملات المغرضة، والدعايات الكاذبة التي تثيرها الجمهورية العربية المتحدة ضد ثورة العراق، وأن النيات السيئة التي تضمرها العربية المتحدة ضد كيان العراق، ونظامه الجمهوري، في رأي الصحيفة، سيأتي الضرر على مصلحة الأقطار العربية ويؤدي إلى اتساع الخلاف وشق لوحدة الكلمة والصف العربي[٢٤].

العربية، ويؤدي إلى اتساع الخلاف، وشق لوحدة الكلمة والصف العربي[٢٥].

وفي عدد آخر من الصحيفة نشرت مقالاً تحت عنوان (الوحدة المصرية السورية وعوامل تصدعها) ادعت الصحيفة بأن دافع الحملة الظالمة والدعايات المغرضة على الجمهورية العراقية سببه الوضع غير الطبيعي الذي يسود الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها، وأضافت الصحيفة في أن أي تفكير في موضوع الوحدة أو الاتحاد، يجب أن يسبقه الأخذ بنظر الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل بلد، وذلك ضماناً لسلامة النتائج التي تسفر عنها هذه الارتباطات، والتي تتمثل فيها إرادة الشعوب المعنية بذلك[٢٦].

وأضافت الصحيفة في عدد آخر وبمقالٍ تحت عنوان (التوتر بين العراق والعربية المتحدة لن يفصم عرى الأخوة بين الشعبين الشقيقين)، قائلة بأن توتر العلاقات بين العراق والعربية المتحدة، لا يعني في رأي الصحيفة، بأي حال من الأحوال توتر العلاقات بين الشعب العربي الواحد، في البلدين لأنه لا يستند إلى أي تناقض في مصالحه الحقيقية، ولا يشكل بأي شكل من الأشكال اختلافاً جذرياً بينه[٢٧].

تأثرت العلاقة السياسية بين العراق والعربية المتحدة، بعدة عوامل وكما أسلفنا سابقاً، خاصة فيما يخص المناخ السياسي العراقي، الذي حصل بعد أسابيع من الثورة بظهور اتجاهين أحدهما يدعو إلى الوحدة العربية، واتجاه يدعو إلى الاتحاد، وتنكره فيما بعد

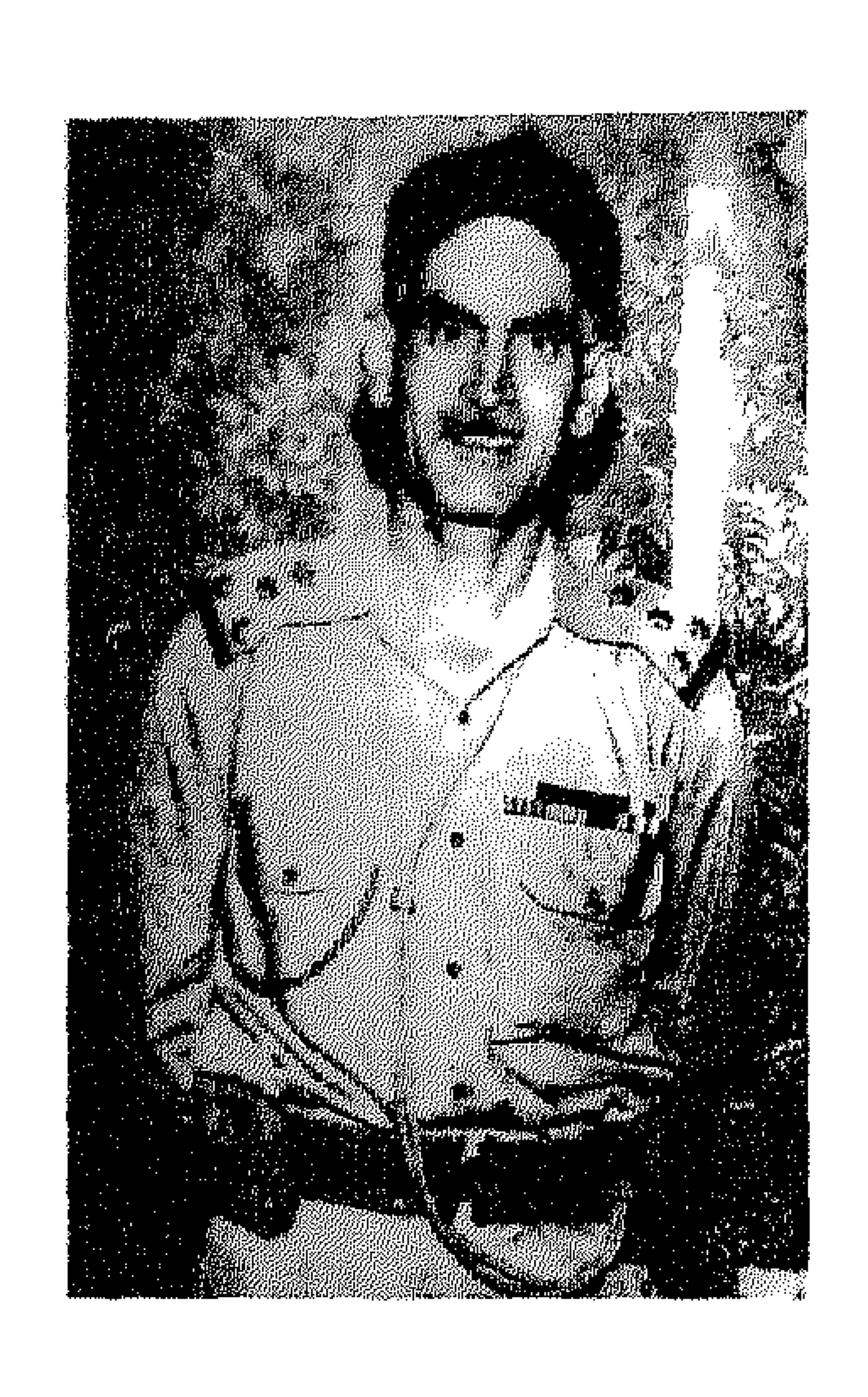
حتى إلى هذا الشعار، و انعكس ذلك على العلاقات بين البلدين، حيث دب الخلاف بشكل تدريجي في البداية وتحول إلى صراع سافر ومكشوف فيما بعد، ومما زاد الطين بلة الاستقالة الجماعية للوزراء في شباط ١٩٥٩ والذين كان أغلبهم من القوميين(*)، وتحول الأمر من سيئ إلى أسوأ، حين اتخذ الصراع لدى الشارع السياسي العراقي طابعاً منظماً، كانت محصلتها انتفاضة الموصل التي لم تكن وليدة ساعتها، على الرغم من اختلاف الاستفزازات والأسباب، التي أدت إلى حدوثها ويبدو هذا الأمر واضحاً وجلياً من خلال مواكبة الأحداث.

لقد كان ارتباط الزعيم عبد الكريم قاسم وتوجسه من العربية المتحدة، وقيادتها المتمثلة في الرئيس عبد الناصر، له أكبر الأثر في تردي العلاقات بين البلدين، ففي مؤتمر صحفي أشار الزعيم إلى اندهاش العالم من عظمة ثورة ١٤ تموز، كما أنه أثنى على الجمهورية العربية المتحدة، باعتبارها أول دولة اعترفت بثورة العراق، إلا أنه في الوقت نفسه ذكر مقولة لها مغزاها فيما كان يضمره ويراوده، وذلك عندما أراد أن يوضح للملأ في أن ثورة ١٤ تموز انطلقت وتفجرت بتدبير آني ودون إعانة أو فضل من أحد عليها، وألمح إلى ذلك بقوله: أن أخي عبد الناصر كان في تلك اللحظة بعيداً عن بلده(٣٨)، وهنا يبدو للباحث الحيطة والتوجس، أو سوء النية تجاه العربية المتحدة وقائدها جمال عبد الناصر، على أن ما أدلي به الزعيم عبد الكريم قاسم كان حقيقة ثابتة بعدم استعانة ثورة ١٤ تموز بأي مسؤول في العربية المتحدة، إلا أن هذه الحقيقة أريد بها الابتعاد عن دولة الوحدة، أو على الأقل تحقيق الغاية مما استهدفه الزعيم عبد الكريم، وهو تحجيم العلاقة بين العراق والمتحدة.



جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة



عبد الكريم قاسم

رئيس وزراء الجمهورية العراقية

أما الرئيس عبد الناصر فقد عزى ارتياب عبد الكريم قاسم، وأثارت مخاوفه يعود إلى ما تنشره الصحف الأجنبية، وما تردده لنغمة ضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة والاستحواذ على اقتصاده، ففي ٢٧/كانون الأول/١٩٥٨ ندد عبد الناصر بسياسة الدس التي تثيرها الصحف الأجنبية؟ بقولها أن عبد الناصر يريد ضم العراق ويتآمر عليه، وأن صحف إنكلترا تدعي بأن العربية المتحدة تنادي بالقومية العربية، لأنها تريد بترول العراق، وقد حاول عبد الناصر إزالة الشكوك والمخاوف التي تراود الزعيم عبد الكريم، حيث أكد في نفس خطابه هذا بوقوف الجمهورية العربية المتحدة مع الشعب العراقي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف ضد الجمهورية العراقية مهما دسوا ومهما نشروا(٣٩).

وعلى أي حال فقد اتضحت معاداة الشيوعيين وفوضوية ممارستهم، ضد الوحدة العربية وضد الرئيس عبد الناصر، بدعم من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، إضافة إلى منبر محكمة الشعب والمدعومة حكومياً، على أن ذلك لن يغفر لأجهزة الإعلام المصرية والسورية، من مسؤوليتها إبان تلك الفترة، فقد كان صراخ إذاعات القاهرة ودمشق الرسمية والخاصة، وصحفهما على العراق وثورته، قد زاد من حدة التوتر بينهما بحيث عالجت تلك الوسائل الحالة بطريقة غير واعية، وكذلك اعتماد عبد الناصر محلياً على أجهزته السلطوية، وعربياً على الرموز العسكرية من الضباط، دون أي محاولة جادة لخلق جو سياسي شعبي يمكن من خلاله خلق كوادر قيادية قادرة على ممارسة دورها السياسي المطلوب، وباختصار كانت ثمة انفصام واضح بين المنطلقات العقائدية، والتي قامت على أساسها دولة الوحدة وبين الفوضى الفكرية القائمة فيما يكتب ويذاع في مؤسسات إعلام العربية المتحدة(٤٠).

المصادر والمراجع

(*) في اليوم التالي، أي الخامس عشر من تموز، ألغت الثورة جريدة الشعب والحوادث وتوقفت جريدتنا الزمان والأخبار عن الصدور وصدرت جريدة البلاد وهي تحمل العناوين التالية الثورة وإعلان الجمهورية العراقية، مع الثورة من الساعة الرابعة صباحاً، عبد الناصر يهنئ شعب العراق، وفي اليوم الثالث من عمر الجمهورية صدرت جريدة الأخبار والحرية، بجانب جريدة البلاد، كما أصدر لفيف من الشباب جريدة الجمهورية وكان صاحب امتيازها العقيد رشيد فليح ورئيس تحريرها سعدون حمادي. للمزيد أنظر فائق بطي: صحافة تموز وتطور العراق السياسي، ص١، مطبعة الأديب، بغداد، السنة ١٩٧٠، ص١٧.

(١) صحيفة الأخبار، العدد ٥٠٠، الصادر في ١٦/تموز/١٩٥٨.

(٢) المصدر نفسه، العدد ٥٠١، الصادر في ١٧/تموز/١٩٥٨.

(٣) صحيفة الأخبار، العدد ٥٥٢، الصادر في ١٨/تموز/١٩٥٨.

(٤) المصدر نفسه، العدد ٥٠٧، الصادر في ٢٤/تموز/١٩٥٨.

(٥) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، البيان الصادر في ٢٧تموز/١٩٥٨.

(٦) صحيفة الحرية: العدد ١٢٢٨، الصادر في ١٧/تموز/١٩٥٨.

(٧) المصدر نفسه، العدد ١٢٣٠، الصادر في ١٩/ تموز/١٩٥٨.

(٨) المصدر نفسه، العدد ١٢٣١، الصادر في ٢٠/تموز/١٩٥٨.

(٩) المصدر نفسه، العدد ١٢٣٤، الصادر في ٢٣/تموز/١٩٥٨.

(١٠) صحيفة الحرية، العدد ١٢٣٥، الصادر في ٢٤/تموز/١٩٥٨.

(١١) المصدر نفسه، العدد ١٢٥٠، الصادر في ١٢/ آب/١٩٥٨.

(١٢) صحيفة الجمهورية، العدد ٦١١، الصادر في ٣٠/تموز/١٩٥٨.

(١٣) المصدر نفسه، العدد ٢٠، الصادر في ٨/آب/١٩٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، العدد ٢٥، الصادر في ١٤/أب/١٩٥٨.

(١٥) صحيفة الجمهورية، العدد ٤٤، الصادر في ٧/ أيلول/١٩٥٨.

(١٦) المصدر نفسه، العدد ٤٨، الصادر في ١١/أيلول/١٩٥٨.

(١٧) صحيفة الثورة، العدد ٥، الصادر في ٢٤ تشرين الأول/١٩٥٨.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ١٠، الصادر في ٣٠/تشرين الأول/١٩.

(١٩) المصدر نفسه، العدد ٣٢، الصادر في ٢٧/تشرين الثاني/١٩٥٨.

(٢٠) صحيفة الثورة، العدد ٥٤، الصادر في ٢/كانون الأول/١٩٥٨.

(٢١) المصدر نفسه، العدد ٢٩، الصادر في ١١/تشرين الثاني/١٩٥٨.

(*) في الوقت الذي عجل فيه الشيوعيين تشجيع النزعات الإقليمية كان رد الفئات القومية فضح عداء الشيوعيين للوحدة العربية والقومية العربية للمزيد من التفاصيل أنظر عزيز الحاج: ثورتنا في العراق وقضية الوحدة، دار الفكر الجديد، بيروت، د. ت، ص ص٦٣- ٦٤. وكذلك حركة القوميين العرب: العراق وأعداء الوحدة، منشورات حركة القوميين العرب، بيروت سنة ١٩٥٩، ص١٩. وكذلك لسمير عبد الكريم: أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ج٢، دار المرصاد، بيروت، ص ص١٢-١٦.

(*) فقد تلكأ الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس مجلس الوزراء في التصديق على الاتفاق الذي وقعه نائبه العقيد الركن عبد السلام عارف مع حكومة الجمهورية العربية المتحدة في ٩/تموز/١٩٥٨، وذلك كما يقول السيد محمد صديق شنشل نكاية بنائبه عارف، الذي لم يذكر اسم عبد الكريم قاسم في خطابه الذي ألقاه في دمشق، والذي أدعى أنه كل شيء بالثورة، ثم تحول الخلاف الخفي إلى صراع مكشوف، وشرع الاثنان في جمع الأنصار والمؤيدين تمهيداً لإزاحة أحدهما الآخر، ودخل الاثنان في سباق مع الزمن، وعين عبد السلام عارف يوم ١٤/١٠/١٩٥٨ موعداً لتنفيذ خطته للإطاحة بعبد الكريم قاسم ولكن قاسم قد سبق عارف بأيام معدودة فعزله فجأة، وتقرر إرساله سفيراً للعراق في بون، وغادر فعلاً لكنه عاد دون علم السلطات في الخامس من تشرين الثاني، فألقى القبض عليه بتهمة التآمر على الوطن وسلامة الزعيم، وعلى أثر ذلك تكرس الانقسام الخطير في صفوف قيادة الثورة، وانعكس على وضع القوى السياسية والوطنية التي كانت مؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني،، وللمزيد من الإطلاع أنظر ليث عبد الحسن الزبيدي: ثورة ١٤ تموز في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد سلسله دراسات (١٨٤)، ١٩٧٩، ص٤١٢، وكذلك صلاح الدين الشيخلي (العلاقات العراقية المصرية) مصدر سابق، ص٣٠٧، وكذلك عبد الكريم فرحان: ثورة ١٤ تموز في العراق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص١١٠، وكذلك محمد كاظم علي، العراق في عهد عبد الكريم قاسم ١٩٥٨- ١٩٦٣، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٩، ص ص١٣٩-١٤٢.

(*) لقد أثارت مضامين أمة عربية موحدة مخاوف البريطانيين بعد ثورة ١٤ تموز، وخشيتهم على مصالحهم النفطية، فسعوا منذ الأشهر الأولى للثورة خلق فجوات، الهدف منها إبعاد بغداد عن دولة الوحدة، وللتوسع في الموضوع أنظر: خليل إبراهيم حسين: موسوعة ١٤ تموز، سقوط عبد الكريم قاسم، ج٥، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩، ص ص٣٠٦-٣٠٨. وكذلك أحمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو، عبد الناصر والعرب، ج٣، وكذلك المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة المتوسط، السنة ١٩٧٦- بيروت، ط١، ص١٧٥، وناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، منشورات المكتب التجاري، بيروت، مطبعة دار الكتب، ط ٢، ١٩٦٢، ص٦٦.

(*) لقد أعلنت الحكومة العراقية عن مؤامرة يقودها رشيد عالي الكيلاني، والذي كان من المتحمسين للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وتأييدها وكان ذلك الاتهام ذريعة للتشهير بالعربية المتحدة، واضطلاعها بالمؤامرة المزعومة، وتدخلها في شؤون العراق الداخلية، وللتوسع في هذا الموضوع أنظر نجم الدين السهروردي: التاريخ لم يبدأ غداً، شركة المعرفة للنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص ص٣٩٥-٣٩٧. وكذلك إنعام الجندي: إلى أين يسير الشيوعيون، في دار النشر العربي، سلسلة شهرية ثقافية عربية، العدد ٣، آذار، ١٩٥٩، ص١٢٤. وللمزيد أنظر مجيد خدوري: العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ص١٤٣.

(٢٢) صحيفة الثورة، العدد ٦١، الصادر في ٢/كانون الثاني/١٩٥٩.

(٢٣) المصدر نفسه، العدد ٦٢، الصادر في ٤/كانون الثاني/١٩٥٩.

(٢٤) المصدر نفسه، العدد ٦٣، الصادر في ٥/كانون الثاني/١٩٥٩.

(٢٥) صحيفة الثورة، العدد ٧٨، الصادر في ٢٥/كانون الثاني/١٩٥٩.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٨٦، الصادر في ٣/شباط/١٩٥٩.

(٢٧) المصدر نفسه، العدد ٨٧، الصادر في ٥ /شباط/١٩٥٩.

(٢٨) الحضارة: صحيفة صدرت في بغداد سنة ١٩٥٩ ومنحت الامتياز يوم ١٩٥٨/١٢/٢٢، وتوقفت عن الصدور في ١٩٦١/١/٢٧، وكانت أسبوعية وأصبحت يومية بتاريخ ١٩٦٠/١٠/١٦، وتوقفت عن الصدور في ١٩٦١/١/٢٧، أما رئيس تحريرها فهو محمد حسن الفرطوسي وعبد الغني مطر، وكان اتجاهها السياسي شيوعي.

(٢٩) صحيفة الحضارة، العدد بلا، الصادر في ١٤/ آذار/١٩٥٩.

(٣٠) المصدر نفسه، العدد بلا، الصادر في ١٩/ أيلول/١٩٥٩.

(٣١) المصدر نفسه، العدد بلا، الصادر في ٢٦/ أيلول/١٩٥٩.

(٣٢) صحيفة اتحاد الشعب، العدد ٦، الصادر في ٣٠/كانون الثاني/١٩٥٩.

(٣٣) المصدر نفسه، العدد ٨، الصادر في ٢/شباط/١٩٥٩.

(٣٤) صحيفة اتحاد الشعب، العدد ٢٥، الصادر في ٢٤/شباط/١٩٥٩.

(٣٥) صحيفة الأهالي، العدد ٢٤٨، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٥٩.

(٣٦) المصدر تفسه، العدد ٢٦٨، الصادر في ٢٧/تشرين الأول/ ١٩٥٩.

(٣٧) المصدر نفسه، العدد ٢٨١، الصادر في ١١/تشرين الثاني/١٩٥٩.

(❖) قدم كل من الزعيم الركن ناجي طالب وزير الشؤون الاجتماعية والدكتور عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية، وبابا علي الشيخ محمود وزير المواصلات والأشغال والدكتور محمد صالح محمود، وزير الصحة استقالاتهم بتاريخ (٥/شباط/١٩٥٩)، ثم أعقب ذلك استقالة محمد صديق شنشل وزير الإرشاد وفؤاد الركابي وزير الدولة، وفي اليوم التالي وفي الوقت نفسه قدم الشيخ محمد مهدي كبة استقالته من مجلس السيادة وللمزيد: أنظر ليث عبد الحسن الزبيدي ثورة ١٤ تموز مصدر سابق، ص٤٦٩.

قحطان أحمد سليمان: السياسة الخارجية العراقية، من ١٤ تموز ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص١٦.

(٣٨) أن ما يؤيد إدلاء الزعيم عبد الكريم قاسم بصدد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قول محسن حسين الحبيب أحد الضباط الأحرار البارزين في الهيئة العليا ومن المعروفين بخلافه المبكر مع عبد الكريم قاسم، حيث يقول أن الاتفاق كان تاماً بين أعضاء اللجنة العليا، على عدم إجراء أي اتصال مباشر مع أي مسؤول في الجمهورية العربية المتحدة، وذلك في فترة الإعداد للثورة وعن تنفيذها، وللمزيد أنظر محسن حسين الحبيب حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق، دار الأندلس، بيروت السنة ١٩٨١، ص٧٢.

(٣٩) جمال عبد الناصر، قال الرئيس، مصدر سابق، ص ص٤٥٧-٤٥٨.

(٤٠) عوني عبد المحسن فرسخ، مصدر سابق، ص٢٠٧.

رابعاً: العلاقات العراقية – العربية المتحدة بعد انتفاضة الموصل وردود فعل الصحافة العراقية:

في ضوء ما تقدم فإن التدخلات غير المشروعة، لكلا الطرفين أدى إلى تردي العلاقات بين قاهرة الوحدة، وبغداد الثورة، فكانت محصلة تلك الأحداث، هو انتقال السياسة من وراء الكواليس بين العاصمتين، إلى ساحة الجماهير، ووسط هذه الأحداث والتهويشات، حدثت انتفاضة الموصل يوم ٨/آذار/١٩٥٩. وكان رد الصحافة العراقية على تلك الانتفاضة يتسم بالتصدي والاستنكار، موجهة أصابعه الاتهام على الجمهورية العربية المتحدة وقيادة الرئيس عبد الناصر.

فقد نشرت صحيفة الثورة مقالاً تحت عنوان (الحزم والبطش الثوري يا زعيم الشعب الحبيب)، استعرضت فيه[*] المؤامرات التي تحاك من الخارج، ضد الجمهورية والزعيم، والتي كان آخرها مؤامرة العقيد الركن عبد الوهاب الشواف، وألمحت الصحيفة عن كثب تورط بعض الأنظمة العربية في تلك المؤامرة، حيث ناشدت الصحيفة الزعيم عبد الكريم قاسم انتهاج سياسة الحزم والبطش الثوري، ضد المؤامرة والمتآمرين[1]. وأفصحت الصحيفة عن موقفها في مقالها الافتتاحي المعنون (مؤامرة عبد الوهاب الشواف لها من حاكها في القاهرة. قطع رؤوس الخونة وفضح المتآمرين والخروج من حلف بغداد مطلب لا مجال لتأخير تنفيذه)، إذ أوضحت أن المؤامرات طويلة ومتشعبة، لها مقدمات ولها ذيول، ولها أنصار وأعوان وأيدي أجنبية، وأضافت الصحيفة أن حركة الخائن عبد الوهاب الشواف، ليست البداية كما أنها ليست النهاية، وربطت الصحيفة في تنديدها، بين حدوث الانتفاضة وبين إذاعات القاهرة ودمشق وصوت العرب، ووصفت وسائل الإعلام العربية المتحدة، بأنها صدى لنباح الصحافة

الاستعمارية في لندن وواشنطن وباريس وتل أبيب[٢]. ونشرت الصحيفة مقالاً في عدد آخر تحت عنوان (رفع الغطاء.. وتعرى المتآمر عبد الناصر.. الشعب أقوى والشعب لن يقهر) وصفت فيه الرئيس عبد الناصر، بأنه متآمر كبير، وعدو وديكتاتور، وسفاك متعطش للدماء، واتهمته بإرسال الأسلحة للموصل، لإغراقها بالدم من أجل ضم العراق إلى ديكتاتوريته، رغم إرادة أهل العراق، وجاء في مقال الصحيفة، أن الشعب هو الذي يرفع ويسقط، وهو الذي يحب ويكره، ويأمر ويحكم.. وهو الذي يسحل المتآمرين والخونة والجبناء)[٣].

ونشرت الصحيفة في مقالها المعنون (مع المتآمر عبد الناصر من جديد، محاولة خبيثة لاستعداء الشعب السوري الشقيق علينا)، واصلت فيه صحيفة الثورة تنديدها بمؤامرة الشواف، وبالرئيس عبد الناصر، الذي نعتته الصحيفة بالمتآمر الفاشل، إذ أوضحت الصحيفة بأن الذي زوّد المتآمرين والجواسيس بالأسلحة، ليس الشعب السوري، وإنما دكتاتور الشعب السوري، المتآمر جمال عبد الناصر[٤].

ويذكر محمود الدرة في كتابه 'ثورة الموصل القومية' (في يوم ٣ مارس (آذار) ١٩٥٩ سافر محمود عزيز إلى سوريا لتنفيذ الوعد الأكيد من السراج، بتجهيز الثائرين بمحطة إذاعية و(٣٠٠) متطوع من المغاوير.. وأسلحة خفيفة.. وسرب من الطائرات.. إذا اقتضى الأمر، لحماية قاعدة الثورة (ثورة الموصل)، من أي هجوم جوي قادم من بغداد)[٥].

ومن خلال مقالها الذي كان تحت عنوان (الفرعون الجديد يريد أن يبني وحدته على جماجم الملايين... على مؤامرة الموصل ومدبريها؟) اتهمت الصحيفة الرئيس عبد الناصر بالتآمر وتساءلت الصحيفة عن كيفية توزيع سلاح بور سعيد على المتآمرين، وأجابت عن سؤالها في أن المؤامرة كانت من تدبير عبد الناصر وتركيا وإيران، عملاء حلف بغداد التآمري[٦]. وفي عدد آخر أوضحت الصحيفة، في

مقالها المعنون (بنك مصر المركزي- وراء الأحداث يقدرون فتضحك الأقدار!) قائلة أن فشل مؤامرة الشواف، أدت إلى لجوء عبد الناصر بمحاولة تقوية جناحه الجنوبي، عن طريق الاتفاق مع الملك حسين، حيث ظهر ذلك في رأي الصحيفة، من خلال تخلي وسائل إعلام المتحدة عن هجومها ودعايتها ضد الملك حسين، مع مشاركته الرأي في أخطار الشيوعية، وأكدت الصحيفة هزيمة عبد الناصر العسكرية والسياسية، وانكشاف دوره الإجرامي في مدينة الموصل الشامخة[٧].

أما صحيفة اتحاد الشعب وموقفها المعهود والمتميز، في التنديد والعداء السافر تجاه الجمهورية العربية المتحدة، والرئيس عبد الناصر، فقد ساهمت ومنذ صدورها بشكل مكشوف مع حزبها الشيوعي، في العمل على تصدع العلاقات، وتصعيد الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، فقد وجدت اتحاد الشعب في قيام انتفاضة الموصل، ضالتها لنفث ما تبقى لديها من غلٍ وتهكم، على الفئات القومية وعلى قيادة الجمهورية العربية المتحدة المتمثلة بالرئيس عبد الناصر، فقد نشرت الصحيفة تحت عنوان (كان شعار الشواف وعصابته إبادة المواطنين الأبرياء بالجملة)، تعرضت الصحيفة في تنديدها بقادة الانتفاضة وبالرئيس عبد الناصر، واصفة إياه بالفرعون، وأشارت الصحيفة إلى القول، بأن أي تجاوز على الجمهورية من جانب الاستعمار أو أنصاره من دعاة القومية والوحدة، لا يعني إلا إدخال البلاد في أتون جهنمي لاهب، من الديكتاتورية والإرهاب والعبودية[٨]. وواصلت الصحيفة الحديث في مقالها المعنون (سنوقد الأرض لهيباً تحت أقدام المستعمرين والطامعين إن هم تجرؤا على مس جمهوريتنا بسوء)، حيث تطرقت الصحيفة إلى مقالي صحيفتي الديلي تلغراف والتايم الإنكليزيتين، ومقال النيوزويك الأمريكية قائلة بأن وضع العراق على حد زعم نقل صحيفة اتحاد

الشعب، يثير مخاوف الغرب ومصر، واستبعدت الصحيفة عزل مغامرة عبد الناصر - الشواف في الموصل، عن نشاط المستعمرين المسعورة ضد العراق، بواسطة حلف بغداد، كما جاء في مقالي الصحيفة بأن نشاط عبد الناصر التآمري، لم يخدم غير الاستعمار، وأن مساعيه التآمرية، وخطبه التحريضية ضد العراق، تسير متوافقة مع مساعي حلف بغداد[٩].

وفى عدد آخر نشرت الصحيفة مقالاً تحت عنوان (جمهوريتنا لتظفر بمساندة الاتحاد السوفيتي صديق العرب الوفي الجبار... وكل سياسة تتنكر لمصالح الشعب تنهار حتماً)، حيث أشارت فيه إلى الوضع، الراهن في الشرق الأوسط، مشيرة إلى أن سبب تأزم العلاقات بين القاهرة وبغداد، يعزى إلى سياسة عبد الناصر، زاعمة إنذار خروشوف لتلك السياسة، وتحذير الرئيس عبد الناصر من مغبة الانزلاق مع الاستعمار باسم الوحدة العربية، وأن السياسة التآمرية التي شرع عبد الناصر باتباعها تنهار حتماً في حال الإصرار عليها[١٠].

ونشرت الصحيفة مقالاً تحت عنوان (الاستعماريون وأعوانهم في العربية المتحدة يواصلون مساعيهم العدوانية ضد العراق)، وصفت فيه ما أسمته بالدور المشين الذي لعبة حكام العربية المتحدة، في دعم المؤامرة وتسليحها، وإعداد الطائرات لها وبث الدعاوي الواسعة لها، فور إعلانها، وأوضحت الصحيفة، أن وقائع الجلسات التي عقدتها محكمة الشعب قد أظهرت، أن عبد الناصر كان يستند إلى أيتام نوري السعيد، وحثالات الإقطاعيين، والخونة في تحقيق مطامعهم، ووسط بحر من دماء الشعب والجيش[١١].

أما صحيفة الحرية فقد أتسم موقفها بالتحفظ والصمت أحياناً تجاه انتفاضة الموصل، ولمْ تتطرق الصحيفة في مقالاتها وأعمدتها الثابتة، إلى فشل انتفاضة الموصل، سوى بمقال واحد اتصف بالهدوء

وعدم محاولة النيل من قادة الانتفاضة، مع ملاحظة موقف الصحيفة في عدم المساس بسياسة الجمهورية العربية المتحدة، أو التصدي للرئيس عبد الناصر، أثناء وقبل انتفاضة الشواف، وكان مقالها الوحيد تحت عمود (كلمة الحرية) وبعنوان (التفاف الشعب والجيش حول الزعيم)، أشادت فيه بالزعيم عبد الكريم قاسم، وبثورة ١٤ تموز، وأوضحت الصحيفة في أن الكشف عن المؤامرة الأخيرة وإحباطها، ستكون عبرة للمتآمرين الذين يجب أن يفهموا في رأي الصحيفة، أن الشعب والجيش قد انصهرا في بوتقة واحدة، وأنهما يقفان سدا منيعا للحيلولة دون تنفيذ المؤامرات، أو تحقيق أهداف المتآمرين[١٢].

وحري بنا أن نذكر أن هناك قضية مركزية أخرى كان لها دور كبير، في تحديد شكل العلاقة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وهي محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد بتاريخ ٧/تشرين الأول/١٩٥٩. إلا أن تلك العملية في رأي أحد أقطاب حزب البعث لتلك الفترة وهو المرحوم فؤاد الركابي في كون العملية لم تكن مغامرة فرد أو أفراد بل كانت جزءا من عملية ثورية كاملة... عملية ثورية لا اغتيال... وليست مغامرة فرد أو أفراد وبالفعل فقد بدأنا بتوزيع المهمات والمسؤوليات، فتولى أياد سعيد ثابت وخالد علي الصالح مهمة الاتصال بأعضاء الحزب الذين نتوقع ، استجابتهم واستعدادهم للعمل لانتقاء الصالحين للعملية... وقد علمنا أن كل عضو جرى الاتصال به، قد عبر عن استعداده للإسهام في العملية، وكان هناك إجماع بأن هذا الحل هو الحل الأوحد الذي لا حل غيره[١٣].

لقد شهدت المرحلة التي عقبت تلك الأحداث، تصاعد الحملات الإعلامية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وكان محور تلك الحملات من جانب الصحافة العراقية هو تناول تجربة الوحدة ذاتها، فقد أعلنت بعض الصحف العراقية أبان تلك الفترة، تأكيدها على

ضرورة إرساء الأسس الديمقراطية والعمل على ممارستها في إقامة الوحدة، حيث أبدت تلك الصحف من خلال مقالاتها وأعمدتها، مخاوفها من الوحدة بسبب افتقار التجربة، على حد زعم تلك الصحف إلى النهج الديمقراطي.

ونشرت صحيفة الأخبار مقالها الافتتاحي تحت عمود (كلمة اليوم) المعنون (ما معنى إصرار حكام المتحدة على التآمر ضد جمهوريتنا)، أشارت فيه إلى الممارسات الخاطئة التي تنتهجها العربية المتحدة في سياستها للتآمر على العراق، وأفصحت الصحيفة عن رأيها بأن الشعب العراقي لم يكد التخلص من قيد نوري السعيد، ليقع في ركاب نظام إمبراطور سحق الحريات الدستورية، التي كان يملكها المصريون في عهد الوفديين وإزالة معالم الديمقراطية(١٤).

إن الصراع الدعائي الذي عم العراق بعد ثورة ١٤ تموز، بين الشيوعيين والقوميين كانت له انعكاساته في الصحافة، وما تنشره وتعالجه من القضايا المطروحة، على الساحة الداخلية كنتيجة طبيعية لتطور الصراع وتفاعلاته(١٥).

لقد ذكرت صحيفة الاستقلال في مقالها المعنون (قومية عبد الناصر الإنسانية) بأن عبد الناصر يحاول بشتى الطرق، سواء بالمؤامرات أم بالاغتيالات، أم بسواهما من الطرق الإجرامية أن يفرض الوحدة على البلاد العربية، تحت زعامته باسم القومية العربية، وعندما يتحقق له ذلك فإنه لا يوحد البلاد العربية، بل يستعمرها ويحطمها، على زعم الصحيفة، ويذيبها في مصر ويجعلها خلفها(١٦).

أما صحيفة اتحاد الشعب فقد أفصحت عن رأيها في تلك الفترة بمقالها الذي كان تحت عنوان (سياسة التضامن العربي والمؤتمر الاقتصادي للفرق العربية)، حيث أشارت في مقالها الافتتاحي إلى أن عبد الناصر يطمح في سياسته إلى وحدة فورية، بغض النظر عن

مصالح الشعب العربي والظروف الخاصة، بكل قطر من أقطار هذا الشعب، وأردفت الصحيفة في مقالها، أن عبد الناصر يريد من خلال سياسته، فرض رغبته في الوحدة والتضامن بالقوة، بغض النظر عن إرادة الشعب العربي وظروفه الموضوعية(١٧). وشاطرت صحيفة البلاد قريناتها من بعض الصحف في السلوك، والاتجاه المعادى. لسياسة الجمهورية العربية المتحدة، من خلال تناول تجربة الوحدة، إذ وصفت الصحيفة وحدة مصر وسوريا، بأنها تمثل وحدة قوى الشر ضد قوى الخير، وأن الوحدة في رأي الصحيفة، تمثل قوى الشرذمة الرجعية، والإقطاع المقيت، مع أسياد الاستعمار في المنطقة(١٨).

وقد ورد في المقال الافتتاحي لصحيفة الرأي العام المعنون (غرضان أحدهما التآمر على جمهوريتنا)، ذكرت فيه بأن زيارة الرئيس عبد الناصر المفاجئة لدمشق، استهدفت معالجة ما يعانيه حكمه في الإقليم الشمالي، من اهتزاز، وأن خطر المعارضة الذي يواجه الحكم الناصري في سوريا، هو نفس خطر المعارضة على حد زعم الصحيفة، الذي يقف عقبة كأداء دون تنفيذ مؤامرات عبد الناصر ضد الجمهورية العراقية(١٩). وأوضحت الصحيفة في عدد آخر بمقالها تحت عنوان (أحبولة لن تنطلي)، وذكرت بأنه في الوقت الذي تسعى فيه قيادة الثورة في العراق، إلى تحقيق المهام اللازمة للحياة الديمقراطية، والحكم البرلماني السليم، فإن حكم العربية المتحدة، يزداد قلقهم على مصير حكمهم، فيسعون اليوم كما سعوا بالأمس إلى الإسراع بتدبير مؤامراتهم، لنسف الحكم الوطني القائم في العراق من جهة، ولإبعاد الخطر عن حكمهم في ذات الوقت- من جهة أخرى(٢٠).

لقد كانت الصحافة الشيوعية توجه نقداً قاسياً لموقف الصحف القومية من الأحداث السياسية، خاصة بعد اعتقال عبد السلام عارف، وقيام الصحف القومية بنشر أخبار حكام الجمهورية العربية

المتحدة بصورة محايدة وتحاشيها عن قصد ذكر كلمة المؤامرة ومتآمرين عند الإشارة إلى الشواف، وأنها 'أي الصحف القومية' نشرت محاكمة الطبقجلي بشكل يلفت النظر[٢١]. أما الصحف القومية فكانت تطالب السلطة بوقف 'صحافة الفوضويين'، باعتبارها مسؤولة عما انحدرت إليه حرية الصحافة، وكذلك كانت الصحافة القومية تنتقد تفسيرات الصحافة الشيوعية لحرية الصحافة، وذلك باختيارها مقولات لمفكري الشيوعية وقادتها، حول ضبط الصحافة وتقييدها ومنها الفئات البرجوازية من حق الحصول على الصحف واستخدامها[٢٢].

وفي ضوء ما تقدم فإن الشيوعيين اتخذوا من مبدأ التجزئة، منطلقاً للهجوم على سياسة الجمهورية العربية المتحدة، وقائدها الرئيس عبد الناصر، خاصة بعد انتفاضة الموصل في آذار ومحاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم في تشرين الأول من نفس عام ١٩٥٩، وتواصلت حملات الهجوم والتنديد من قبل الشيوعيين، بمساندة منبر محكمة المهداوي، واستخدموا كل وسائل الإعلام وفي مقدمتها الصحافة، للنيل من سياسة المتحدة الخارجية، وخاصة نهجها في اتباع سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز، في الوقت الذي شنوا فيه أشرس الحملات اللا إنسانية ضد الفئات 'القومية في مختلف أرجاء العراق، ولذا فإن الحزب الشيوعي العراقي وكما تصفه صحيفة الثورة، قد لعب أسوأ دور في تخريب وتردي العلاقة بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة، ومحاربة التيارات القومية العربية[٢٣].

المصادر والمراجع

(❖) تعد صحيفة الثورة من الصحف الأكثر ولاء لسياسة الزعيم عبد الكريم قاسم ويعتبر يونس الطائي رئيس تحريرها من أكثر المقربين للزعيم.

(١) صحيفة الثورة، العدد ١١٤، الصادر في ٩/آذار/١٩٥٩.

(٢) المصدر نفسه، العدد ١١٥، الصادر في ١٠/آذار/١٩٥٩.

(٣) المصدر نفسه، العدد ١١٦، الصادر في ١١/آذار/١٩٥٩.

(٤) المصدر نفسه، العدد ١١٧، الصادر في ١٢/آذار/١٩٥١.

(٥) للمزيد أنظر محمود الدرة: ثورة الموصل القومية، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، السنة ١٩٨٧، ص١٠٩.

(٦) صحيفة الثورة، العدد ١٢٤، الصادر في ٢٤/آذار/١٩٥٩.

(٧) المصدر نفسه، العدد ١٢٩، الصادر في ٢٨/آذار/١٩٥٩.

(٨) صحيفة اتحاد الشعب، العدد ٤٠، الصادر في ١٣/آذار/١٩٥٩.

(٩) المصدر نفسه، العدد ٤١، الصادر في ١٥/آذار/١٩٥٩.

(١٠) المصدر نفسه، العدد ٤٥، الصادر في ١٩/آذار/١٩٥٩.

(١١) المصدر نفسه، العدد ٥١، الصادر في ٢٧/آذار/١٩٥٩.

(١٢) صحيفة الحرية، العدد ١٤٢٨، الصادر في ١٥/آذار/١٩٥٩.

(١٣) فؤاد الركابي، الحل الأوحد، مطابع دار الكتاب العربي- مصر، محمد علي المنياوي، ص ص١٧-٣٠.

(١٤) صحيفة الأخبار، العدد ٥٢٤٣، الصادر في ١٨/تشرين الثاني/١٩٥٩.

(١٥) للإطلاع على المزيد من المعلومات الوافية حول موضوع الصراع الدعائي أنظر رعد جاسم حمزة الكعبي حرية الصحافة في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص١٨٢.

(١٦) صحيفة الاستقلال، العدد ٢٨٣، الصادر في ١/تشرين الثاني/١٩٥١.

(١٧) صحيفة اتحاد الشعب، العدد ٢٥٩، الصادر في ٢٤/تشرين الثاني/١٩٥٩.

(١٨) صحيفة البلاد، العدد ٥٧٤٢، الصادر في ٢١/شباط/١٩٦٠.

(١٩) صحيفة الرأي العام، العدد ٣٦٦، الصادر في ١٧/شباط/١٩٦٠.

(٢٠) المصدر نفسه، العدد ٣٧٤، الصادر في ٢٨/شباط/١٩٦٠.

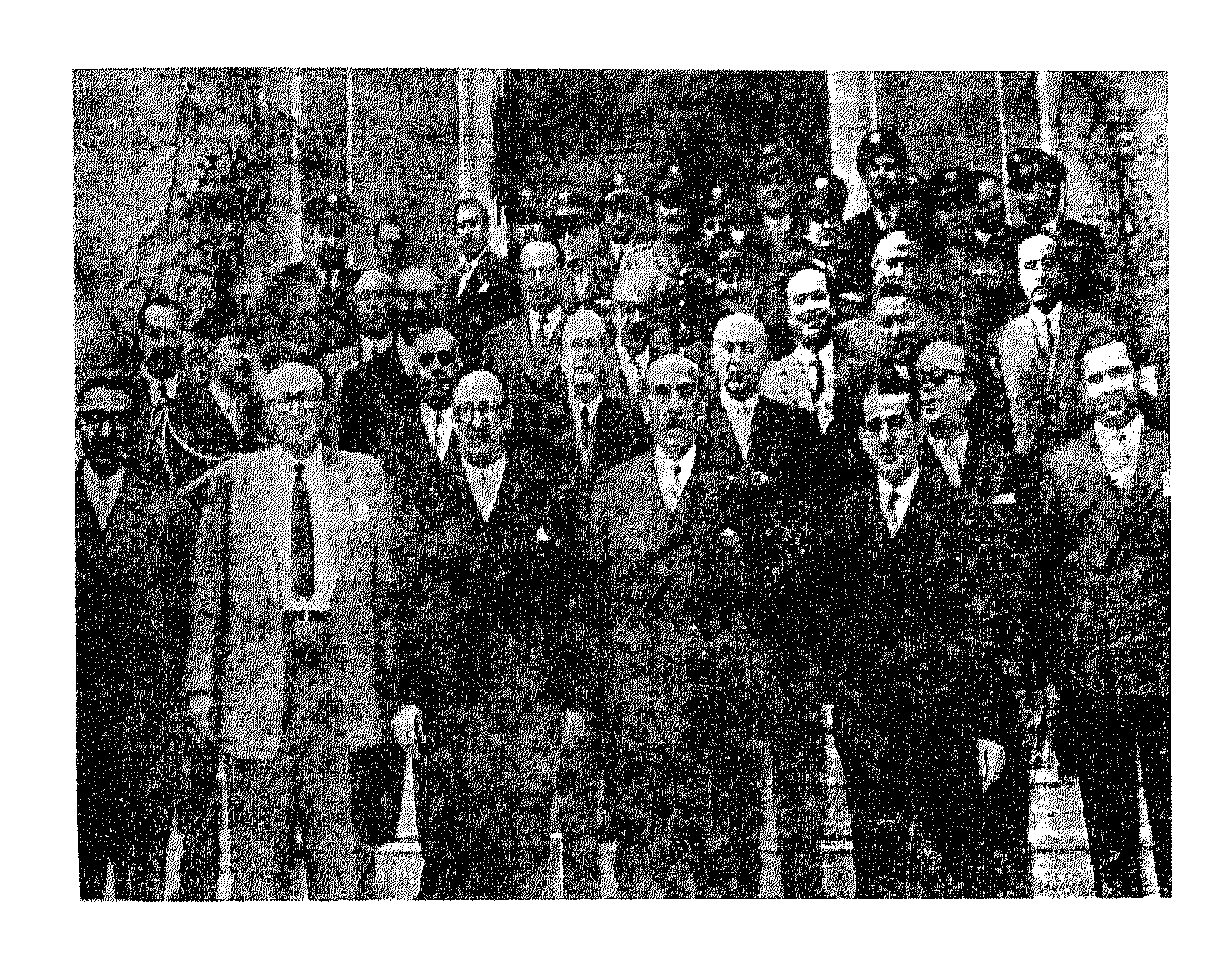
(٢١) رعد جاسم حمزة الكعبي، المصدر السابق، ص١٨٣، وللمزيد أنظر صحيفة اتحاد الشعب، في الأعداد ١٧١، ١٧٧، ٢٠٨ في ١٤/آب/١٩٥٩، ٢٢/آب/١٩٥٩، ٢٧/ أيلول/١٩٥٩، وكذلك صحيفة صوت الأحرار: العدد ٢٣٣، الصادر في ٣١/آب/١٩٥٩.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٨٢، وللمزيد أنظر صحيفة الحرية في الإعداد: ١٤٨٣، ١٦٤٨، ١٦٥٤، في ٥/تشرين الأول/١٩٥٩. ١٤/آب/١٩٦٠، ٢١/آب/١٩٦٠، وكذلك صحيفة الفجر الجديد في العدد ٤٩٠، الصادر في ٧/أيلول/١٩٦١.

(٢٣) صحيفة الثورة، العدد ٥٧٦، الصادر في ١/آذار/١٩٦١.

الفصل الرابع

الانفصال



قبل قيام الوحدة بين سوريا ومصر، كبار زعماء سوريا السياسيين على درج قصر الضيافة

أولاً: أسباب الانفصال:

أثبتت الأحداث التي انتابت الشعب العربي في أقطاره المختلفة، أن انتهاج الأسلوب الديمقراطي بما يشترطه من قيام الأحزاب، وضمان حرية الصحافة لممارسة رسالتها الوطنية والقومية، وتكوين مجالس تشريعية وبلدية منتخبة بحرية ونزاهة، هو الضمان الوحيد لعدم تعرض البلدان التي تنتهج هذا الأسلوب، لأخطار الهزات والرجات والانقلابات، وخير مصداق لما ذهبنا إليه وقوع الانفصال يوم ٢٨/أيلول/١٩٦١، وتعرض الشعب العربي في سوريا ومصر بشكل خاص، والعالم بشكل عام، إلى تلك الكارثة، وهو في قوة مجده وذروة عزته.

وقبل البدء في خوض موضوع الانفصال لابد لنا من القول بأن من الخطورة بمكان النظر إلى تجربة الوحدة السورية المصرية، من خلال انفصال أيلول، دون البحث عن عوامل انهيار تلك التجربة، بروح موضوعية وواقعية بحيث لا تؤثر فيها الأهواء والمصالح الضيقة.

ويمكننا القول بأن الوحدة كان يمكن أن تأتي تحقيقاً لإرادة الشعب العربي في سوريا ومصر لو كان الهدف إرساء دعائم وحدة - ديمقراطية، لتجد مجالها وفق التطور السياسي الاجتماعي للمجتمعين السوري والمصري، اللذين أزاحا عن كاهليهما السيادة الأجنبية، الأحتكارية المتمثلة بالاستعمار في شتى صوره... وخصوصاً ما أملته الضرورة وقتذاك قبل عام ١٩٥٨، عندما كانت سوريا المتحررة تتعرض لمؤامرة حلف السنتو آنذاك، ومؤامرات الرجعية العربية وفي مقدمتها مؤامرة حكام العراق قبل قيام ثورة ١٤ تموز المجيدة.

إن إعلان الوحدة في الأول من شباط عام ١٩٥٨، أصبح في التأريخ العربي يوماً مشهوداً، وفي نفس الوقت كان ذلك اليوم إيذاناً ببداية مؤامرات القوى الأجنبية وبعض الأنظمة العربية، ولذا فإن الشعب العربي وقواه السياسية المخلصة، ارتفع فكراً ونضالاً بعد

جريمة الانفصال، وأصبح يؤمن إيماناً قاطعاً بدوره الأساسي في صنع وحدته وأمانيه القومية، ومن هنا كان إرساء دعائم الديمقراطية ضرورة ملحة وملزمة للوحدة كأهمية وكهدف قومي مقدس.

لقد استطاعت الدوائر المعادية للوحدة المصرية السورية أن تتسلل من خلال الأخطاء التي وقعت فيها تجربة الوحدة، ومن أهم هذه الأخطاء غياب الأداة الضرورية لحماية الوحدة، التي كان عليها مهمة قيادة كفاح الجماهير وتأطير حركة نضالها اليومي، كما أن غياب الرقيب الشعبي على مؤسسات دولة الوحدة سهل نمو النزعات الفردية، والتسلط الفردي، ونشط عمل القوى المعادية للوحدة، وخاصة القوى الانتهازية والمصلحية في الساحة، وأبعدت العناصر والقوى الثورية، وبالتالي سنحت الفرصة لقوى الردة أن تفعل فعلها كما تشاء، وبذلك جاء الانفصال في ٢٨/أيلول/١٩٦١ بقيادة بعض العناصر التي كانت متربعة في المراكز الأولى لمؤسسات الوحدة الرسمية والشعبية، والتي كانت بالأساس غير مؤمنة بالوحدة والنضال الوحدوي والاشتراكي[١]. أن غياب الديمقراطية واستبدالها بصيغة الحكم التسلطي وأداته القسرية وحل الأحزاب الوطنية في مصر وسوريا والاستبدال الوهمي لها تنظيم 'الاتحاد القومي' مما أدى لضياع أعظم تجربة قومية في تاريخ العرب المعاصر، المتمثلة بتجربة الوحدة بين مصر وسوريا[٢].

ويود الباحث هنا أن يشير إلى حقيقة ثابتة رغم مرارتها والتي بقيت غصة في النفوس وهي مسألة المسار الوحدوي في تعامله مع الديمقراطية كنهج ثوري بناء يحمى الوليد الجديد وهي الوحدة...؟

ففي الخمسينات كان وطننا العربي يشهد مداً وحدوياً وكفاحاً بطولياً في جانب، أما من جانب آخر فقد أصيبت الحركة الثورية التقدمية بتطويقات خطيرة وانقسامات حادة دفعت الحركة ثمنها بالتراجعات. وأن

الوحدة التي كانت هدفاً أساساً من أهداف الشعب العربي أصيبت بعملية تشويه خطيرة في تجربة وحدة عام ١٩٥٨ بأسلوب وبشكل هدف إلى إبعاد الجماهير وطلائعها الثورية عن الأيمان بأسمى أهدافها حيوية وتقدماً على طريق النضال... ولذا فقد حصل الانتكاس السريع وتمكنت قوى الارتداد من اغتيال النواة الوحدوية الأولى وبهذا الصدد يرى الباحث انطلاقاً من الدقة والموضوعية بأن الأمر كان واضحاً منذ الأيام الأولى لإعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة، لأن الديمقراطية وهي الضمانة الأساسية لحماية الوحدة وتعميق مسار دولتها، كانت غائبة أو ذات سمة ضبابية أو شاحبة إلى حد كبير، في دولة الوحدة. فمصر الناصرية والتي منها انطلقت ثورة ٢٣ تموز عام ١٩٥٢ لتشع بوهجها القومي العربي سماء كل أرض عربية وأن قيادة تلك الثورة ذات السمة التحررية الوطنية والقومية تميزت بعداء سلطتها للمنظمات النقابية، وعدائها المفرط للحزبية. وقد أرادت خلال قيام الوحدة سحب تجربتها،

في مضمار العمل الجماهيري والحزبي والنقابي بكافة مردوداتها السلبية على الوضع في دولة المتحدة الوليدة، بدل أن تسحب تجربة سوريا الغنية في هذا الميدان على الوضع في مصر. وضمن هذه الأطر والمفاهيم ولدت النواة الوحدوية الأولى، ومنذ البداية أخذ طابعها الشعبي يبهت ويضمحل بصورة خطيرة، مما أدى ذلك إلى انعدام التنظيمات الشعبية وحل الأحزاب وبدء عهد الاتحاد القومي، فعادت جميع العناصر المعادية للأهداف الوحدوية إلى قواعدها الأصلية لتتخندق وتضع تصميم الانفصال والردة بحجة حماية الوحدويين الذين صنعوا الوحدة وضحوا من أجلها، وعندما ازدادت الأخطاء والانحرافات، وعزل الحكم عن الشعب تهيأت الأجواء لوأد الوحدة بعد فترة من ولادتها. وهنا نود أن نعيد إلى الأذهان القرار الخاص الخطير بحل الأحزاب والذي مثل نهجاً خاطئاً وسلبياً في

التعامل مع الأحزاب في ممارسة حريتها وديمقراطيتها للحفاظ على الوحدة (باسم الأمة 'رئيس الجمهورية' بعد الاطلاع على الدستور) المؤقت قرر القانون الآتي:

المادة الأولى: تحل الأحزاب والهيئات السياسية القائمة حالاً في الإقليم السوري ويحضر تكون أحزاب أو هيئات سياسية جديدة.

المادة الثانية: يحضر على أعضاء الأحزاب والهيئات السياسية المنظمة والمنتمين إليها القيام بأي نشاط حزبي على أية صورة كانت كما يحضر تقديم أي مساعدة لهؤلاء الأشخاص في سبيل قيامهم بالنشاط الحزبي.

المادة الثالثة: تؤول أموال الأحزاب والهيئات السياسية المنحلة إلى الاتحاد القومي.

المادة الرابعة: يعين بقرار من وزير الخزانة للإقليم السوري مندوب على أن تكون مهمته تسلم أموال الأحزاب والهيئات السياسية المنحلة وتصفية ما يتطلب تصفيته منها.

المادة الخامسة: على كل من يكون لديه مال لأحد الأحزاب والهيئات السياسية المنحلة أن يقدم إقراراً للمندوب

المنصوص عليه في المادة السابقة خلال أسبوع وعليه أن يسلمها إليه في الميعاد والذي يعينه ويجوز للمندوب إلغاء العقود المبرمة مع الحزب أو الهيئة السياسية المنحلة دون أن يترتب على هذا الإلغاء أي حق بالتعويض[٣].

ولقد ساعد تأخر المضمون الاشتراكي في إطار العمل الوحدوي، وتحرك التحالفات المعادية للوحدة، و التي ضمت قو ى كثيرة تمتد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، إضافة إلى القوى الاستعمارية والصهيونية، وأدى هذا اللقاء إلى توسيع الفجوة بين الحكم الوحدوي وبين الجماهير، وإلى إثارة النعرات الإقليمية عن طريق تصوير الوحدة على إنها سيطرة إقليم على آخر، أو طبقة برجوازية في ذلك الإقليم

على الطبقة البرجوازية في الإقليم الآخر، وانتشرت الشائعات الكاذبة والمغرضة كجزء من الحرب النفسية التي شنت على الوحدة، والتي هدفت إلى نشر القلق والتذمر في صفوف الجماهير، واستغلت الرجعية والاستعمار والقوى المعادية للوحدة هذه الأوضاع، فتعاونت مع الانتهازية في تحقيق الانفصال. والقضاء على الوحدة[٤].

وكان السبب الآخر والمباشر الانفصال سوريا عن مصر، تفريغ الجيش السوري من الضباط الذين كانت لهم ميول أو ارتباطات سياسية، سواء من البعثيين أو الشيوعيين أو أصحاب الميول الأخرى، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال بينها وبين الأحزاب السياسية التي لعبت دوراً وطنياً في حياة الشعب السوري، وقد اعترف الرئيس عبد الناصر بهذا الخطأ أثناء محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ عندما قال (إن حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة وما كانش صح) على حد تعبيره[٥].

ويشير محمد حسنين هيكل إلى جملة نقاط الضعف في تجربة الوحدة المصرية السورية التي قادت بالنتيجة إلى الانفصال ومن بين أهم النقاط نجد ما يلي:

١- لقد كانت الظروف نفسها غير مهيأة لتجربة الوحدة إذ لم تكن هناك قواعد اقتصادية واجتماعية يمكن أن تقوم عليها التجربة.

٢- كان هناك اختلاف واضح في مرحلة التطور الاجتماعي في كل من مصر وسوريا في ذلك الوقت.

٣- لم تكن القاهرة عاصمة الجمهورية التي جمعت مصر وسوريا، تعرف عن حقائق الأمور في سوريا ما يكفل لها حكماً حاسماً على الموقف.

٤- كان الفاصل الجغرافي بين الإقليمين عقبة حقيقية، فطريق البر تسيطر عليه 'إسرائيل' وطريق الجو- مهما كان- محدوداً والبحر هو الصلة الوحيدة.

٥- كان هناك عامل 'ليضاف إلى نقاط الضعف في تجربة الوحدة، وهو إن سكان مصر بلغ ٢٩ مليوناً من البشر في حين كان سكان- سوريا ٤ ملايين فقط.

٦- لقد كان هناك رئيس واحد، وعلم واحد، ونشيد واحد، لدولة الوحدة، وفيما عدا ذلك كل شيء مختلف بين الإقليمين[٦].

وبعد مرور ثمانية وعشرين عاماً، يعود هيكل ليفصح عن رأيه من جديد، بأسباب الانفصال ويعدد أخطاء عبد الناصر التي أسهمت فيه ومنها:

١- أنه اعتمد على مسلمات قديمة، ولم تتم مراجعتها ما بين وقت وآخر، للتأكد من صحتها وصدقها.

٢- أنه قبل الوحدة في ظل تناقضات كانت تهدد استقلال سوريا، وهي نفس التناقضات التي هددت الوحدة بعد قيامها.

٣- الأسلوب الذي اتبعه عبد الناصر وفق مدرسة 'ايدل هارت'[*] أي الافتراق والتقدم وتطويق الجيوب في المؤخرة، فقد تقدم بسرعة وترك جيوباً كبيرة لما بعد، وراح يواصل تقدمه وهي في مؤخرة خطوطه، تؤدي دورها وتؤثر بالتأكيد على حركته.

٤- الاعتماد في القطرين على أجهزة لم يكن بالإمكان تسييرها بالشكل الذي تحقق له طموحاته، وإناطة بعض المسؤولية لضباط دون المستوى المطلوب كما هو الحال بالمجموعة التي كانت تحيط المشير عبد الحكيم عامر.

٥- وقوع عبد الناصر في محظور وقع فيه العديد من الثوريين قبله، وذلك باعتمادهم على الجماهير بطريقة تكاد تكون غيبية، متناسيين أن الجماهير مهما كانت حماستها لا تستطيع أن تفعل شيئاً أمام قوة السلاح.

٦- أن عبد الناصر أحب سوريا على وجه اليقين، لكنه لم يستطيع النفاذ إلى قلب تركيبتها الخاصة، ومن ثم فإنه وإن وصل إلى عواطفها، فإنه لم يتمكن من التخاطب مع عقلها، وربما قاس في دمشق بمعيار ما كان يعرفه في القاهرة[٧].

أما أكرم الحوراني فيرى أن انهيار بناء الوحدة بتلك السرعة يعود إلى:

١- اختلاف الشعب في سوريا، بقياداته وأحزابه وتكتلاته السياسية، في نظرته للمضمون الاجتماعي والاقتصادي للوحدة.

٢- عدم امتلاك الأحزاب في سوريا ومنها حزب البعث، للرؤية الواضحة المحددة للنظام الصالح الذي يجب أن تقوم عليه الوحدة.

٣- اختلاف ظروف البلدين بعض الشيء، بسبب العوامل الجغرافية والتاريخية.

٤- حل الأحزاب في القطر السوري.

٥- طغيان شخصية عبد الناصر على الوحدة[٨].

ويفند حسنين كروم أسباب الانفصال، بعدم ترحيب النظام مطلقاً بالعناصر التي تنتقده حتى ولو كان واثقاً من إخلاصها وإيمانها بسياسته، وأدى ذلك إلى ضعف النظام رغم قوة زعيمه وبمجرد وصول عدد من الدبابات إلى الإذاعة ومقر الأركان واحتلالها، وقفت الجماهير عاجزة لا تعرف كيف تتصدى للانفصاليين، ولم تجد من يقودها، وإنما وجدت 'الاتحاد القومي' يؤيد الانفصال[٩].

وبصدد ذكر الاتحاد القومي باعتباره يشكل سبباً مهماً من أسباب الانفصال، ينكر عصمت سيف الدولة وهو أحد الكتاب الوحدويين، بأن عبد الناصر ارتضى هذا التشكيل التنظيمي للاتحاد القومي بعد أن منحت عضويته للانتهازيين والرجعيين، ويؤيد ذلك ما ورد في خطاب عبد الناصر في يوم ١٤ فبراير ١٩٥٨ في بني سويف

حيث قال 'هذا هو الاتحاد القومي... اتحاد يجمع بين أبناء الوطن العربي الواحد. لا انحراف إلى اليمين ولا انحراف إلى اليسار، ونستطيع بالاتحاد أن نحقق الآمال الكبار وأن ننتصر بعون الله... . وفي خطاب آخر في الإسكندرية يوم ٢٦/تموز/١٩٥٩ يقول 'ونبني تحت راية هذا الاتحاد وطننا وعزتنا ومجدنا'(١٠).

ويبدو أن الرئيس عبد الناصر كان متفائلاً جداً بقدر ما كان مقتنعاً بهذا التنظيم، بحيث قبلت الأحزاب والفئات القومية المخلصة بنصيبها دون قناعة عندما وافقت على حل نفسها نزولاً عند رغبة الرئيس الذي آمنت به، فكان ثمن هذه الوقفة الحصول على أرضية هشة يقف عليها تنظيمٌ مهلهلٌ أغلب عناصره من الوصوليين وانتهازيين، ليمثلوا إرادة الجماهير العربية في إرساء دعائم الوحدة والمحافظة على ديمومتها ولتكن تلك الوحدة نموذجاً حياً ورائعاً بواسطة ذلك التنظيم بهدف بسط نفوذها على بقية أجزاء الوطن العربي، وتحقيق الوحدة الشاملة إلا أنه سرعان ما اتضح خيبة الأمل في ذلك التنظيم، بعد رصد ممارساته من قبل الأحزاب والقوى الوطنية، وبدلاً من المكاشفة والمصارحة في أسباب إخفاق تلك التجربة التنظيمية، فقد اتسعت الهوة بين عبد الناصر وتلك القوى، وتحولت إلى صراع كان ضحيتها أماني وآمال الشعب العربي ووقوع الانفصال.

ويعترف الرئيس عبد الناصر بخطابه بتاريخ ١٦/تشرين الأول/أكتوبر/١٩٦١ بخطأ الثورة وبخطئه وبمسؤوليته عند ذلك فيقول 'لقد وقعنا في خطأ كبير لا يقل أثراً عن الوهم الخطير الذي نسينا أنفسنا فيه. هذا الخطأ هو عدم كفاية التنظيم الشعبي... لقد كانت وسيلتنا إلى التنظيم الشعبي هي تكوين الاتحاد القومي، ليكون إطاراً من حول صراع الطبقات... وكان خطأنا أننا فتحنا لها الطريق إلى الاتحاد القومي، فتمكنت من شل فاعلياته الثورية، وحولته إلى مجرد

واجهة تنظيمية لا تحركها قوى الجماهير ومطالبها الحقيقية[١١].

ويتحدث علوي حافظ عن أسباب الانفصال في كتابه (مهمتي السرية بين عبد الناصر وأمريكا) حيث يذكر في الفصل الذي عنوانه (المشير والبطانه)، قائلاً (كنت أحب المشير عبد الحكيم عامر ولكني كنت غاضباً من تصرفاته أثناء الوحدة مع سوريا. فقد كان يثق في أناس أسند إليهم مسؤوليات جسام ولكنهم لم يكونوا أهلاً للثقة، وهم الذين بدأوا تصرفات عديدة وخرقاء بإقامة حائط من الحقد والضغينة بين الضباط المصريين والسوريين)[١٢].

أما عبد اللطيف البغدادي فيرى أن هناك أخطاءً تسبب عنها تدهور في قوة الوحدة، ومنها تصرفات السراج في سوريا، والطرق البوليسية التي كان يتبعها، وتذمر الشعب السوري منها حتى أطلق عليه اسم 'السلطان عبد الحميد'، وكذلك طريقة إدارة دفة الجيش وتمشية أموره، من قبل عبد الحكيم عامر الذي ترك الأمور لمساعديه، حيث أدى تصرف البعض منهم في سوريا إلى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين، ويستطرد البغدادي في مذكراته منوهاً بالأخطاء التي ساهمت في الانفصال، ومنها افتقار الحكم إلى تنظيم شعبي، اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومي وهو نفسه تنظيم فاشل، ويضيف البغدادي بأن الصحافة كان لها أساس فيما حدث، فقد اقتصرت في رأي البغدادي أن أصبح الشعب في واد والحاكم في واد، وكان كل ما يجرى لا يمثل الواقع الأليم، إنما كان يمثل نفاقاً للحاكم وخداعاً للشعب ذاته[١٣].

لقد أدت بعض إجراءات عبد الناصر في سوريا إلى نفور كثير من القوى السياسية من قضية الوحدة[*] ومن تلك الإجراءات نذكر بالتحديد حل الأحزاب السورية، ودمجها في تنظيم فضفاض باسم 'الاتحاد القومي'، والإصلاح الزراعي والتأميم مما أضر بمصالح البرجوازية السورية، كما أن

ممارسات عبد الحكيم عامر ومجموعته العسكرية في سوريا أدت إلى شعور كثير من الضباط السوريين بالغربة، وازدادت الأمور سوءاً حينما عين عبد الناصر عبد الحميد السراج أقوى رجاله في سوريا، نائباً له في القاهرة، وبذلك فقد عبد الناصر آخر قوة سياسية مؤيدة له في سوريا، ومن هنا أصبح المناخ العام في سوريا مهيأً لحدوث انقلاب عسكري، وسرعان ما استغل النظامان السعودي والأردني الفرصة بدفع ٣٧ ضابطاً من ضباط الجيش الأول السوري، إلى القيام بانقلاب عسكري في ٢٨ أيلول ١٩٦١ هدفه فك عرى الوحدة المصرية –السورية(١٤)، وبصدد ذكر الضباط

يشير الحوراني في مذكراته 'لقد كانت كل البوادر تدل على أن عبد الناصر والمشير عامر، لديهما مخطط لإبعاد الضباط الموالين للبعث في الجيش منذ اليوم الأول لتشكيل أول حكومة بعد قيام الوحدة... ولم يكن يخطر على بال أحد من هؤلاء الضباط آنذاك أن يكافئهم عبد الناصر بإقصائهم عن الجيش، واضطهادهم بدلاً من الثقة بهم والاعتماد عليهم(١٥).

قد نبدوا مبالغين وبعيدين عن الواقع، عندما نقول أن الوحدة المصرية السورية قد بدأت في الانهيار بمجرد إعلانها، وانطلاقاً من هذا المنطق فإن الأمانة التاريخية تقتضي الإشادة والإشارة إلى أن الوحدة المصرية هي أول وحدة عربية تمت بإرادة جماهيرية، بالرغم من فشلها بعد ثلاث سنوات، وأن اتفاق الحكومتين المصرية والسورية في أول شباط عام ١٩٥٨ على الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ شباط قد شكلا حدثاً تاريخياً مهماً في إطار التجارب الوحدوية العربية على الرغم من إخفاق التجربة، إذ لا يمكن إنكار التجاوزات والأخطاء والتعثر في دولة الوحدة، على أن كل ذلك لا يعني إلا حقيقة ثابتة وهي أن انقلاب أيلول عام ١٩٦١ كان ثمرة تآمر استعماري رجعي انتهازي، أدى إلى حلول أفجع المحن القومية وهي فجيعة وجريمة الانفصال.

المصادر والمراجع

(١) أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو، ص ص٥٧-٥٩.

(٢) عزيز السيد جاسم: سقوط مدرسة هيكل وأزمة العقل السياسي المصري، مكتبة النهضة - بغداد لسنة ١٩٨٧، ص٢١.

(٣) د. ك. و: البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية، دمشق، رقم الملفة ٦٦٦، (و) ٤.

(٤) خيري حماد: حتمية الوحدة في المفهوم الاشتراكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، السنة ١٩٦٧، ص ص٣٧-٣٨.

(٥) أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو: طريق عبد الناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، السنة ١٩٨٧، ص٥٦.

(٦) محمد حسنين هيكل: ما الذي جرى في سوريا: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٢، ص ص٦٢-٦٧.

(❖) إيدل هارت باسيل هنري (١٨٩٥ -١٩٧٠): مؤلف واستراتيجي إنكليزي، أشترك في الحرب العالمية الأولى ثم ترك الجيش وعمل مراسلاً عسكرياً لصحيفتي الديلي تلغراف والتايمس اللندنيتين، وهو من أوائل الذين اهتموا بالحرب الميكانيكية، وقد ألف عدة كتب، نالت شهرة فائقة وللمزيد أنظر: (الموسوعة العربية الميسرة) بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب القاهرة، ص١٥٩٣.

(٧) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان: مصدر سابق، ص ص٥٥٥-٥٥٦.

(٨) مذكرات أكرم الحوراني: العرب اليوم: صحيفة تصدر في عمان، الصادرة في ١١/آب/١٩٩٧.

(٩) حسنين كروم: عبد الناصر المفترى عليه، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، السنة ١٩٨٣ ، ص ص١٥-١٨.

(١٠) عصمت سيف الدولة: هل كان عبد الناصر دكتاتوراً دار السيرة، بيروت، ط١، السنة ١٩٧٧، ص٢٢١.

(١١) المصدر نفسه: ص٢٣١.

(١٢) علوي حافظ: مهمتي السرية بين عبد الناصر وأمريكا: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ص ص٧٣-٧٦.

(١٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادي: المكتب المصري الحديث، القاهرة، الجزء الثاني، السنة ١٩٧٧، ص ص١٢٠-١٢٢.

(✥) الوزارات والمؤسسات التابعة لنواب الرئيس في دولة الوحدة كانت على الشكل الآتي:

- عبد اللطيف البغدادي: وزير الدولة للتخطيط.
- عبد الحكيم عامر: رئيس أركان حرب القوات المسلحة، قائد القوات الجوية، قائد القوات البحرية، قائد الجيش الثاني، نائب وزير الحربية لشؤون المصانع (قبل أن يكون نائب الرئيس في الإقليم الشمالي).
- نور الدين كحالة: وزارة الإدارة المحلية، وزارة الصحة، وزارة التموين، وزارة العمل، وزارة الإسكان والمرافق، وزارة الثقافة والإرشاد، وزارة الشؤون الاجتماعية، وزارة التربية والتعليم العالي، وزارة الأوقاف.
- زكريا محي الدين: المؤسسات الاقتصادية وهي مؤسسة مصر، ومؤسسة مصر العامة للنقل البحري، ومؤسسة مصر العامة للنقل البري، مؤسسة الثروة المائية.
- حسين الشافعي: المؤسسات العامة للتأمينات التعاونية الاستهلاكية العامة للإسكان/للأدوية.
- عبد الحميد السراج: وزير الداخلية/النيابة/الرقابة الإدارية.

(١٤) محمد السيد سليم: التحليل السياسي الناصري. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، السنة ١٩٨٣، ص ص٣٣٠-٣٣١.

(١٥) مذكرات أكرم الحوراني: العرب اليوم: صحيفة تصدر في عمان، الصادرة في ١٨/آب/١٩٩٧.

ثانياً: أحداث الانفصال:

في الساعة الخامسة إلا ربعاً بعد منتصف ليلة ٢٧ - ٢٨ أيلول ١٩٦١ سمع إطلاق نار في المنطقة التي تقع فيها بناية القيادة العامة للجيش الأول، وكان تبادل إطلاقات مدافع الدبابات والسيارات المصفحة والرشاشات، كفيلاً بإيقاظ الشارع السوري، وبعد مرور عشرين دقيقة أسكتت نيران المدافعين عن مقر القيادة، وانتقل إطلاق النيران إلى المنطقة التي يسكنها المشير عامر، وبعد عشر دقائق أسكتت فوهات البنادق المدافعة عن دار المشير عبد الحكيم عامر وأخذ الانقلابيون المشير عامر معهم إلى مقر قيادة الجيش الأول[١].

ويشير التقرير الذي أرسله القنصل العام للجمهورية العراقية في دمشق إلى وزارة الخارجية في بغداد بتاريخ ٥/تشرين الأول/١٩٦١، إلى أنه نقل بتاريخ ١٩/ آب/١٩٦١ أي قبل وقوع الانقلاب بشهر ونصف، ما قاله قنصل الولايات المتحدة الأمريكية عن وجود تمرد في الجيش السوري وما نقله إليه قنصل الأرجنتين العام في دمشق، وهو صديق للقنصل الأمريكي المستر نايت وكذلك ما تم من تحاور مع القنصل العام السوفييتي، وفي يوم ٢٦/ أيلول/١٩٦١ أي قبل وقوع الانقلاب بيومين وما أكده خلال الاجتماع، من أن الجيش يكره السراج كرهاً بالغاً. ومن هنا نستطيع أن نفهم أن الدبلوماسيين الأمريكان والسوفيت والأرجنتينيين والعراقيين كان لديهم علم مسبق بوجود استياء عام في صفوف الجيش قد يؤدي في أي لحظة إلى الانقلاب[٢].

أما عن الوحدات العسكرية التي شاركت بالانقلاب فهما وحدتان عسكريتان، وحدة تحركت من قطنا وهي وحدات آلية صرفة، ووحدة أخرى تحركت من القابون وهي وحدات الهجانه

بقيادة العقيد حيدر الكزبري، أما الوحدة الآلية الأولى فكانت بقيادة العميد عبد الغني دهمان، الذي لم يكن هو الآمر لحماية قطنا، وإنما كان آمرها العقيد جاسم علوان من دير الزور، الذي تمكن كل من العميد عبد الغني دهمان والمقدم عبد الكريم النحلاوي والمقدم منيب هنيدي من إبعاده عن مقر الحامية في تلك الليلة، ونجحوا في نصف ساعة من السيطرة على دمشق[٣] ولم يستطيعوا السيطرة على محطة إذاعة دمشق مبكرا الأمر الذي أدى إلى تأخر إذاعة البيانات العسكرية من الإذاعة حيث بدأت محطة دمشق بثها في يوم الانقلاب الساعة السابعة والنصف، على الرغم من أن بثها المعتاد هو الساعة السادسة صباحا[٤].

لقد أوضح البلاغ رقم (٢) أن الجيش قام بانتفاضته ردا للكرامة، ولا علاقة لها بالأشخاص ولإزالة العناد ورد الحقوق والتحرر من المستغلين. أما البلاغ رقم (٣) فأوضح أن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة تعلن للشعب السوري خاصة وللعرب عامة، أنها قامت بحركتها لسحق المنحرفين، وأن أولئك الذين سلمهم الشعب مقدراته قد خانوا الأمانة، وأخرجوا الضباط الشباب، وأن الجيش قام بالحركة لرد الكرامة والوحدة، على أسس من الكفاءة وتحسين العلاقات مع الدول الشقيقة خاصة والدول الأجنبية عامة، وجاء في البلاغ رقم (٤) أن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة، تسيطر على الموقف وهي واثقة كل الثقة من أن وعي الشعب سيحافظ على إخوانه المصريين وسيعاملهم بكرم ووفاء. وأن القيادة الثورية ستضرب بيد من حديد على من يعتدي على المصريين و الأجانب، وواصل البلاغ رقم (٤) إعلان القيادة غلق المطارات والموانئ السورية إلى إشعار آخر، وكلفت وحدات الحراسة بالتنفيذ[٥].

وقد تابعت السفارة العراقية في دمشق تطورات الموقف في سوريا، وكانت على اتصال دائم مع الخارجية في بغداد من خلال البرقيات، إذ تشير وثائق وزارة الخارجية[٦] إلى أن السفارة قد أبرقت حال إعلان تشكيلة الوزارة السورية الأولى إلى الخارجية العراقية وأشعرتها أن الوزارة قد تشكلت على النحو التالي:

١- مأمون الكزبري رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية والدفاع.

٢- ريمون زكريا وزيراً للمالية.

٣- د. فرحان الجندي وزيراً للصحة والإسعاف العام.

٤- د. عدنان القوتلي وزيراً للداخلية.

٥- عزت النص وزيراً للتربية والتعليم والإرشاد.

٦- أحمد سلطان وزيراً للعدلية والأوقاف.

٧- عبد الرحيم حورية وزيراً للأشغال و المواصلات.

٨- نعمان الأزهري وزيراً للتخطيط والشؤون البلدية.

٩- فؤاد العادلي وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل.

وفي صبيحة يوم الانفصال انتقل الرئيس جمال عبد الناصر إلى دار الإذاعة ليلقي بياناً جاء فيه (أن قوات صغيرة من الجيش استولت على الإذاعة، وأخذت تذيع بلاغاتها... أن هذا العمل يؤثر على وحدتنا الوطنية... أني غير قادر وليس من سلطتي بأي حال من الأحوال أن أعلن... أن الجمهورية العربية المتحدة قد انحلت)[٧].

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر ثاني يوم الانفصال كلمة جاء فيها (أن الوحدة إرادة شعبية، ولن أحولها من جانبي إلى عملية عسكرية) معلناً رفضه لفكرة ضرب الحركة الانفصالية بقوة السلاح[٨].

والملاحظ أن قادة الانفصال كانوا من ضباط الصف الثاني، أمثال المقدم عبد الكريم النحلاوي الذي شغل مركز سكرتير شخصي للمشير عبد الحكيم عامر ونائب رئيس الجمهورية للإقليم الشمالي[٩].

فقد أشار النحلاوي على قائده، بضرورة إجراء تبديلات في الجيش الأول بدمشق وإحالة عدد من الضباط على التقاعد، فوقع المشير عبد الحكيم عامر الأمر الذي استغله النحلاوي في إقناع الضباط الذين وردت أسماؤهم في الأمر، بالاشتراك في المؤامرة الانفصالية[١٠].

وهنا لابد من الإشارة إلى حالة الرئيس عبد الناصر في هذه الفترة حيث (تألم أشد الألم من الانفصال، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكلف لها أن تبث في حياته)[١١]. وصدم صدمة نفسية عنيفة، حينما علم بحدوث الانقلاب وقد بلغ من عمق الصدمة أن مصوره الخاص، يؤكد أنه شاهد الدموع في عيني عبد الناصر في ذلك اليوم[١٢] وانتبه لذلك سكرتيره الخاص فقال عنه 'في مساء يوم الانقلاب بدأت إذاعة حلب تغير اتجاهها الوحدوي، وتهاجم عبد الناصر بأقذع الشتائم، ولكن شيء آخر أفزعني أكثر، فمن الخارج سمعت صوت عبد الناصر يسعل سعالاً متواصلاً ومخيفاً فأسرعت إليه، ووجدته واقفاً في الممر الذي وراء الباب صامتاً يفكر بحزن... ويبدو أنه كبر عدة أعوام'[١٣]. وقد أدى ذلك إلى إصابة عبد الناصر بمرض السكر خلال تلك الأزمة[١٤].

ولقد جوبهت حركة الانفصال بمعارضة من قبل بعض قطاعات الجيش وبعض الأوساط الشعبية، حيث خرجت مظاهرات تندد بالانقلاب صبيحة يوم الانقلاب ولأجل أن تكسب حركة الانفصال وقتاً يمكنها من ترتيب أوضاعها، والسيطرة على الوضع، بادرت إلى سلوك

المخاتلة والحيلة فأعلنت (القيادة الثورية العربية) في بيانها رقم ٩(*) الذي جاء فيه، بأنها قد دخلت في مفاوضات مع المشير عبد الحكيم عامر حول قضايا الجيش، والأمور الأخرى التي تفهم المشير حقيقتها واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها، لمصلحة الوحدة والقوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة(١٥).

وقد ادعت القيادة الثورية العربية بأن الأمور العسكرية قد عادت إلى مجراها الطبيعي، مستندة على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة، وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة.

والثابت أن القوة العسكرية الانقلابية التي تحركت باتجاه دمشق، صباح يوم الانفصال لم تكن شيئاً مذكوراً وقد دعمت بالتعزيزات العسكرية التي توافدت على المدينة بعد الساعة الرابعة مساءً وبعد البلاغ التاسع بساعتين، والثابت أيضاً أن الظاهرة الكبرى التي اجتاحت دمشق في الساعة الثانية بعد الظهر وصلت باب الإذاعة ورفعت علم الجمهورية العربية المتحدة هناك. وكان بإمكان المتظاهرين أن يقتحموا المبنى، ولكنهم لم يفعلوا حيث ترددت بينهم شائعة تقول أن المسألة سويت وهرب المتآمرون(١٦).

وقد تكررت تلاوة البلاغات الأولى بعد مرور ساعات، وبالتحديد بعد أن رفض المشير عبد الحكيم عامر بياناً يعلن انتهاء الأزمة بعد أن اتصل تلفونياً بعبد الناصر في القاهرة، والسبب في رفض البيان جاء في خطاب الرئيس عبد الناصر الذي أذاعه في الساعة السابعة مساء اليوم نفسه، وهو أن المشير كان تحت الحراسة، وأنه رفض إذاعة البيان بأن الأمور قد انتهت، لأنه لا يقبل المساومة ولا الحلول الوسط، وبأن النضال يفقد كل قداسته عندما تدخل إليه المساومات(١٧).



حسن الحكيم بين الدكتور مأمون الكزبري والفريق زهر الدين، عشية اختياره رئيساً لاجتماع السياسيين السوريين لتقرير مصير البلاد بعد ٢٨ أيلول ١٩٦١

إن الضباط الذين قادوا الانقلاب كما يصفهم مأمون الكزبري أول رئيس وزراء في عهد الانفصال، استطاعوا الإنصات إلى المكالمة الهاتفية التي أجراها المشير عبد الحكيم عامر، الذي كان حبيس قصره في دمشق مع الرئيس جمال عبد الناصر، حيث دعاه عبد الناصر في تلك المكالمة إلى التظاهر بالقبول بالشروط التي قدمها له الانقلابيون. ليستطيع السيطرة على الموقف وتهدئة الرأي العام، ثم تأنيب الضباط على هذه الغفلة بعد عودة الأمور إلى مجراها الطبيعي، وعندما عرف الضباط بالنوايا المبيتة عند المشير، وضعوه على متن طائرة خاصة مع بعض أعوانه وأرسلوه إلى مصر(١٨).

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الرئيس جمال عبد الناصر بدأ يفكر منذ صباح يوم الانفصال بطريقة إنقاذه الوحدة، وكانت المعومات التي توافرت لديه في الصباح أن وحدات في اللاذقية ما زالت موالية للجمهورية زالت العربية المتحدة ومعادية للانفصال، لذا فقد رأى من واجبه كرئيس لدولة الوحدة أن يتصرف بما ينقذ الوحدة، ومن هنا كان قراراه بإرسال قوات الصاعقة لاحتلال جزء من الساحل السوري لتسهيل دخول قوات من البحرية كانت منتظرة الأوامر للتوجه إلى اللاذقية، ولكن الذي حدث أن الرئيس عبد الناصر أصدر تعليماته بعودة هذه القوات بعد أن تبين له أن الوحدة لا يمكن أن تفرضها الحرب ومنطق القوة(١٩).

وفي يوم ٢٩/أيلول/١٩٦١ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر، وقف العمليات العسكرية حيث قال: (أن الوحدة إرادة شعبية ولن أحولها من جانبي إلى عملية عسكرية) وقد اتهم الرجعية العربية، والملك حسين، والملك سعود، والشركات الاحتكارية، بدورهم في تحقيق الانفصال(٢٠).

وفي ٢/تشرين الأول/ من العام نفسه أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ما نصه: - (أنني لم استخدم القوة للقضاء على الحركة العسكرية التي سيطرت على سوريا وأنني أترك حماية الوحدة للشعب العربي في الإقليم الشمالي)[٢١].

ويشير الدكتور بطرس غالي أن القاهرة أعلنت يوم ١٥/تشرين الأول/١٩٦١ اعترافها بالدولة السورية من جديد، وكذلك طلب الرئيس جمال عبد الناصر قبول سوريا في الأمم المتحدة والمحافل الدولية وفي جامعة الدول العربية[٢٢].

ولابد لنا في هذا المجال من أن نذكر موقف العراق من هذه الأحداث، فقد بادر رئيس وزراء العراق الزعيم عبد الكريم قاسم بتاريخ ٢٩/أيلول/١٩٦١، أي في اليوم التالي للانفصال إلى إلقاء خطاب أعلن فيه، بأنه قد أنذر الجيش العراقي عندما لاحظ الحوادث الجسيمة تمر على بلاد إخواننا السوريين لتقف بوجه الأجنبي. وقد هدد بأن سوريا العزيزة لم تكن في يوم من الأيام مسرحاً للمستعمرين، والرجعيين عبر محولات الرئيس عبد الناصر لإعادة الإقليم الشمالي مبدداً لدولة الوحدة، ما هو إلا تدخل أجنبي يجب الوقوف ضده، ولذا فأنه وضع القوات العراقية في حالة الإنذار، لأجل الوقوف بجانب حركة الانفصال ومنع إعادة الأمور إلى وضعها السابق قبل حدوث الانفصال[٢٣].

وكان موقف عبد الكريم قاسم، منذ البداية، معاديٌ لعبد الناصر ومشجعاً للانفصال وهذا ما تؤيده الوقائع التالية:

١- الحرب النفسية التي شنها الزعيم عبد الكريم قاسم ضد الجمهورية العربية المتحدة، إذ كان يتوعدها بمعاملتها بنفس ما كانت تعامله، ويقصد ما واجه نظامه من انتفاضات ومحاولة اغتياله وغيرها من المحاولات التي استهدفت إنهاء حكمه والذي اتهم بها دولة الوحدة.



الدكتور ناصر الحاني، سفير العراق بدمشق، يستقبل الفريق عبد الكريم زهر الدين، لدى زيارته جناح العراق في معهد دمشق الدولي

٢- وضع الجيش العراقي في حالة الإنذار وتهديد الزعيم عبد الكريم قاسم، بأنه لن يسمح للمستعمرين والغادرين بأن تكون سوريا العزيزة مسرحاً لهم[٢٤].

٣- وصول طائرة من سوريا تحمل وفداً مرسلاً من حكومة الانقلاب في اليوم التالي للانفصال ليتفق مع عبد الكريم قاسم على أسلوب الدعم والتأييد للانقلاب[٢٥].

٤- تحسين العلاقات العراقية الأردنية بعد انقطاع طويل نتيجة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ومقتل العائلة الهاشمية، وقد أخذ هذا التحسن شكل التعاون بين النظامين لأجل الانقضاض على وحدة مصر وسوريا، وقد عمل الملك حسين على إنذار جيشه وتحشيده على الحدود مع سوريا قبل وقوع الانقلاب وبترتيب مسبق مع الانفصاليين، لتعزيز موقفهم والتدخل العسكري المباشر إن لزم الأمر[٢٦].

٥- الاجتماعات المتكررة بين الزعيم عبد الكريم قاسم والسفير الأردني في بغداد، وكذلك التنسيق السعودي - العراقي عن طريق السفارة السعودية في بغداد[٢٧].

٦- إسراع العراق إلى الاعتراف بالحكومة السورية الانفصالية يوم ٩/تشرين الأول/١٩٦١ وزيادة التعاون معها.

المصادر والمراجع

(١) وزارة الخارجية – الدائرة العربية رقم الإضبارة ٢/ ١/ ٧٥٦ – الموضوع: إنهاء الوحدة بين مصر وسوريا، كتاب القنصلية العامة للجمهورية العراقية في دمشق، إلى وزارة الخارجية في بغداد، المرقم ٢/١/ ٧٥٦ بتاريخ ١٩٦١/١٠/٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣.

(٤) وزارة الخارجية – المصدر السابق، ص ١.

(٥) وزارة الخارجية– الدائرة العربية – رقم ا لإضبارة ع/٥٢٢٨ – ٥٢٢٨/٨ موضوع الإضبارة: البرقيات الواردة من دمشق، برقية واردة من السفارة العراقية في دمشق رقم ٥٢٢٨ في ١٩٦١/٩/٢٨.

(٦) وزارة الخارجية – الدائرة العربية – الإضبارة السابقة: برقية واردة من السفارة العراقية في دمشق برقم ١٤١٨٨ في /١٩٦١/٩/٢٩.

(٧) جريدة الأخبار العراقية: العدد ٥٨٢١، الصادر في ١٩٦١/٢٩/٩.

(٨) جمال الشرقاوي: حول فكرة جمال عبد الناصر والميثاق الوطني، بيروت/الموسوعة الناصرية/مؤسسة الأبحاث العلمية العربية العليا المجلد الأول ص ص٩١–٩٢.

(٩) وزارة الخارجية: الدائرة العربية/مصدر سابق، كتاب القنصلية العامة للجمهورية العراقية في دمشق المرقم ٦٢٢/١/٢ في١٩٦١/٨/١٩ إلى وزارة الخارجية في بغداد.

(١٠) آرسكين تشيلدرز: الطريق إلى السويس – ترجمة خيري حماد الدار القومية للطباعة والنشر د. ت، ص ص٤١٧ – ٤١٨.

(١١) محمد حسنين هيكل: عبد الناصر والعالم، دار النهار للنشر – بيروت ١٩٧٢، ص١٠٥.

(١٢) محمد السيد سليم: مصدر سابق، ص٣٣٢.

(١٣) ضياء الدين بيبرس: الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر، كما رواها محمود الجيار. مكتبة مدبولي القاهرة، ص٦٨.

(١٤) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩، ص ص١ - ٢.

(❖) البلاغ رقم (٩) صدر في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر يوم الانقلاب، للمزيد من التفاصيل أنظر عوني عبد المحسن فرسخ، الوحدة في التجربة، مصدر سابق، ص٤٢٣ وما بعدها.

(١٥) أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو، عبد الناصر والعرب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، سنة ١٩٧٦، ص٧٨.

(١٦) عوني عبد المحسن فرسخ: الوحدة في التجربة: مصدر سابق، ص٤٢٧.

(١٧)صلاح الدين إسماعيل الشيخلي - العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٢-١٩٦١، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٣٨٩.

(١٨) المصدر نفسه، ص٣٨٩ وما بعدها.

(١٩) أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو، مصدر سابق، ص ص٩١-٩٢.

(٢٠) عبد المنعم شميس: الثورة العربية الكبرى ٢٣ يوليو، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت طبع ص٦٢٧.

(٢١) نضال البعث: حزب البعث العربي الاشتراكي- الجزء السادس، بيروت دار الطباعة والنشر، ط٢، السنة ١٩٧١، ص١٩٢.

(٢٢) بطرس بطرس غالي: دراسات في الدبلوماسية العربية مكتب الأنكلو المصرية، د. ت، ص٣٠.

(٢٣) صحيفة الزمان: العدد ٥٨٢٢، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٦١.

(٢٤) المصدر نفسه: العدد ٥٨٢٥، الصادر في ٣/١٠/١٩٦١.

(٢٥) نضال البعث: حزب البعث العربي الاشتراكي- ج ٧، بيروت - دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، السنة ١٩٧٢، ص١٧١.

(٢٦) عباس مراد: الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١-١٩٧٣، بيروت، سلسلة كتب فلسطينية رقم ٤٨ منظمة التحرير الفلسطينية السنة ١٩٧٣، ص١٧١.

(٢٧) نضال البعث ج ٧، مصدر سابق، ص١١٤.

ثالثا: تقويم الانفصال:

لقد استهدفت ردة أيلول عام ١٩٦١ الانفصالية من لحظة التفكير فيها حتى لحظة تنفيذها، بأن غايتها فك وحدة الإقليمين، وكان الانقلابيون انفصاليين منذ اللحظة الأولى، وكانوا انفصاليين حتى وهم يصدرون بلاغهم التاسع الذي أدعى تمسكهم بالوحدة، زورا وبهتانا حيث واجه ضباط الانفصال تظاهرات حلب واللاذقية بالدبابات والمدافع الرشاشة، وفرضوا جوا من الإرهاب على المدن السورية وقراها، فكانت ردة على كثير من الخطوات التقدمية، التي تحققت في سوريا خلال الوحدة وقبل قيامها.

لقد قامت الوحدة بإحساس تام بأصالة الوجود القومي، ونتيجة وعي شعبي واستفتاء جماهيري، ولم يأت الانفصال إلا لتأكيد التجزئة والإقليمية وقتل الطموح الوحدوي في النفوس، ولذلك نرى أن هناك تضخيم مبالغ للأخطاء وإسقاط متعمد لمنجزات التجربة لتعزز اليأس لدى الجماهير من هدف الوحدة، ولتعزيز الاتجاهات الانفصالية والإقليمية[1]. وعلى الرغم مما نوهنا به، فأن ذلك لا يمنع إيماننا المر بوجود مواطن ضعف في ممارسة التجربة نفسها، وبدلا أن تكون للمواطن أسباب قوة ومنعة لتكون سدا منيعا أمام القوى المتربصة لنهش تجربة الوحدة وإغناء الخطوة القومية ما يقيها من شر الأعداء، إلا أن ذلك لم يحدث فحلت الكارثة التي عصفت بثورة الجماهير المتطلعة إلى وحدة أمتها. ولذا بادرت جماهير الشعب منذ اليوم الأول للانفصال لتقول كلمتها في أن الانفصال كان مؤامرة رجعية استعمارية، فهو لم يأت للقضاء على مفاسد الحكم الفردي في عهد الوحدة، بإزالة تسلط أجهزة المباحث والمخابرات، ولا إطلاق الحريات الديمقراطية ورد الحرية والكرامة للمواطن، بل جاء لحماية المصالح المعادية لجماهير الشعب ولأمانيه القومية، ليجعل من سوريا موطنا

للرجعية والانتهازية، وبلدأ يدور في فلك الاستعمار مع سعود وحسين، وجميع الحكومات الرجعية والعميلة[٢].

وفي تقويم تجربة الوحدة لا بد من القول بأن القوى الأجنبية والعربية المتآمرة على الوحدة قد وجدت ضالتها وقوتها مع بداية الستينات، وتمكنت من فصم عرى الوحدة وتحقيق الانفصال، وهذا لا يعني أن الوحدة عملية مستحيلة ولا واقعية، ثم أن عدم تحقيق الأهداف القومية والإنسانية السامية في مرحلة معينة لا يصح أن يعتبر دليل على خطئها وفسادها وعدم صلاحها، وأنها خيالية ولا تعبر عن مصلحة الأكثرية، وإنما هو دليل على عجز الذين حملوا لواء الدعاية لها، وادعوا القدرة على تحقيقها، ولم يستوعبوا الشروط والمستلزمات الضرورية لنجاحها[٣].

وعلى الرغم من اتهام الرئيس جمال عبد الناصر لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري، بأنه (انقلب على تجربة الوحدة وحاربها وكان من القوى التي مهدت للانفصال)[٤] إلا أن الوقائع تشير عكس ذلك فبغض النظر عن موقفي الحوراني والبيطار الذي جاء لاحقاً للانفصال، فالمؤكد أن قيادات البعث السابقة، مدنية وعسكرية، لم تشارك في التخطيط أو تنفيذ الانفصال. ومن المؤكد أيضاً أن الحزب لم يكن بمقدوره أن يجمع تنظيماته لينزل إلى الشارع ويقود عملية المقاومة الشعبية العسكرية المنظمة ضد حركة الانفصال المشبوهة، وهكذا فقد انهارت تجربة الوحدة بين القطرين التي قدم الشعب السوري من أجلها الكثير من التضحيات عبر عشرات السنين[٥].

ونعتقد أن الرئيس عبد الناصر كان مصيباً في قراره الحاسم بعدم التدخل عسكرياً لإخماد حركة الانفصال، رغم إدراكه لأهدافها الحقيقية وترك الأمر للشعب السوري في تقرير مصيره.

لقد أدرك عبد الناصر من تجربة الانفصال أن الوحدة العربية ليست تجميعاً لقوى عربية، وإنما هي اتفاق مشترك على أشياء محددة لخدمة النضال العربي ومن هنا صاغ شعاره التاريخي وحدة الهدف قبل وحدة الصف، وهكذا صقلت تجربة الانفصال الفكر القومي لعبد الناصر وزادت تفكيره عمقاً وثورية، وأضافت له أبعاداً جديدة[٦].

إن القوى المعادية لم تعد القوى الوحيدة المعارضة للوحدة، فهنالك قوى عربية[*] متعددة بحكم المصلحة والوهم - تضع مصالحها وأوهامها في مواجهة مصلحة الأمة وإرادتها في الوحدة، فكلما مرت الأيام ازداد المنتفعون بالتجزئة، وتمكنت الأقطار من أن تضاعف الفوائد التي توفرها لهؤلاء وبذلك يتزايد أعداء الوحدة عدداً ونفوذاً[٧].

لقد حزمت القوى المعادية أمرها لتحقيق هدفها المحدد، وهو فصل عرى الوحدة وضرب مدها العربي الثوري، وامتداده القومي آملةً بالانفصال وتكفير الجماهير العربية بقوميتها وثوريتها، وعلى الرغم من نجاح المؤامرة الانفصالية تمكن ذلك المد الثوري في قيادته وقاعدته وجماهيره أن يهزم المؤامرة، والخطة الاستعمارية الصهيونية في أهدافها الأساسية والبعيدة[٨].

وعلى أي حال فإن هناك أربعة عوامل ساعدت الانفصاليين على تحقيق جريمتهم الانفصالية وهي:

١- واقع الجيش الأول في عهد الوحدة.

٢- انعدام التنظيم الشعبي الذي يحمي تجربة الوحدة.

٣- هيئة الأذهان في الإقليم الشمالي لقبول الانفصال.

٤- التكتيك الخبيث الذي استخدمه قادة الانقلاب[٩].

لقد كان الشعب العربي من مشرق الوطن العربي إلى مغربه، يتطلع إلى جوانب تفسر أسباب هذه النكسة، وتكون في مستوى

الحدث التاريخي الذي حقق الوحدة، من حيث الارتفاع فوق المصالح والنعرات الإقليمية والفردية، ومن حيث حصر الاهتمام بمصير الأمة وبقائها... وأن الفشل ليس هو بفكرة الوحدة بل بتطبيقها[١٠].

وإذا كان لفيف من المفكرين العرب يرون أن الانفصال كان في حقيقته انقلاب اجتماعي ساندته المصالح الإقليمية البرجوازية، التي ضررت من الإجراءات الاشتراكية التي أقدم على اتخاذها الرئيس عبد الناصر، ومن فقدانها للامتيازات السلطوية بحكم انتقال مركز السلطة إلى إقليم الوحدة الجنوبي مصر، فإن حزب البعث العربي الاشتراكي، يرى أن الانفصال لا يخدم الكفاح العربي بل يضعضعه، ولا يساعد على العمل من أجل الوحدة لأن القوى التي تحمي الانفصال هي عدوة الوحدة، ولا يمكن أن يقوم مع الانفصال حكم ديمقراطي صحيح يحقق للشعب أهدافه، إذ أن الانفصال ما دام بطبيعته ضد مصالح الجماهير، وإرادته الوطنية، فلا يمكن أن يستمر إلا بالقمع والإرهاب[١١].

إن الأمة هي الخلية الإنسانية الأولى التي يجب النضال من خلالها، وأن أول أهداف هذا النضال وحدة كيان الأمة، واستقلالها القومي ضمن دولة واحدة مستقلة، وأن المعركة العربية ستظل تسير في طريقها الصاعد، لتجعل من القومية العربية صخرة منيعة تتحطم عليها جميع محاولات الاستعمار[١٢].

وإذا كانت بعض الأصوات النابعة من اتجاهات معادية للوحدة، قد انطلقت بعد الانفصال مشككة بتجربة الوحدة، فإن يقيننا بأن هذه الأصوات لم تنطلق أغلبها إن لم تكن كلها، حباً بالجماهير العربية وتطلعاتها في الوحدة التي آمنت بها، إنما انطلقت مدفوعة بأهدافها الخفية بمنطق الإغراق في الدفاع عن الكيانات الإقليمية الوطنية.

ويذكر الدكتور سامي عصاصة في تقييمه للانفصال قوله لقد تصرف القادة المصريون في الجيش السوري، على أساس سياسة

هدفها القريب تمييع المفاهيم العسكرية في الجيش السوري، وهدفها البعيد التخلص من كل ضابط تخرج في الكلية العسكرية في حمص وهدف القيادة من وراء ذلك هو الإمساك بزمام الجيش السوري إمساكاً نهائياً ومطلقاً، بحيث تستطيع القاهرة بعد ذلك تنفيذ السياسة التي تشاء في كل أنحاء سوريا دون أن تخشى أن تقوم للجيش السوري قائمة وذلك باتباع الوسائل المختلفة ومنها: -

- انتداب الضباط المصريين إلى الإقليم الشمالي. وكان كل ضابط من هؤلاء يأخذ مكاناً حساساً في قطعة أو قيادة، وكان كثير منهم ينظر إلى آمره المباشر السوري، وكأنما لا شأن له، فيحطم قوانين الانضباط، ويتجاوز أنظمة التسلسل العسكري.

- انتداب الضباط السوريين إلى إدارات الشركات المؤممة بعد صدور قرارات التأميم.

ويضيف عصاصة إلى ذلك في أن سياسة الرئيس عبد الناصر حيال قضية فلسطين قد أصابت الجيش السوري في الصميم نتيجة انتهاج اللين والتراخي تجاه 'إسرائيل'[١٣].

ويبدو أن سامي عصاصة كان مغالياً فيما أورده ومتحاملاً، لابتعاده عن الموضوعية في مناقشة ذلك وكان حريٌ بالكاتب أن يكون متجرداً عند مناقشة أمور تخص مؤسسة من أكثر المؤسسات التي تبدو فيها الحساسية والحسد والتكتلات، ألا وهي المؤسسة العسكرية وهي تعمل في أي بلد من البلدان... فكيف يكون الحال وهو يناقش حالات مؤسسة قد يكون جاداً ومصيباً في بعضها ومبالغاً في البعض الآخر، في بلد يعد من بلدان العالم الثالث وتصول وتجول فيه النزعة العسكرية، بشكل مميز وهى سوريا أرض الانقلابات والانتفاضات في فترة تعيش فيها تجربة فتية وهي فترة الوحدة، وما صاحب تلك التجربة بالتأكيد بعض التصرفات المتعمدة أحياناً أو نتيجة المصادفة

أحياناً أخرى، التي قد تحصل بين الضابط المصري والجندي السوري، أو بين الضابط المصري وشقيقه الضابط السوري، العاملين في تلك المؤسسة وعلى أرضى واحدة سواء كانت القاهرة أو دمشق. ومهما يكن من أمر فإن الباحث لا يرمى إلى هدف خلق تبرير أو تنفيذ الحالة بقدر ما يرى المغالاة التي ذهب إليها الكاتب وعلى سبيل المثال، ما أورده بخصوص انتداب الضباط السوريين إلى إدارات الشركات المؤممة، بعد صدور قرارات التأميم متناسياً أن قرارات تموز الاشتراكية كانت قد صدرت في تموز ١٩٦١، في حين وقع الانفصال في أيلول من العام نفسه، فهل يجوز بهذه السرعة انتداب هؤلاء الضباط إلى إدارات الشركات المؤممة، من قبل القيادة العاملة في سوريا؟! إن ما يثير الدهشة والاستغراب لدى الباحث خلال تقييم التجربة لدى بعض المنظرين العرب هو المبالغة في ترجيح كفة الأخطاء على كفة المنجزات، بل والأبعد من ذلك تسفيه تلك المنجزات لخلق مبررات الانفصال، على أن ذلك لا يمنع من وضع اللمسات على بعض التقييمات من خلال رصدها للأخطاء بموضوعية، ونكران ذات عاليين.

إن مراجعة وثائق وزارة الخارجية العراقية، يجعلنا مقتنعين بأن الانفصاليين لم يكونوا يحلمون بحكم ديمقراطي لسوريا، لأنهم بعد أيام قلائل أعلنوا أن الأحزاب حلت نفسها بنفسها سابقاً، وعليه فهي تعارض التكتلات والحزبية وحين أشتد نشاط الساسة القدامى أمثال خالد العظم وصبري العسلي وأكرم الحوراني، اكفهرت وجوه الضباط الانقلابيين فأعلنوا بصراحة أنه ليس ثمة محل للساسة القدامى في العهد الجديد، وأن الشعب تواق إلى وجوه جديدة وأناس غير ملوثين بأدران العهود الماضية، كما سارع وزير الداخلية في حكومة الكزبري وهي أول حكومة للانقلابيين إلى تهديد أولئك الساسة، الذين يحاولون لم شملهم عن طريق عقد الاجتماعات الحزبية[١٤].

المصادر والمراجع

(١) عوني عبد المحسن فرسخ: الوحدة في التجربة، مصدر سابق، ص ص٤٠٢-٤٠٤.
(٢) ل.ت.ح من بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٣) شبلي العبسمي: لماذا الوحدة العربية، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، السنة ١٩٩٣، ص٥٤.
(٤) للتوسع حول هذا الموضوع انظر: محاضر جلسات مباحثات الوحدة ١٧/نيسان/١٩٦٣، حديث الرئيس جمال عبد الناصر خلال الاجتماع الأول المنعقد بتاريخ ١٤/آذار/١٩٦٣، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٣، ص٧.
(٥) حوار مع مصطفى حمدون/وزير الإصلاح الزراعي في دولة الوحدة، آجرته معه هناء العمري، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، شباط/١٩٩٣، ص٧٣.
(٦) جمال الشرقاوي: حول فكر جمال عبد الناصر والميثاق الوطني، الموسوعة الناصرية، مؤسسة الأبحاث العلمية العليا، بيروت، المجلد الأول، ص ص٩١-٩٢.
(❖) يذكر (آيزنهاور) الرئيس الأمريكي السابق في (صفحة ١٠٢) من مذكراته، آنه بعث صباح يوم ١٦/آذار/١٩٥٨ برسالة إلى الملك سعود وهو الرجل الذي كان مؤملاً أن يصبح خصماً لعبد الناصر في الزعامة العربية، وكان هذا الملك يدبر مؤامرة خلف الكواليس ضد زعماء مصر وسوريا ولكن سرعان ما كشفه (الكولونيل) عبد الحميد السراج في مؤامرة الملك سيئة التنظيم رغم تحذير المخابرات المركزية الأمريكية له. ولكن التحذير وقع في أذن صماء أو جاء متأخراً، وكانت نتيجة المؤامرة الفشل كما كان الملك وسحب البعثة العسكرية المصرية من السعودية، أما الملك فقد غدا شخصاً غير قوي مما اضطره إلى التنازل عن سلطاته لأخيه فيصل ولي العهد. وبقي سعود مجرد ملك صوري للعرش: للمزيد انظر مذكرات ايزنهاور، ترجمة هيوبرت يونغمان ١٩٦٩.
(٧) عوني عبد المحسن فرسخ: الوحدة في التجربة، مصدر سابق، ص٤٣٩.
(٨) عبد الله الريماوي: الحركة العربية الواحدة، ص ص٢٩-٢٣٠.
(٩) عوني عبد المحسن فرسخ: الوحدة في التجربة، مصدر سابق، ص٤٢١.

(١٠) ميشيل عفلق: في سبيل البعث: دار الحرية للطباعة، بغداد، السنة ١٩٨٦، ص٢٩١.

(١١) ل.ت.ح: بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٢) منشورات حركة القوميين العرب: العراق وأعداء الوحدة، لبنان، السنة ١٩٥٩، ص٧٩.

(١٣) د. سامي عصاصة: أسرار الانفصال بين مصر وسوريا، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٨٤.

(١٤) وزارة الخارجية، الدائرة العربية، رقم الإضبارة ١٥٧/١/٢/٤، موضوع الإضبارة الوضع العام في سوريا، كتاب سفارة الجمهورية العراقية في دمشق بتاريخ ١٩٦٢/٣/٣١، وللرقم ١٥٧/١/٢ إلى وزارة الخارجية في بغداد.

موقف الصحافة من الانفصال:

اتسم أغلب موقف الصحافة العراقية من الحركة الانفصالية عموماً، بعدم الرضا والدعوة إلى التضامن العربي، ولعلها قد استندت في ذلك إلى طبيعة الأوضاع الداخلية في العراق آنذاك ووضعه الوطني الإقليمي والعربي، فالحكومة العراقية كانت تخوض معركة مع شركات النفط الأجنبية العاملة في العراق، من أجل الحصول على مكاسب وطنية من المؤسسات الاحتكارية وكانت تعد تلك المعركة من طراز المعارك الوطنية والقومية[1]، ودون ثمة شك في أن الحكومة العراقية، كانت تراقب تطور الأحداث في سوريا أبان عهد الوحدة إذا لم تكن قد عملت على انفصالها قبل مطالبة الزعيم عبد الكريم قاسم بالكويت، ومنذ تأزم العلاقات بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وعندما قام الانفصال السوري أظهرت السلطات العراقية تأييدها له بدعوى حماية الشعب السوري.

ففي خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم أكد فيه (أن بلادنا سوف لا تقف مكتوفة الأيدي تجاه أي مظلمة تصيب الشعب السوري، أنهم إخواننا وأبناء عمومتنا... ونحن أحرار مع الجمهورية السورية)[2].

وذكر في خطاب آخر قائلاً ('إن الجمهورية السورية الخالدة سوف لن يمضي وقت طويل على انبثاقها إلى عالم الحرية، والظهور مرة أخرى بعد أن طمست معالمها، أن الجمهورية السورية الخالدة سوف تنبثق بتصميم شعبها المظفر')[3].

إن المعلومات المتوفرة بهذا الصدد متناقضة، فقد ذكر أن الزعيم عبد الكريم قاسم رفض طلب جماعة سورية جاءت إليه قبل الانفصال، طالبة دعمها لفصم الوحدة، وأنه لم يعمل لتفكيك الجمهورية العربية المتحدة؟ لأنه يعتقد بأن قيام الجمهورية العربية

المتحدة كان من أعمال عبد الناصر الناجحة، رغم ارتياحه للانفصال ورغبته في عدم اتساع دائرة نفوذ عبد الناصر، وذكر عنه من جهة أخرى، أنه كان على علم مسبق بما حدث في سوريا، وأظهر في مناسبات أخرى أنه كان له دور في التعهد للانفصال على أساس أن الشعب السوري كان متذمراً من الأوضاع وأن الوحدة لم تكن متكافئة(٤).

وفي ضوء ما تقدم وقبل التطرق إلى موضوع الصحافة العراقية من الانفصال بشكل تفصيلي، حري بنا إيضاح ذلك الموقف بشكل عام، حيث تبين لنا من خلال الدراسة والاستقصاء أنه امتاز بالتفاوت بين مؤيد ومتذبذب ومناوئ، وهذا ما سنبينه في الصفحات القادمة، بهدف الوصول إلى تقييم موقف الصحافة العراقية، من الحركة الانفصالية بشكل واف فقد قسمنا الموضوع إلى ثلاثة مواقف من الانفصال:

١- موقف الصحافة الحكومية.

٢- موقف الصحافة الحزبية.

٣- موقف الصحافة القومية.

١- الصحافة الحكومية وموقفها من الانفصال:

أولت الصحافة الحكومية اهتماماً مركزاً في تأييد سياسة الدولة على الأصعدة كافة وبخاصة العربية منها، ولم يمنع ذلك هذه الصحافة من اتباع بعض الوسائل غير المقبولة والبعيدة عن الواقع الموضوعي في سبيل تحقيق أهدافها، ومن هنا كان موقفها من الانفصال.

ويعد موقف صحيفة العهد الجديد[٥] عينة للنهج الذي مارسته الصحف الحكومية في تذبذب موقفها حيال الحركة الانفصالية، حيث نشرت الصحيفة مقالاً وتحت عنوان (درس من سوريا الشقيقة) أشارت فيه إلى سياسة الجمهورية العراقية في حقل التضامن العربي، وتوثيق الأخوة العربية مشيدة بما أدلى به الزعيم عبد الكريم قاسم في دعوته، الأخوة العرب من مصريين وسوريين إلى ضرورة التضامن والتجاوب الأخوي، والعمل يداً واحدة، في سبيل الأمة العربية ومصالحها العليا، وتمنت الصحيفة أن يقدر أبناء الأمة العربية مسؤولياتهم القومية حق قدرها، وأن يدركوا بعمق هول المعركة التي ما زالت ناشبة مع قوى الاستعمار والرجعية[٦]. وفي عدد آخر من الصحيفة، نطالع المقال الافتتاحي والمعنون (موقفنا من الأحداث في سوريا ...) حيث أشارت إلى أن تطور الأحداث وتبلورها بسرعة مدهشة على ضفاف بردى، يجعل في رأى الصحيفة أن من حق الجمهورية العراقية أن تراقب الأحداث بعمق ودقة وإدراك، وثمنت الصحيفة موقف الزعيم عبد الكريم تجاه الأحداث في سوريا، بعين عربية ساهرة وتصديه لأي تدخل أجنبي في سوريا[٧].

وفي المقال الافتتاحي المعنون (لمصلحة من؟) أبدت الصحيفة أسفها على نجاح الاستعمار من جديد في إثارة الحرب الكلامية بين

الصحف والإذاعات العربية، على أثر الثورة السورية الأخيرة التي انتهت بفسخ الوحدة القائمة بين بردى والنيل، وذكرت الصحيفة بأن عقلاء الأمة العربية وحكماءها مدعوون اليوم، إلى وقف هذه الحرب بالطرق الحكمية والسديدة، وعقد الصلح المقدس بين الأخوة العرب، والعمل على حشد طاقاتهم ضد الصهيونية والاستعمار(٨).

وفي نفس العدد وتحت عمود بعنوان (شكري القوتلي يقول في دمشق: الانفصال لا مفر منه بسبب أخطاء حكام العربية المتحدة) أشارت الصحيفة، إلى المقابلة الصحفية التي أجرتها صحيفة الهدف الدمشقية مع القوتلي وقوله في 'أن الانفصال كان لابد منه، وأن أخطاء الماضي يجب أن تكون درساً للمستقبل'، ونقلت الصحيفة مشاعر القوتلي وإعرابه عن تأييده للحكومة السورية الجديدة، وأن الحكومة السورية الجديدة في رأي القوتلي، على حد زعم الصحيفة، تسير في الطريق الصحيح(٩). وفي عدد آخر من الصحيفة نقرأ المقال المعنون (الرجعية لن ترجع) استعرضت فيه أحداث سوريا، وإعلان نتائج الانتخابات في تركيا، ورأت الصحيفة في تلك الأحداث فرصة للرجعية لتوقف مفاوضات النفط التي يقودها العراق مع الشركات الأجنبية. وحذرت الصحيفة أولئك الذين في قلوبهم مرض، بأن الرجعية لن ترجع، وأن عقارب الساعة لن تدور إلى الوراء(١٠).

أما صحيفة التقدم(*) فقد اتسم موقفها بالذيلية لموقف الحكومة حيال الأحداث، حيث كان موقف الصحيفة والحكومة يمثلان وجهان لعملة واحدة، إزاء التعامل مع الحدث الذي أفضى بانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، ففي مقالها بعنوان (العراق أبداً مع العرب) أشادت الصحيفة بخطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في مؤتمر الفلاحين، وإعلانه الاستعداد التام في تهيئة قطعات الجيش العراقي بالرد على أي عدوان أجنبي يحاول استغلال الأحداث في سوريا، وأبرزت الصحيفة دعوته

الأشقاء المصريين والسوريين إلى أن يتصافوا وأن يعالجوا الأمور بما يحقق مصالح الأمة العربية[11]. وفي عدد آخر أشادت الصحيفة بموقف العراق المشرف على حد زعمها، والمتمثل بالزعيم عبد الكريم قاسم حيال أحداث سوريا، ووصفت الصحيفة دعوة الزعيم بعدم التدخل في شؤون دول العرب الداخلية، ومناشدة السلطات المصرية والسورية بالتصافي لتجاوز الأزمة، وأن ذلك في رأي الصحيفة ليعبر عن نكران الذات الذي تحلى به الزعيم، وتناسيه موقف الأخوة من قضية الكويت، وأضافت الصحيفة قولها أن هذا الموقف نابع من مصلحة العرب التي هي فوق كل شيء وقبل كل شيء[12].

وفي عدد آخر نشرت الصحيفة مقالاً افتتاحياً بعنوان (الوحدة العربية وسياسة الجمهورية العراقية) أشادت فيه بدعوة مأمون الكزبري رئيس وزراء سوريا، إلى إنشاء اتحاد فدرالي بين الدول العربية على أساس عدم تدخل أي بلد عربي في شؤون أي بلد عربي آخر، وأوضحت الصحيفة في أن تلك الدعوة، جاءت مع الدعوات المتكررة في خطب الزعيم عبد الكريم بصدد الاتحاد، وأن هذه الدعوة في رأي الصحيفة جاءت متماشية مع ما نص عليه الدستور العراقي المؤقت، واستشهدت الصحيفة بقول الزعيم في (أن العراق جزء من الأمة العربية وليس جزء من جزء)[13]. وفي عدد آخر انجلى موقف هذه الصحيفة وهي تلهث راكضة لتبشر ما تريده السلطة في اتحاد سوري عراقي، حيث نطالع المقال الافتتاحي للصحيفة والذي عنوانه (الاتحاد بين سوريا والعراق... اتحاد طبيعي) أشارت فيه إلى أن موضوع الاتحاد بين سوريا والعراق له طابع خاص، لما بين القطرين الشقيقين من روابط اقتصادية وسياسية وجغرافية و اجتماعية وتاريخية، وأفصحت الصحيفة عن رأيها في أن قيام الاتحاد العراقي السوري يعيد الأمور إلى نصابها وإلى طبيعتها، لخلق قوة عربية ترفع

راية التحرر والتقدم والازدهار لمجموع الأمة العربية[١٤]. وفي عدد آخر أشارت الصحيفة في مقالها الافتتاحي الذي عنوانه (الميثاق الوطني... خطوة هامة جريئة) أشادت فيه بالميثاق الذي أقره أقطاب الأحزاب السورية، والدعوة إلى اتحاد عربي أو وحدة عربية على أساس اللا مركزية، وأن هذه الدعوة في رأي الصحيفة تعتبر السبيل الوحيد للسير قدماً نحو تحقيق أهداف الأمة العربية، ووصفت الصحيفة الميثاق الوطني السوري بأنه جاء استجابة إلى مشاعر الرأي العام العربي، والأهداف التي يعمل من أجلها العرب كافة[١٥].

ومن الصحف الموالية للحكومة في موقفاً تجاه الحركة الانفصالية، صحيفة الدستور[*] إلا أن تأييدها اتسم بالتحفظ والاكتفاء بنقل الأخبار المحلية والعربية الوافدة عن طريق الوكالات والصحف، ففي خضم الأحداث التي رافقت الانفصال أبرزت الصحيفة على صدر صفحتها الأولى خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي أعلن فيه للفلاحين أثناء انعقاد المؤتمر الفلاحي 'بوضع الجيش العراقي بالإنذار ليقف بوجه التدخل الأجنبي في بلاد إخواننا السوريين الأشاوس'[١٦].

وفي عدد آخر أبرزت الصحيفة عمود تحت عنوان (السلطات السورية تعرض جهازاً لاسلكياً خاصاً بالمشير عبد الحكيم عامر) أوضحت فيه أن السلطات السورية عرضت على رجال الصحافة الأجانب جهازاً لاسلكياً خاصاً بالمشير عامر كلفته مائة ألف دولار، بهدف استخدامه للإنصات إلى المحادثات اللاسلكية بين الضباط السوريين وبين الوزراء التنفيذيين في الإقليم الشمالي[١٧]. وفي عمود تحت عنوان (اللواء زهر الدين يتحدث) نشرت الصحيفة ما ذكره اللواء عبد الكريم زهر الدين، من مزاعم بهدف تشويه سمعة العربية

المتحدة، وتجربة الوحدة في المجالات التربوية والاقتصادية والعسكرية، ومن ذلك زعمه أن ثلاثة أرباع المعلمين في سوريا من المصريين، وأن أغلب الكتب المنهجية لا تتحدث إلا عن الفرعونية، متجاهلة كل ما له صلة بالعروبة والعرب، وزعم زهر الدين أن كميات ضخمة من الذهب وجدت معبأة في صناديق، تمهيداً لإرسالها إلى القاهرة، وقد وجدت أرصدة ضخمة في البنوك السورية على حد زعم زهر الدين بأسماء الضباط المصريين، وأن مهمة هؤلاء الضباط على حد زعمه التجسس والإرهاب[١٨]، ونشرت الصحيفة خبراً تحت عنوان (تصريح لقنصل العراق في دمشق عن العلاقات بين الجمهوريتين العراقية والسورية) باركت فيه اعتراف الجمهورية العراقية بشقيقتها الجمهورية العربية السورية مشيرة إلى ما نشرته الصحف الدمشقية بخصوص تصريح السيد رشيد رؤوف القنصل العام للجمهورية العراقية في دمشق، لدى تقديمه اعتراف الجمهورية العراقية إلى الدكتور مأمون الكزبري بقوله: 'أننا نرتبط مع سوريا بروابط قوية متينة، هي روابط اللغة و التاريخ والدين و الجوار، وأن العلاقات بين البلدين كانت وستكون طبيعية ولخير البلدين الشقيقين[١٩].

أما صحيفة الشرق[*] فقد اكتفت بعدد واحد دون أعدادها الأخرى، بصدد الأحداث في سوريا، ولازمت الصمت وعدم إظهار أي موقف سواء كان مؤيداً أو مناوئاً، وتحت عنوان (نحن وتصريح العقيد المهداوي)، أدانت الصحيفة العقيد المهداوي في إقحام نفسه بشأن سياسي ومن صميم السياسة. وهو تأييده للحركة الانفصالية في سوريا، والذي كان في رأي الصحيفة لاذعاً في لهجته وبعيداً عن اللغة الدبلوماسية، إضافة إلى زج نفسه في موضوع ليس من اختصاصه بأي شكل من الأشكال، ومن جانب آخر، أبرزت الصحيفة في عمود آخر خطاب الرئيس عبد الناصر، حيث أشارت إلى تفنيده لمزاعم

الحركة الرجعية الانفصالية مؤكداً عدم وجود المصريين في سوريا أيام الوحدة، سوى الفنيين والأطباء والضباط في الخطوط الأمامية[٢٠].

ومن الصحف الحكومية الأخرى والتي اتسم موقفها بالتحفظ والاكتفاء بما تورده الوكالات، صحيفة الثغر البصرية[*] حيث اقتصرت صفحاتها على نشر الأخبار التقليدية، المتعلقة بتطورات الانفصال، وتحت عمود بارز وسط الصفحة الأولى من الصحيفة نطالع عنوان (انقلاب عسكري في سوريا وتأليف وزارة انتقالية بدمشق)، أشارت فيه إلى مفاجئة العالم بإذاعة دمشق وهي تتحدث عن انفصال الإقليم السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، وتطرقت الصحيفة إلى البيانات المذاعة من راديو دمشق باسم القيادة الثورية العربية للقوات المسلحة، وأفادت الصحيفة إلى تضارب الأنباء حول موقف القوات العربية المرابطة في حلب واللاذقية[٢١] وفي عدد آخر من الصحيفة أشارت إلى حديث الزعيم عبد الكريم، بصدد أحداث سوريا وقوله في 'أن الجيش يقف بالإنذار بوجه الأجنبي إذا ما حاول التدخل، وأن الأحداث التي تمر في سوريا لا يحلها إلا أبناء الشعب أنفسهم، مؤكداً على وجوب التكاتف والتعاون في سوريا ومصر، لأن المستعمر الطامع والغادر يتربص الدوائر بهم[٢٢]. وفي عدد لاحق من الصحيفة نطالع تحت عنوان (الرئيس عبد الناصر يقرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع تركيا والأردن)، حيث أشارت إلى قرار قطع العلاقات مع البلدين المذكورين بسبب اعترافهما بحكومة الدكتور مأمون الكزبري، وفي عمود آخر أشارت الصحيفة إلى قرار مجلس الوزراء السوري بحل تنظيمات الاتحاد القومي في سوريا وأضافت الصحيفة في أن حكومة الصين الوطنية وجمهورية غواتيمالا قد اعترفتا بالحكومة السورية الجديدة[٢٣].

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عمود بعنوان (آخر الأنباء عن الوضع في سوريا) أشارت الصحيفة إلى نفي الناطق العسكري السوري، بوصول العقيد الشيشكلي إلى سوريا، وأضافت الصحيفة قول الناطق العسكري، في أن الشيشكلي محكوم بعقوبة الإعدام وينفذ الحكم فيه حال دخوله الأراضي السورية، ومن أوسلو أفادت الصحيفة نبأ استقالة السيد نبيه الصباغ سفير الجمهورية العربية المتحدة في النرويج تأييداً للعهد الجديد في سوريا[٢٤].

وفي عدد لاحق من الصحيفة أبرزت خطاب الرئيس عبد الناصر، والذي أعلن فيه أنه لم يمانع في قبول سوريا عضواً في الأمم المتحدة والجامعة العربية، وأنه لن يفرض حصاراً دبلوماسياً على سوريا، وأنه سيطلب من الجامعة العربية تشكيل لجنة على الفور رداً على الاتهامات التي وجهت للقاهرة بخصوص احتياطي العملة السورية، وللتأكد من أن الخزينة السورية كانت تتلقى من مصر ثلاثة ماليين جنيه سنوياً، لتمكينها من مواجهة أعمال البناء، وأن عدد المعتقلين في سوريا لم يتجاوز الخمسة وتسعين شخصاً فقط بالرغم من الدعايات[٢٥].

أما البعض الآخر من الصحف الحكومية والتي اتسم موقفها بإطلاق الولاء والتأييد لحركة الانفصال منذ البداية، فقد كان لكل صحيفة من تلك الصحف مبرراتها في اتخاذ الموقف الذي ترتأيه إزاء الحدث، وقد اتخذنا ثلاث صحف كنموذج وعينة لموقف التأييد لحركة الانفصال وهي صحف البلاد[*] وصوت الأحرار والزمان وبيان موقف كل واحدة منهن.

إذ تحت عمود (البلاد تقول) نطالع المقال الافتتاحي لصحيفة البلاد والعنوان (الانقلاب السوري بين الوحدة وإرادة الشعب وبين وعود الحكومة الجديدة)، أشارت الصحيفة إلى أن كل الدلائل والوقائع

تشير إلى أن الشعب السوري لم ينفر من الوحدة نفسها، ولكن الذي نفره أنه وجد نفسه فجأة بعد قيام الوحدة، يواجه أساليب وإجراءات طالما ثار عليها وتمرد ليجد نفسه فجأة بلا حريات عامة، وبلا حياة ديمقراطية، وبلا برلمان يرتفع فيه صوته، وبلا أحزاب وطنية وتنظيمات سياسية واجتماعية حقيقية، وأفصحت الصحيفة عن موقفها أكثر بقولها في أن قادة الوحدة قد حصروا همهم في إقامة الوحدة، على أساس الانصهار الكامل السريع، وأن عبد الناصر كان يدرك هذه الحقيقة عندما قال في خطابه الأخير، بأنه كان يفضل أن تتم الوحدة بصورة تدريجية[٢٦].

وفي عدد لاحق من الصحيفة نطالع عمود تحت عنوان (حقائق وإرادة تكشفها أحداث سوريا الأخيرة) بقلم فائق بطيء حيث نقرأ مجمل أسباب أوردها الكاتب أدت إلى الانقلاب السوري، ومنها تغاضي قادة الوحدة الفورية عن الواقع المادي للمجتمعين السوري والمصري، وما رافق الوحدة من إجراءات عفوية، من قبل قيادة الوحدة في القاهرة... وأضاف الكاتب في أن عدم تحقيق الأسس العلمية الواقعية، وعدم إرساء دعائم وحدة عربية ديمقراطية، وما رافقت تلك الحقائق من إعلان المتحدة عدوانها السافر على قيادة ثورة ١٤ تموز، وغير ذلك مما شجع الاستعمار وأعوانه في خلق فجوة واسعة بين المتحدة والعراق، وبالتالي أدى كل ذلك إلى فشل الوحدة[٢٧].

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان (ما هو الطريق لتصحيح الأخطاء التي اعترف بها عبد الناصر؟) أشارت الصحيفة إلى خطاب الرئيس عبد الناصر، واعترافاته الخطيرة في رأي الصحيفة التي ارتكبت بعد الوحدة، وأدانت الصحيفة في تعليقها حكام القاهرة لاعترافهم بالرجعية مستشهدة بقول عبد الناصر (أننا خدعنا بالرجعية واعتقدنا بأن الرجعية يمكن أن تتصلح وأخطأنا بأننا هادنا الرجعية)[٢٨].

وواصلت البلاد تعميق موقفها في تأييد الانفصال، ومبررات أسبابه، حيث نقرأ مقالاً بعنوان (مهادنة الرجعية وضرب القوى الوطنية المخلصة في سوريا كما تعبر عنه أحداث الانقلاب العسكري الأخير) واصلت الصحيفة إلقاء الضوء على محاولة حكام القاهرة استخدام ثورة ١٤ تموز لأغراضهم ومصالحهم الشخصية، متناسين في رأي الصحيفة خطر الاستعمار والرجعية، حيث بلغ بهم الأمر إلى حد التقائهم بالاستعمار والرجعية في محاربة الجمهورية العراقية، مما أدى ذلك إلى كشف تناقضاتهم وأخطائهم، وأن أحداث سوريا في رأي الصحيفة قلبت تلمك التناقضات والأخطاء رأساً على عقب[٢٩].

ومن جانب آخر نشرت الصحيفة في عمود التعليق السياسي تحت عنوان (الموقف الذي لا بديل له) أثنت فيه على موقف الرئيس عبد الناصر حيال أحداث سوريا، وصواب سياسته بعد تأكده في خلال أسبوع من قيام الحركة. واعترافه في رأي الصحيفة من أنها ليست مجرد حركة تمرد صغيرة، إذ نالت تأييد جميع الأحزاب الوطنية السورية، وقادة الرأي العام فيها، بما فيهم الذين وقعوا صك الوحدة، وأوضحت في أن لا جدوى من تحدي إرادة الشعب، وأن عبد الناصر سيخسر كثيراً لو تمسك بتلك السياسة أما الآن فقد كسب كثيراً[٣٠].

ولم تنقطع البلاد عن التذكير بالأخطاء والاخفاقات التي منيت بها تجربة الوحدة، وفي عمود نطالع تحت عنوان (الشعب السوري بين موقفه من الحركة الانقلابية وبين استعادة مكاسبه الديمقراطية)، أشادت الصحيفة بقادة الانقلاب في سوريا وبياناتهم التي وعدت بتحقيق رغبة الشعب في الحرية والديمقراطية، ثم عادت الصحيفة وأكدت في أن محاربة الحزبية واضطهادها في عهد الوحدة، كان من أسباب سخط ونقمة الشعب السوري المتمرس في رأي الصحيفة على الحياة الديمقراطية، وأهابت الصحيفة بقادة الانقلاب السوري، إلى

إقامة نظام ديمقراطي سليم، وناشدت القادة الجدد في أن يستفيدوا على الأقل من تجارب الماضي[٣١].

أما صحيفة الزمان[*] فقد ماثلت بعض قريناتها من الصحف الحكومية الأخرى في تأييد ما واستبشارها بالحركة الانفصالية، التي أودت بفك عرى الوحدة وانفصام الجمهورية العربية المتحدة، وذلك من خلال مقالاتها التي تشير إلى تعاطف الصحيفة مع الحركة والاندفاع نحوها. ففي وسط الصفحة الأولى من صحيفة الزمان نطالع عنواناً جاء فيه (ثورة عسكرية في سوريا) وكذلك عناوين فرعية منها (القوات المسلحة تسيطر على دمشق وتحتل دار الإذاعة) و(القوات المسلحة في حلب تعلن تأييدها للحركة) ومن جانب آخر أبرزت الصحيفة عنواناً الصحيفة عنواناً أعلى الصفحة الأولى جاء فيه (صحف بيروت تتحدث عن الأزمة التي سبقت قيام الثورة العسكرية في سوريا)[٣٢].

ونشرت الصحيفة مقالاً بعنوان (أحداث سوريا الشقيقة... تمنيات الزعيم الأمين للشعب السوري تعبير عن مشاعر الشعب العراقي بأسره)، أشارت فيه إلى انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، لتصحيح الأوضاع وإعادة الحقوق الشرعية إلى الشعب السوري، وتمنت الصحيفة للشعب السوري تحقيق ما ينشده من الأماني الوطنية والقومية، وأشارت إلى خطاب الزعيم عبد الكريم في المؤتمر الفلاحي، والذي عبر فيه عن مشاعر الود والإخلاص تجاه سوريا وشعبها الأبي[٣٣].

وفي عمود آخر من الصحيفة وفي نفس العدد وبعنوان (موقف الجمهورية العراقية من سوريا الشقيقة في خطب سيادة الزعيم) أبرزت الصحيفة تأكيده لخطاب سابق بأن بلادنا سوف لا تقف مكتوفة الأيدي تجاه أي مظلمة تصيب الشعب السوري، أنهم أخوتنا وأبناء عمومتنا. وكذلك أشارت الصحيفة إلى قوله في المؤتمر الفلاحي

فـي أننـا أنذرنـا قطاعـات الجيش لتقف بوجـه الأجنبـي إذا مـا حـاول التدخل في بلاد أخوتنا، وسنوجه لمحاولات المستعمرين الغادرين ضربة خاطفة كضربة تموز المباركة"[٣٤].

لقد كان اهتمام الصحافة العراقية وخاصة الحكومية منها، في الفـترة التـي سـبقت منصبـاً علـى تـأطير السياسـة العراقيـة المتمثلـة باتجاهات الزعيم عبد الكريم، حيث كانت تلك السياسة تتسم بالعزلة القومية والمعاداة الشخصية للرئيس عبد الناصر، ولذلك فأن الصحف العراقية لـم تتنـاول تجربـة الوحـدة وإنجازاتـها، بـل اكتفـت بتجريحـها ومتابعـة خطـى الرئيس عبـد النـاصر التـي دأب فيها مهاجمـة سياسـة العراق للرد عليها وتفنيدها، وعندما حلت كارثة الانفصـال كان هنـاك تفاوت فـي موقف الصحافة العراقية تجاه الرئيس عبـد النـاصر، مثلمـا كان التفاوت في موقفها تجاه تجربـة الوحدة وحركة الانفصال، وعلى سـبيل المثـال نشـرت صحيفـة الزمـان وغيرهـا مـن الصحـف عـدداً مـن المقالات، بصيغ أعمدة أو خواطر دعت فيها إلى تصحيح الأوضاع في سـوريا وإعـادة الحقوق الشـرعية إلـى الشـعب السـوري التـي اغتصبـها الرئيس جمال عبد الناصر، وتمنـت الصحيفـة للشـعب السـوري تحقيق حكم دسـتوري ديمقراطي سليم، بعيد عن تسلط عبـد النـاصر وقيادتـه الديكتاتوريـة[٣٥] واعتـبرت بعـض الصحـف العراقيـة حركـة الانفصـال نتيجـة متوقعـة بـالنظر لمـا يسـود البـلاد العربيـة مـن عوامـل عـدم الاستقرار، وأكدت الصحيفة أن غياب الديمقراطية في ظل قيادة عبد الناصر دفعت إلى التصرفات التي لا تخضع لمبادئ القانون السائد[٣٦].

ونعـود إلـى موقـف الصحيفـة فـي تأييدهـا واندفاعـها نحـو الانفصـال، وتحـت عنـوان (أحـداث في العـراق وفـي سـوريا) بقلـم عبـد الرزاق الظاهر أشار فيه إلى الحركة الانفصاليـة، التـي أعلنـها الشـعب

كيانها السياسي بعد أن فشلت عملية الوحدة بينها وبين القطر المصري الشقيق، وقد برر كاتب المقال أن سبب انفصام عرى الوحدة، يعود إلى الاستياء من سياسة الإجراءات الاقتصادية الأخيرة، ومن الفلسفة الاشتراكية (التيتوية) اليوغسلافية(٣٧).

وفي عدد آخر من الصحيفة وعلى صدر صفحاتها الأولى وتحت عنوان (موقف الجمهورية العراقية من الشقيقة سوريا)، أشارت الصحيفة فيه إلى بعض من خطب الزعيم عبد الكريم، ووصفت الصحيفة تلك الخطب أنها ترسم السياسة الحكيمة التي تسير عليها الجمهورية العراقية، وهي سياسة ثابتة لا تتغير، واستعرضت الصحيفة بعض الخطب السابقة والتي تخص الساعة، وهي أحداث سوريا حيث أبرزت قول الزعيم في (أن الجمهورية السورية الخالدة سوف لن يمضي وقت طويل على انبثاقها إلى عالم الحرية والنور مرة أخرى، وبعد أن طمست معالمها، أن الجمهورية السورية الخالدة سوف تنبثق بتصميم شعبها المظفر)(٣٨).

وتابعت الصحيفة ما يجري في الساحة السورية، ونقلت بعنوان بارز المؤتمر الصحفي الذي عقده الدكتور مأمون الكزبري رئيس الحكومة السورية في دمشق، رد فيه على بيان الرئيس عبد الناصر الذي أدلى بها منذ بدء الانتفاضة السورية وأوضح الكزبري كيف أن عبد الناصر أحس أخيراً بفشل سياسته في سوريا واستطرد الكزبري قوله أن انتفاضتنا الثورية لم تكن نكسة للوحدة العربية، وكما أراد الرئيس عبد الناصر أن يتهمها، وإنما هي إنقاذ لمعاني الوحدة السلمية وأحياء الأمل للشعب العربي في الوصول إلى كيان عربي موحد قائم، على التكافؤ والتكامل والاحترام المتبادل(٣٩).

وعلقت الصحيفة في مقال افتتاحي بعنوان (اعتراف جمهوريتنا

الخالدة بالجمهورية العربية السورية الشقيقة دعامة قوية وسند ثابت للشعب السوري في عهد استقلاله وسيادته)، أشارت فيه بصدد اعتراف العراق بنظام سوريا الجديد، في أنه جاء تأكيدا على إيمان الجمهورية العراقية بمبدأ رابطة الأخوة العربية، التي تضمن قوة العرب وتوحيد صفوفهم وأوضحت الصحيفة في أن ما تناله سوريا وكل دولة عربية متحررة أخرى من خير وازدهار، يعود نفعه على العرب جميعا، وأن ذلك في رأي الصحيفة ما يرمز له اعتراف الجمهورية العراقية الخالدة بالجمهورية العربية السورية[٤٠]. وفي عدد آخر نقلت الصحيفة تصريحات السيد شكري القوتلي تحت عنوان (تصريحات شكري القوتلي في دمشق)، حيث أشارت إلى إعراب القوتلي عن أسفه لانفصام الوحدة بين مصر وسوريا، غير أن انفصال الوحدة والقول للقوتلي كان لا مفر منه، بسبب الأخطاء التي ارتكبها حكام الجمهورية المتحدة[٤١].

أما صحيفة المستقبل[*] فقد اتسم موقفها من الحركة الانفصالية في البداية بالتحفظ والمراقبة والاكتفاء بنشر ما تناقلته وكالات الأنباء من أخبار، إلا أن ذلك الموقف سرعان ما تحول إلى تأييد الانفصال وإبداء المؤشرات السلبية تجاه تجربة الوحدة، مسايرة بذلك الموقف العام للحكومة ونشرت الصحيفة تحت عنوان (الأوضاع الراهنة في العالم العربي)، أثنت فيه على الحكومة في العراق وتريثها في اتخاذ الموقف الذي يجب عليها اتخاذه حيال الأحداث، التي تعرضت لها سوريا وأضافت الصحيفة في أن نهج الحكومة هذا قد اختطته لنفسها منذ اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز، وحذرت الصحيفة من تدهور العلاقات العربية، لأن التدهور والتنكيل لا يقتصر خطره في رأي الصحيفة على شعب بعينه، ولا على حكومة بذاتها، بل يمتد إلى جميع هذه الشعوب والحكومات[٤٢].

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع المقال الافتتاحي المعنون (إعادة الحياة الديمقراطية الصحيحة تتكفل بحماية الشعب السوري من الانقلابات) أوضحت فيه آن الوحدة لم تكن موضع طعن أحد من المخلصين للأمة العربية، ولكن الأساليب التي أعقبتها في تدوير مصالح الشعب السوري كانت موضع الانتقاد، فقد كان بالإمكان في رأي الصحيفة ملافاة الأخطاء وتصحيحها لولا انعدام الحياة الديمقراطية الصحيحة وناشدت الصحيفة الشعب السوري وقادة الأحزاب فيه إلى الاتعاظ بالأحداث، التي آدت إلى قيام الوحدة وإلى انفصالها[٤٣]. ونقرأ في عدد آخر من الصحيفة المقال الافتتاحي المعنون (بين خطاب الرئيس عبد الناصر وأهمية التريث بالاعتراف بالحكومة الانقلابية السورية)، أشادت فيه بالرئيس عبد الناصر وإكبارها على موقفه السديد في عدوله عن موقفه المتشدد، وفرضه الحصار على النظام الجديد لسوريا مستلهماً في عدوله هذا مصالح العرب كلهم، والشعب السوري بوجه خاص، ومن جانب آخر امتدحت الصحيفة تريث الزعيم عبد الكريم بالاعتراف بالوضع الجديد في سوريا وأن في ذلك تفادي لتشديد التأزم في العلاقات بين الدول العربية، ولإعطاء فرصة لاستعادة الهدوء وضبط النفس[٤٤]. ونطالع في العدد نفسه من الصحيفة تحت عنوان (الديمقراطية هي العلاج) أشارت الصحيفة فيه إلى أن حرمان الشعب السوري من حرية العمل الحزبي، ومن الصحافة المعبرة عن أهدافه وأمانيه، كانت من أقوى عوامل انفصام الوحدة، وأردفت الصحيفة قولها في أن رغبات المخلصين من أبناء الأمة العربية، تلتقي في تمني عودة الديمقراطية الصحيحة إلى القطر السوري الشقيق بأحزابها ونقاباتها وصحفها وبرلمانها، المنتخب بحرية ونزاهة[٤٥].

وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان (الاعتراف بالحكومة السورية الجديدة ومغزى إقدام الجمهورية العراقية عليها) أشادت

الصحيفة بموقف الجمهورية العراقية إزاء الأحداث في سوريا وإقدامها على الاعتراف بالحكومة السورية الجديدة، بعد دراسة الموضوع من جميع أطرافه وفي حدود المصلحة العربية[٤٦].

من خلال استعراضنا لموقف البعض من الصحف العراقية تجاه الحركة الانفصالية نلاحظ أنه بالرغم من تفاوت تلك الصحف في موقفها ضد الوحدة ومع الانفصال، إلا أنه لم يكن هناك تشكيك وإسقاط متعمد لمنجزات الوحدة حسب، وإنما كان ثمة مبالغة وتضخيم للأخطاء، بحيث بدت تلك الصحف للقارئ والمطالع بصورة تفتقر فيها إلى الإنصاف والعدل، وتطغى عليها صفة الإجحاف والظلم، وذلك لعدم مناقشة الأخطاء التي رافقت تجربة الوحدة بشكل موضوعي وعلى هدي المبادئ البناءة والسامية، ليستطيع المتتبع والقارئ ترجيح كفة المنجزات على كفة الأخطاء أو بالعكس.

لقد حاولت تلك الصحف إفراغ الوحدة من جميع إيجابيتها، بل والأبعد من ذلك أنها وقفت مع الرجعية بدون قصد، حيث استغلت جميع المبررات والحجج التي كانت تلوح بها الرجعية العربية والغرب الاستعماري ضد الوحدة... بحيث تناسب موقف سوريا ومصر ووقوفهما ضد حلف بغداد... وتناست مواجهتها معاً ضد العدوان على مصر وحشود تركيا على سوريا... وتناست قوانين الإصلاح الزراعي وقرارات تموز الاشتراكية، فانهالت مع القوى الرجعية والاستعمارية في تجريح وضرب الوحدة... ثم تناست هذه الفئة من الصحف في أن الغرب وعملاءه قد شمروا عن سواعدهم، لتجميع قواهم بحقد وغيظ للتعاون في القضاء على الجمهورية الفتية، وعلى تلك التجربة الرائدة، للنيل من آمال وأماني الشعب العربي في أعز أهدافه وهو الوحدة.

لقد بدأت المؤامرات على الوحدة منذ يوم ولادتها، فلقد أقاموا اتحاداً هاشمياً بين الأردن والعراق، فجاءت ثورة العراق العظيمة، وبذلوا الأموال من أجل اغتيال الوحدة فدخلت الأموال خزينة

الجمهورية العربية المتحدة، قدموا الرشوة فانكشف أمرهم ونبذتهم، شعوبهم، ثم مدوا أيديهم إلى الغرب وتحالفوا معه فلم يصيبوا مغنماً، فأعيتهم الحيل وخاب فالهم وضاعت منهم الفرص وفشلت جهودهم وتخبطوا وتعثروا فزاد حنقهم، والجمهورية العربية تسير في طريقها، ولم يبق أمام هؤلاء إلا الباب الخلفي... فلجأوا إليه ودفعوا الأموال وانهارت أمام اغراءاتهم بعضاً من ذوي النفوس الضعيفة التي أغراها الوعد وأذلها المال، فضعفت وقبلت أن تضع يدها في أيدي أعداء العروبة والقومية، واستيقظ الشعب السوري يوم ٢٨/أيلول/١٩٦١، فإذا بإذاعته تنقل إليه البيان (رقم ١)... وكانت مفاجئة ذلك البيان... بعودة الماضي ثانية إلى سوريا بشروره وآثامه وفجور حكامه... أنه يحمل إليهم نبأ انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، لتعود دولة غير مستقرة تتنازعها التيارات والمطالع والأهواء[٤٧].

ولذا يمكن القول أن قيام بعض المجموعة من الصحف بالمراهنة على الجواد الخاسر 'إسرائيل' والرجعية العربية والاستعمار، واندفاعهم المتحمس تجاه الانفصال، رغم تطرق بعضها إلى التمشدق بالديمقراطية والتطلعات اليسارية، إلا أن ذلك لم يمنع من إبراز موقف مناقض لموقف الصحف الحكومية والتي نوهنا عنها.

وتعتبر صحيفة الثورة[*]، نموذجاً واضحاً في تصديها للحركة الانفصالية وشجبها، كونها تشكل في رأي الصحيفة حركة عسكرية طائشة ومجرمة، وتآمر أعداء الحركة القومية ضد الوحدة ومع الانفصال، فتحت عنوان (مؤامرة) أشادت الصحيفة بالوحدة المصرية السورية، التي أنقذت الشعب السوري من المؤامرات، وأن الوحدة في رأي الصحيفة قد تمت بشكلها الطبيعي، وأن انبثاقها جاء نتيجة استفتاء قال فيه الشعب السوري كلمته الفاصلة، ووصفت الصحيفة الحركة الانفصالية التي قام بها ونفذها عدد من العصاة الشقاة المتمردين، بأنها حركة استعمارية ورجعية، وأردفت الصحيفة قولها في

أن الجيش العربي في سوريا، سيقضي على هذه الحركة إن لم يكن قد قضى عليها، ونحن نكتب هذه السطور، وسحق القائمين بها(٤٨).

وفي عدد لاحق واصلت الصحيفة شجبها واستنكارها للحركة الانفصالية في سوريا، حيث نطالع في مقالها الافتتاحي المعنون (تقدير الموقف العربي من خلال المستوى القومي يحتم الدفاع بموضوعية عن كيان العربية المتحدة، ثمرة كفاح الشعب العربي، الطويل) أشارت الصحيفة فيه أن البيانات التي أصدرها المتمردون العسكريون، والتي تعطي في تفنيد الصحيفة دليلاً كافياً وتكشف عن صلة المتمردين وصلة بياناتهم الأربعة بـ 'إسرائيل' والأردن وبصحف الاستعمار الانكلو- أمريكي، واستشهدت الصحيفة بتعليق صحيفة التايمس اللندنية التي وصفت حركة الانفصال بقولها: (أن الثورة الناجحة!!! التي نشبت في هدا البلد العربي الذي وضع نفسه بصورة طوعية تحت حكم ناصر، لهي من الأمور التي من شأنها أن تحطم أبهة قيادته بأكملها) وكذلك أوردت الصحيفة قول صحيفة جيروشليم بوست الصهيونية في أن الطراز الناصري للوحدة العربية قد افتضح أمره لأول مرة، وقد بدا واضحاً أن الأقطار العربية وكافة أمصارها، ليست مستعدة لقبول وحدة شاملة(٤٩).

وفي مقال بعنوان (عبد الناصر والرجعية العربية) أفصحت الصحيفة موقفها بشكل أعمق تجاه الوحدة، وقيادتها المتمثلة بالرئيس عبد الناصر، حيث أوضحت في أنه مجرد انسياق عبد الناصر نحو الأفق العربي، يعني أنه سجل موقفاً قومياً آمن به، فكان هذا وحده مدعاة لسخط الرجعية العربية وعويلها. وأشارت الصحيفة إلى المخطط الاستعماري، الذي يراد به إرجاع سوريا إلى الماضي تحت ستار تحررها أو تحريرها من طراز الوحدة على حد تعبير صحف 'إسرائيل'، لكي يعالج الاستعمار فيما بعد مواضيع أخرى، وينفذ مشاريعه المحمومة، بأسلوبه الخاص(٥٠).

وفي عدد آخر نشرت الصحيفة تحت عمود (٤ فلوس... ما اتفهه ثمناً!) سخرت فيه من راديو الانفصاليين في دمشق، ونشرت ما أذاعته بعض صحف بغداد في 'أن سعر الليرة السورية ارتفع عما عليه قبل 'أيام الثورة' إذ كان يقل بسبع وثلاثين قرشاً عن سعر الليرة اللبنانية أما الآن فقد أصبح الفرق بين الليرتين ثلاثة وثلاثون قرشاً!' حيث سخرت الصحيفة من رياء وتطبيل راديو المتمردين عن طريق صحيفتهم المأجورة الحياة اللبنانية[٥١] معلقة على تفاهة الأسلوب الذي يريدون به أن يغطوا جريمتهم الخيانية، وكما أوردته الصحيفة[٥٢].

هذا وقد كانت الصحيفة قد تطرقت في نفس العدد السابق ضمن مقالها الافتتاحي المعنون (لنواجه المحاذير بيقظة وحزم وتخطيط عاجل)، حيث نددت بالحركة الانفصالية التخريبية المتمردة على كيان الجمهورية العربية المتحدة، وما شنته الحركة الانفصالية من تهجمات عدائية لم يسبق لها مثيل وبتكتيك ألبسوها الطابع الثوري، ونعتوها بالقيادة العربية الثورية، لنسف الصلة بين الإقليمين الشمالي والجنوبي تمهيداً لإرجاع سوريا إلى حظيرة العزلة الجمود، إلى حظيرة العبودية والأحلاف والقواعد العسكرية... وحذّرت الصحيفة بشدة بعدم الاستخفاف بفلول الاستعمار وأعوانه، وأن الاستعمار يملك في كل بلد حر ومستقل مجموعة من المصالح والعملاء والموتورين[٥٣].

وتحت عنوان (موقف نبيل) نطالع المقال الافتتاحي للصحيفة والذي أثنت فيه على موقف الرئيس عبد الناصر وخطابه، الذي وصفته الصحيفة، في أنه أضاف إلى مآثره الطيبة على الصعيد القومي، مأثرة جديدة طرزت آفاق العروبة بأسمى معاني التضحية، وأكدت ذلك قولاً وفعلاً، وأضافت الصحيفة في معرض تثمينها، أن رواد الوحدة العربية المخلصين لا تعنيهم ذواتهم بقدر ما تعنيهم مثلهم القومية، وأن عبد الناصر مثلاً أعلا بين الرواد الأمناء، حين عبر عن

مشاعره وأعلن عن إجراءاته لوقاية الشعب السوري من مغبة الفتنة خشية من أن تتفاقم، وينشق الشعب السوري على نفسه[٥٤].

أما بصدد الاعتراف بالنظام السوري الجديد فقد عبرت الصحيفة عن موقفها حيال هذا الموضوع في مقالها الافتتاحي المعنون (أم العجلة) مشيرة إلى عدم استتاب واستقرار الوضع الجديد في سوريا حيث ألحت الصحيفة في أن على الحكومات العربية احترام إرادة الشعب السوري، حيث ناشدت تلك الحكومات باتخاذ موقف مماثل لحكومة تونس في عدم اعترافها بالنظام الجديد في سوريا قانونياً، إلا بعد استفتاء الشعب وانبثاق الحكومة الوطنية، وأوجبت الصحيفة أن على الحكومات العربية أن تقدر الموقف في سوريا بدقة، وأن يكون مقياسها في تقرير الاعتراف مستلهماً من صميم المصلحة العربية العليا[٥٥].

وتحت عنوان (دعوا الخلافات) دعت صحيفة الثورة في مقالها الافتتاحي إلى ضرورة الإجماع العربي على خطة سياسية موحدة في المجال العربي بشكل عام وقضية فلسطين بشكل خاص، وذلك بعد أن عصفت أحداث سوريا الأليمة بمظاهر الوحدة العربية، وروعت العروبة في أعز وأضخم آمالها وأهدافها، حيث هزّت في رأي الصحيفة الكيان العربي كله، وأهابت الصحيفة بالحكومات العربية أن لا تتهاون، وأن تتخطى الخلافات وأن تضع أمام عينها المصلحة العربية العليا[٥٦].

المصادر والمراجع

(١) صباح ياسين (دكتور): الفكر والقضايا القومية في الصحافة العربية، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٦.

(٢) صحيفة الزمان: العدد ٧٢٤٧، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣) المصدر نفسه: العدد ٧٢٥٠، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.

(٤) قحطان سليمان أحمد: السياسة الخارجية العراقية، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(٥) صحيفة العهد الجديد صاحبها زكي أحمد، صدرت في ٧/تشرين الأول/١٩٦١ وألغي امتيازها في ٨/شباط/١٩٦٣ وهي من الصحف الموالية للعهد القاسمي.

(٦) صحيفة العهد الجديد: العدد ٢٤٠، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(٧) المصدر نفسه: العدد ٢٤٢، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.

(٨) المصدر نفسه: العدد ٢٥٢، الصادر في ١٧/تشرين الأول/١٩٦١.

(٩) المصدر نفسه: العدد السابق نفسه: ص ١.

(١٠) المصدر نفسه: العدد ٢٥٦، الصادر في ٢٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(❖) صحيفة التقدم: صحيفة أسبوعية سياسية منحت الامتياز في ٧/تشرين الثاني/١٩٥٧ وأصبحت يومية في ٧/كانون الثاني ١٩٥٧.

(١١) صحيفة التقدم: العدد ٧٣٨، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٢) المصدر نفسه: العدد ٧٤٠، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٣) المصدر نفسه: العدد ٧٤٩، الصادر في ١٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٤) المصدر نفسه: العدد ٧٧٤، الصادر في ١٢/تشرين الثاني/١٩٦١.

(١٥) المصدر نفسه: العدد ٧٧٧، الصادر في ١٥/تشرين الثاني/١٩٦١.

(❖) الدستور: صحيفة يومية سياسية موالية للعهد القاسمي صدرت في البصرة لصاحبها محمود العامر ورئيس تحريرها محمود الديوان.

(١٦) صحيفة الدستور: العدد ١١٢٢ الصادر في ٥/تشرين الثاني/١٩٦١.

(١٧) المصدر نفسه: العدد ١١٢٤، الصادر في١٠/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٨) المصدر نفسه: العدد ١١٢٦، الصادر في ١٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٩) المصدر نفسه: العدد ١١٢١، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(❖) صحيفة الشرق: صاحبها عبد الباقي محمد العاني وصدرت في ١٦/كانون الثاني/١٩٤٦ وكانت إسلامية النهج وذات ميول سعودية.

(٢٠) صحيفة الشرق: العدد ٣١٠، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(❖) صحيفة الثغر: وهي صحيفة صدرت في البصرة ذات طابع تقليدي في ولائها لحكومة قاسم وصاحبها شاكر النعمة ورئيس تحريرها كاظم الكيتاني.

(٢١) صحيفة الثغر: العدد ٢٨٠٠، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٦١.

(٢٢) المصدر نفسه: العدد ٢٨٠١، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٣) المصدر نفسه: العدد ٢٨٠٢، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٤) المصدر نفسه: العدد ٢٨٠٥، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٥) المصدر نفسه: العدد ٢٠٨٦، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.

(❖) البلاد: صحيفة يومية سياسية صاحبها روفائيل بطي وانتقلت إلى ورثته بعد وفاته، وتعتبر من أوسع الصحف العراقية انتشارا.

(٢٦) صحيفة البلاد: العدد ٦٢١١، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٧) المصدر نفسه: العدد ٦٢١٢، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٨) المصدر نفسه: العدد ٦٢١٣، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٩) المصدر نفسه: العدد ٦٢١٤، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣٠) المصدر نفسه: العدد ٦٢٦١، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣١) المصدر نفسه: العدد ٦٢١٨، الصادر في ١٠/تشرين الأول/١٩٦١.

(*) الزمان: صحيفة يومية سياسية إلا أن الطابع التجاري يطغى عليها، صاحبها توفيق السمعاني صدرت في بغداد ١٩٣٧ – ١٩٣٦.

(٣٢) صحيفة الزمان: العدد ٧٢٤٤، الصادر في ٢٩/أيلول/١٩٦١.

(٣٣) المصدر نفسه: العدد ٧٢٤٧، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣٤) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص ٢.

(٣٥) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص ٦.

(٣٦) المقال الافتتاحي لصحيفة الأهالي تحت عنوان (مبادئ الحكم ومطالب الشعوب العربية) العدد ٧١٩، الصادر في ٢٩/أيلول/١٩٦١.

(٣٧) صحيفة الزمان: العدد ٧٢٤٨، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣٨) المصدر نفسه: العدد ٧٢٥٠، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.
(٣٩) المصدر نفسه: العدد ٧٢٥١، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤٠) المصدر نفسه: العدد ٧٢٥٤، الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤١) المصدر نفسه: العدد ٧٢٥٩، الصادر في ١٧/تشرين الأول/١٩٦١.
(*) المستقبل: صحيفة يومية سياسية ذات ولاء قاسمي صدرت في بغداد عام ١٩٦١ وصاحبها رسمي العامل.
(٤٢) صحيفة المستقبل: العدد ٢٦٥، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤٣) المصدر نفسه: العدد ٢٦٦، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤٤) المصدر نفسه: العدد ٢٦٨، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤٥) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص ١.
(٤٦) المصدر نفسه: العدد ٢٧١، الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٤٧) محمد فرج (النضال الشعبي في سوريا وقصة الانقلاب) الدار القومية للطباعة والنشر ١٥٧ شارع عبيد روض الفرج، السنة بلا، ص ٩٨.
(*) الثورة: صحيفة يومية سياسية ١٩٥٨ - ١٩٦٣، يعد صاحبها يونس الطائي من أقرب لمقربين إلى الزعيم عبد الكريم قاسم.
(٤٨) صحيفة الثورة: العدد ٧١٢، الصادر في ٢٩/أيلول/١٩٦١.
(٤٩) المصدر نفسه: العدد ٧١٣، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥٠) المصدر نفسه: العدد ٧١٤، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥١) المصدر نفسه: العدد ٧١٥، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥٢) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص ١.
(٥٣) المصدر نفسه: العدد ٧١٨، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥٤) المصدر نفسه: العدد ٧٢٠، الصادر في ٩/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥٥) المصدر نفسه: العدد ٧٢١، الصادر في ١٠/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥٦)

٢- الصحافة الحزبية وموقفها من الانفصال:

أدت الصحافة الحزبية دورا مهما في معالجة القضايا الوطنية على الساحتين المحلية والعربية، وأن التاريخ الوطني للصحافة الحزبية مازال يذكر النضال القومي وما قطعته تلك الصحافة من أشواطا هامة عبر نضالها المرير، في إصرارها على تحقيق رسالتها المستمدة من إيديولوجية الأحزاب الوطنية السرية منها والعلنية.

من خلال تتبعنا لموقف الصحافة الحزبية إزاء الحركة الانفصالية، يتجلى لنا بوضوح موقف كل صحيفة تجاه الحدث وبدءا نطالع صحيفة البيان(*)، وما اتسم موقفها المستقل وإبداء الأسف على حدث الانفصال، بالرغم من مؤشراتها السلبية على تجربة الوحدة، حيث نطالع في مقالها الافتتاحي المعنون (حوادث من سوريا يجب أن لا تؤخر ركب التحرر العربي) أفصحت الصحيفة فيه عن موقفها بضرورة تقديم التضحية من جانب الحكومات المعنية، كي لا ندع الموقف يتطور تطورا يضرب مصالح العلاقات العربية في المدى البعيد، وناشدت الصحيفة في مقالها النظام الجديد في سوريا بإقامة نظام ديمقراطي سليم في الداخل، وعدم إقحام البلاد بالانحياز إلى أي من الكتلتين المتخاصمتين في جو السياسة الدولية الخارجية[١]. وفي عدد آخر من الصحيفة وتحت عنوان (تهيئة الجو اللازم لنمو العلاقات العربية وتطويرها هو السبيل لإقامة اتحاد عربي شامل)، أشارت الصحيفة إلى العلاقات بين المسؤولين في سوريا ومصر أبان الوحدة بعد ارتكازها في رأي الصحيفة على أساس الثقة المتبادلة والشعور بالتكافؤ، بل كان يشوب هذه علاقات شعور التشكك والتخوف والتحسس بأن هناك حاكما ومحكوما، وأن هناك تسخيرا لجهة في سبيل مصلحة جهة أخرى، حتى أدى الأمر إلى وقوع تلك الحوادث المؤسفة التي فصمت الوحدة بين مصر وسوريا[٢].

ومن جانب آخر أشادت الصحيفة بموقف الجمهورية العربية المتحدة، إزاء أحداث سوريا وتحت عنوان (موقف الجمهورية العربية المتحدة من أحداث سوريا يخدم مصلحة العرب) إذ أبدت الصحيفة إكبارها وتقديرها لموقف الرئيس عبد الناصر، عند رفضه الحرب العسكرية لأن تكون وسيلة إلى تدعيم الوحدة، وأن تكون الحرب الأهلية بديلاً لذلك، على أن الصحيفة فندت إجراء الرئيس عبد الناصر بأنه مستمد من حقيقتين أولهما، أن الوحدة لا يمكن أن تقوم على الظواهر والشكليات، وثانيهما أن انفصام الوحدة لا يعني ضياع الأمل بجمع الصف العربي(٣).

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع المقال الافتتاحي المعنون (قيام جبهة عربية كفيل بتحقيق أماني الأمة العربية) استعرضت فيه العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، والتي وصلت إلى حد القطيعة بسبب التصرفات في رأي الصحيفة، والتدخلات التي بدرت من المتحدة تجاه العراق، وأوضحت الصحيفة أن السبب في ذلك يعود إلى الوحدة القلقة بين مصر وسوريا، واتسام تلك الوحدة بالمركزية الشديدة التي رافقها استعمال القوة والعنف، وكبت الحركات مما أدى إلى انفصام عراها(٤).

ونقلت صحيفة المبدأ(*)، أخبار الحركة الانفصالية بالأخبار والعناوين التقليدية التي تناقلتها وكالات الأنباء والصحف العربية والمحلية، إذ نشرت على صفحتها الأولى تحت عنوان (تشكيل وزارة سورية انتقالية) أشارت فيه إلى إعلان تشكيل الوزارة الجديدة عقب الحركة الانفصالية برئاسة الدكتور مأمون الكزبري(٥)، وفي نفس العدد من الصحيفة وعلى نفس الصفحة الأولى، أبرزت خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم والذي قال فيه "أننا في الأيام الثلاث الماضية عندما

أما صحيفة صوت الأحرار(*) فقد اتسم موقفها بالتأييد والحماس للحركة الانفصالية حيث نلاحظ خلال عناوينها ومقالاتها الافتتاحية وأعمدتها التي نشرتها وسخرتها، لاعتقادها كما يبدو بضرورة الانفصال، فتحت عنوان (الوضع الجديد في سوريا) قالت بأن حركة الجيش السوري لم تستند في سرعة نجاحها على قواها العسكرية حسب، وإنما استندت في ذلك إلى جملة عوامل وظروف سياسية واجتماعية، عبرت عن بعضها على حد زعم الصحيفة تظاهرات الشعب السوري، التي رافقت اندلاع الحركة مطالبة إطلاق الحريات الديمقراطية وشجب سياسة الإرهاب، وأوضحت الصحيفة في أن الحكم على حركة الجيش السوري من خلال أفراد معينين، لا يمكن اعتباره حكما صائبا، كما لا يمكن الحكم على أية حركة أخرى من زاوية التقديرات السطحية(٩).

وعلى صدر الصفحة الأولى من الصفحة نطالع عنوانا بارزا جاء فيه (عدد كبير من رجال السياسية في سوريا وبينهم كل الوزراء الذين وقعوا على الوحدة مع مصر... يؤيدون حركة الجيش السوري ويهاجمون حكم عبد الناصر)، أشارت الصحيفة إلى البيان الذي وقعه عدد كبيرا من رجال السياسة العاملين في الحقل القومي، والذي دعوا فيه إلى إقامة حكم دستوري ديمقراطي بعد أن تخلص الشعب السوري من الحكم الديكتاتوري. وكان من بين الموقعين أحمد الشرباتي وأسعد هارون وأكرم الحوراني وحسن مراد وخالد العظم وصبري العسلي وصلاح البيطار ومحمد العش وهاني السباعي(١٠).

وفي عدد آخر من الصحيفة استعرضت في مقالها الافتتاحي، البيان الأول للحكومة السورية بعد تشكيلها، والتي أبرزت فيه الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة في المجالين المحلي والعربي، والسير على

لاحظنا اشتداد الحوادث لدى إخواننا السوريين الصيد الأشاوس، أنذرنا قطعات الجيش لتقف بوجه المستعمرين إذا ما أرادوا آن يتدخلوا في شؤون إخواننا لنضربهم ضربة ساحقة كضربة يوم ١٤ تموز المباركة، وأننا نوجه ندائنا إلى إخواننا في سوريا ومصر، أن يمدوا أيديهم لبعضهم بالصفاء لكبح جماح المستعمر الغادر المتربص، وأننا سند للأمة العربية[٦]. وبعد تثبيت دعائم النظام الانفصالي كشفت الصحيفة عن موقفها بشكل جلي وواضح من خلال مقالها الافتتاحي والمعنون (اعتراف جمهوريتنا بالجمهورية العربية السورية مطلب قوي عادل وعاجل) بقلم داود الصائغ، جاء فيه أن ثورة الشعب السوري الشقيق البطل وجيشه الباسل ضد وحدته المصطنعة المبسترة مع حكام مصر هي ثورة فجرتها منطق الأشياء، وجاءت محققة لما كنا نتوقعه ومؤيدة لأدائها، التي سجلناها في منهاج حزبنا الشيوعي العراقي، وأشار كاتب المقال إلى أن ما سبق وأن ذكره في السابع من أيلول عام ١٩٥٩، في الشهادة التي أدلى بها أمام محكمة الشعب بأن 'من يتعجل الوحدة العربية قبل نضوج ظروفها يعمل على إجهاضها' وأضاف كاتب المقال، أن ثورة الشعب السوري فكت الرباط التعسفي الجائر الذي كان قد ربط مصالحه الوطنية ومطامحه القومية بدكتاتورية مصر[٧].

وفي عدد آخر برزت الصحيفة وسط صفحتها الأولى عمودا بارزا بعنوان (التوقيع على اتفاقية التعاون الاقتصادي بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية السورية) جاء في نص اتفاقية التعاون الاقتصادي بين الجمهوريتين العراقية والسورية بعد مفاوضات دامت خمسة أيام، وأشادت الصحيفة بالاتفاقية مؤكدة على حد زعمها في أن هذه الاتفاقية بين شعبينا قد حققت قوية للاستعمار[٨].

النهج الديمقراطي، وجاء تعليق الصحيفة على البيان في أنه يفضي إلى انتشال الشعب السوري مما عاناه خلال سنوات الوحدة، نتيجة الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية، والتي لعبت دورا حاسما في حركة الجيش السوري الأخيرة[١١]. وبعد اعتراف العراق بالجمهورية العربية السورية علقت الصحيفة في مقالها الافتتاحي في أن اعتراف العراق بسوريا يعبر عن طبيعة الأوضاع السياسية والاجتماعية في كلا البلدين، وأهابت الصحيفة بالحكومات العربية المستقلة للاعتراف بالحكومة السورية الجديدة، لأنه رأي الصحيفة يعتبر بمثابة خطوة بالغة الأهمية في طريق القضاء على الاستعمار وحكوماته العملية في سائر أجزاء العالم العربي[١٢].

وفي عدد آخر نقرأ المقال الافتتاحي المعنون (الكفاح المشترك)، والذي أكدت فيه إصرار الشعب السوري على التضامن مع الشعب العربي، وحكومته المستقلة، وأشارت إلى تجاوب النظام الجديد في سوريا مع الجمهورية العراقية، ولم يمض شهر على فشل تجربة الوحدة السورية — المصرية، وأوضحت الصحيفة في مقالها في أن ما قاله الزعيم عبد الكريم قاسم للوفد الاقتصادي السوري المفاوض عن وجوب التعاون، وأن تأييد الشعب العراقي لشقيقة الشعب السوري، إنما يعبر عن الواقع التاريخي المشترك الذي يشد سوريا بالعراق، ويجمعها مع البلاد العربية كلها[١٣].

ولا شك في أن الساحة السياسية العراقية وقت وقوع جريمة الانفصال في أيلول عام ١٩٦١ كانت تفتقر إلى صحافة -حزبية بالمعنى الصحيح، سواء كانت تلك الصحافة شيوعية أو قومية، فصحيفة اتحاد الشعب[*] لسان حال الحزب الشيوعي كانت معطلة، وينطبق الحال على الصحف القومية ذات الاتجاه الوحدوي رغم استقلاليتها

كصحيفة الحرية(*)، وبصدد المجلات ذات الاتجاه الشيوعي وموقفها تجاه الحركة الانفصالية نتناول مجلة ١٤ تموز(*) التي اتسم موقفها بالتأييد والمباركة للحركة الانفصالية، حيث كتبت مقالا بعنوان (الجبهة الوطنية والحريات الديمقراطية شرطان لازمان لتثبيت الظروف سوريا الشقيقة)، أشارت فيه إلى أن الأوضاع الطبيعية قد أخذت تشق سبيلها بعد ثلاث سنوات من حكم الوحدة مع مصر، ومن الحكم الدكتاتوري الذي أخذ الشعب السوري بالشدة، وأفصحت المجلة في رأيها أن الاستقرار في ظل الإرهاب والتنكيل لابد أن يتفجر، وأن الديمقراطيين والتقدميين العرب في رأي المجلة، كانوا على ثقة تامة في أن هذه الوحدة ستقصم، بسبب ذلك البطش والإرهاب، وتوقعت المجلة أن الجبهة الوطنية المرتقبة في سوريا ستكون أساسا لعودة سوريا واحة مضيئة في حركة التحرر العربي(١٤).

وفي نفس العدد نشرت المجلة عمودا تحت عنوان (موقف الأوساط السورية من الانقلاب الأخير) أشارت فيه نقلا عن راديو دمشق إلى البيان الذي وقعه كل من خالد العظم – الكتلة الديمقراطية – وأكرم الحوراني وصلاح البيطار – حزب البعث العربي الاشتراكي وصبري العسلي – الحزب الوطني – وأحمد قنبر – حزب البعث – وأحمد الشرباتي وأسعد هارون وبشير العظمة وحامد الخوجة ورشاد صبري وفؤاد قدري ومحمد العايش ونجيب الارمنازي وهاني السباعي – وهم من حزب التحرير والأخوان المسلمين والمستقلين، وقد جاء في البيان تأييدهم لحركة الجيش، وشجبهم لحكم الطغيان والتسلط والانحراف، الذي أقامه عبد الناصر في كل من سوريا ومصر 'هذا النظام الذي أفقد الوحدة من كل معانيها السامية وأبعدها من أن تكون نواة الوحدة العربية الشاملة' ودعا البيان لإقامة حكم دستوري ديمقراطي صحيح يكل للشعب سيادته وممارسة حرياته السياسية

والاجتماعية[١٥] وفي عدد آخر أشادت المجلة في مقالها المعنون (كفاح الشعب السوري من أجل الديمقراطية يستند في إقامة حياة حزبية تضمن للشعب ممارسة حقوقه المشروعة)، بالحركة الانفصالية وأوضحت المجلة في مقالها أن العراقيين يحرصون على أن يجدوا سوريا بلدا ديمقراطيا حقا، وأضافت المجلة أن سوريا إذا ابتلت بنكبة فأنها نكبة إلغاء الديمقراطية، وتعطيل الحياة الحزبية وتقييد حرية التعبير لدى الصحف التي لا تنتقد في رأي المجلة سوى ما يسوء السلطة[١٦].

وفي عدد آخر من المجلة وتحت عنوان (الديمقراطية وحرية الأحزاب) استشهدت المجلة بالبيان الذي أصدرته القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، إذ أشارت إلى وجهة نظرها في الكشف عن الانحرافات التي باتت تهدد الانطلاقة القومية الرائعة التي كانت الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة أولى خطواتها، وجاء في البيان كما ورد في المجلة أن حكم عبد الناصر لم يستطع دعم التفاعل الشعبي الواسع في الأقطار العربية معه، رغم وحدة مصر وسوريا لأن يتطور إلى حكم ديمقراطي شعبي[١٧]. وفي عدد آخر كتبت مجلة ١٤ تموز في مقالها الافتتاحي المعنون (الميثاق السوري يعبر عن إرادة الشعب في نظام حكم ديمقراطي) أكدت فيه أن العيب ليس في الأحزاب قدر ما هو في أنظمة الحكم، التي تهدف إلى الحد من ممارسة الشعب للإشراف على أجهزة الدولة عن طريق ممثليه السياسيين، وأبدت المجلة مباركتها النظام الانفصالي في تجربته نحو الائتلاف الوطني، وأوضحت في أن أي ائتلاف وطني يقوم على أساس المساواة بين القوى السياسية، يكفل لتلك القوى صيانة المكاسب الوطنية والاجتماعية[١٨].

المصادر والمراجع

(*) البيان: صحيفة يومية سياسية ناطقة بلسان الحزب الوطني التقدمي الذي يرأسه محمد حديد بعد انشقاقه عن الحزب الوطني الديمقراطي، وقد منحت هذه الصحيفة الامتياز يوم ١٠/ أيلول/١٩٦٠ وكان رئيس تحريرها سلمان العزاوي المحامي.

(١) صحيفة البيان: العدد/٤١٦/، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢) المصدر نفسه، العدد /٤١٧/، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣) المصدر نفسه: العدد /٤١٩/، الصادر في ٨/تشرين الأول/١٩٦١.

(٤) المصدر نفسه: العدد /٤٢١/، الصادر في ١٠/تشرين الأول/١٩٦١.

(*) المبدأ: صحيفة يومية سياسية ناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي/جناح داود الصائغ وجماعته دفعتهم الحكومة لتأسيس هذا الحزب لمواجهة الحزب الشيوعي العراقي/جناح زكي خيري.

(٥) صحيفة المبدأ: العدد /١٥/، الصادر في ٣٠/ أيلول/١٩٦١.

(٦) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص١.

(٧) المصدر نفسه: العدد /١٦/، الصادر في ١٧/تشرين الأول/١٩٦١.

(٨) المصدر نفسه: العدد /٢٠/، الصادر في ٤/تشرين الثاني/١٩٦١.

(*) صوت الأحرار صحيفة يومية سياسية ذات اتجاه يساري صدرت في بغداد في ١٢/ آذار/١٩٥٩، وتولى لطفي بكر صدقي إصدارها وألغيت في ٨/شباط/١٩٦٣.

(٩) صوت الأحرار: العدد /٩٥١/، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٠) المصدر نفسه: العدد /٩٠٣/، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(١١) المصدر نفسه، العدد /٩٠٥/، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٢) المصدر نفسه، العدد /٩١٠/، الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٣) المصدر نفسه، العدد /٩٣٠/، الصادر في ٣/تشرين الثاني/ ١٩٦١.

(*) اتحاد الشعب صحيفة يومية سياسية صدرت في ٢٥/كانون الثاني/١٩٥١، وقد ورد في الصفحة الأولى من عددها الأول الصادر في ٢٥/كانون الثاني/١٩٥٩ ما يوحي إلى برمجة خطتها بالاستمرار وفق النهج الشيوعي

وأن أهم أهدافها كما ورد في خطتها تحقيق حريات الشعب الديمقراطية من خلال التنظيم الحزبي والنقابي وعندما وقع الانفصال كانت هذه الصحيفة معطلة بموجب حكم صدر من المجلس العرفي العسكري الثاني في ١٧/أيلول/١٩٦٠ يقضي بتعطيل الصحيفة وحبس رئيس تحريرها عبد القادر إسماعيل الذي حوكم أمام المجلس العرفي العسكري الثاني بموجب المادة (٢١) من مرسوم المطبوعات رقم (٢٤) لسنة ١٩٥٤، ذي الأثر الرجعي وللمزيد أنظر، فائق بطي، صحافة تموز، الطبعة الأولى، مطبعة الأديب، بغداد السنة ١٩٧٠، ص٩٥.

(*) صحيفة الحرية: صحيفة يومية قومية، قرر الحاكم العسكري العام إلغاء امتيازها في ١٧/آب/١٩٦١ استنادا إلى الفقرة (٢) من المادة الرابعة من مرسوم المطبوعات رقم (٢٣) لسنة ١٩٥٤، فتوقفت عن الصدور ستة أشهر متواصلة وقد قدم صاحب الامتياز قاسم حمودي المحامي اعتراضا ضد قرار لإلغاء غير أن رئيس الوزراء حينذاك عبد الكريم قاسم رد الاعتراض مذيلا بهامشه الوارد على أصل الطلب في ٢٠/أيلول/١٩٦١ بعدم إمكانية إبطال قرار الحاكم العسكري العام القاضي بإلغاء امتياز الصحيفة. وللمزيد أنظر (د. ك. و) ملفات وزارة الثقافة والإعلام رقم التصنيف ٤٢٠٣٠٢/٣٢٨ إجازة صحيفة الحرية.

(*) مجلة ١٤ تموز مجلة أسبوعية سياسية ذات اتجاه شيوعي، وكان رئيس تحريرها المحامية نعيمة الوكيل.

(١٤) مجلة ١٤ تموز، العدد /٤٤/، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٥) المصدر نفسه، العدد السابق نفسه.

(١٦) المصدر نفسه، العدد /٤٥/، الصادر في ١٦/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٧) المصدر نفسه، العدد /٤٦/، الصادر في ٢٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(١٨) المصدر نفسه: العدد /٤٩/، الصادر في ١٣/تشرين الثاني/١٩٦١.

٣- الصحافة القومية وموقفها من الانفصال:

لقد اتسم موقف الصحف القومية بالتفاوت وعدم التماثل في الاندفاع والحماس في شجبها واستنكارها للحركة الانفصالية، ففي الوقت الذي أبدت فيه بعض الصحف تحفظها وانطوائها تحت مظلة الأخبار التي تناقلتها وكالات الأنباء نرى نموذجا آخر، عكس ذلك تماما في التحدي والشجب ومبوقف مقرونا بالشجاعة والإقدام ولما تمليه عليها رسالتها القومية تجاه الانفصال.

وتعد صحيفة المنار واحدة من الصحف التي اتسم موقفها بالخنوع والتراجع عن قلمها المعهود، وعدم اضطلاعها بواجبها القومي والسياسي، تماشيا مع نغمة حكومتها مما يثير الدهشة والاستغراب إضافة إلى هويتها القومية، وتأكيدها على أهمية التضامن السياسي العربي، وضرورة إقامته، وعلى سبيل المثال ما جاء بمقالها الافتتاحي المعنون (إذا لم يكن التضامن العربي حصيلة الكفاح الطويلة فأي حصيلة بعد هذا تجد بنا نفعا؟) والتي عبرت فيه عن سئمها من سياسة العزلة والفرقة، وأشارت في مقالها هذا إلى أن التضامن، ليس هو برغبة شخص من الأشخاص، ولا هو مطلب عابر، بل هو عامل الحياة للأمة العربية[1]، وكانت الصحيفة تواصل دعواتها المستميتة لتحقيق التقارب بين وجهات النظر العربية، بل والأكثر من ذلك دعوتها الخفية في التقارب مع الجمهورية العربية المتحدة، من خلال مقالاتها التي تدعوا فيها إلى التضامن السياسي والعسكري، وتحت عنوان (توحيد القيادة العسكرية بين الدول العربية)، أشارت الصحيفة إلى ما يسود العالم من صراع سياسي وعقائدي، وشدد الصحيفة على وجوب التأكيد لتحقيق التضامن بكل أشكاله السياسية والاقتصادية والعسكرية، لبناء دولة عربية قوية قادرة على مواجهة التيارات العاصفة[2].

إن ما عرضناه من الطموحات التي كانت تتبناها صحيفة المنار يعتبر عينة من التوجهات القومية، ولذلك يصبح استغرابنا مشروعا ودهشتنا واردة، من موقف الصحيفة تجاه حدث الانفصال، والذي يتعارض آساسا مع نهجها المعروف في التضامن العربي ظاهريا والوحدوي باطنا.

ونعود إلى موقف الصحيفة من الانفصال والذي اتسم كما نوهنا بالتحفظ حيث نطالع بعض العناوين وسط صفحتها الأولى ومنها (تأليف حكومة مدينة انتقالية برئاسة الدكتور مأمون الكزبري إضافة إلى توليه منصبي وزارة الخارجية والدفاع)، وتحت عمود متداخل من الأخبار نطالع ونقلا عن القاهرة، تواجد المشير عبد الحكيم عامر والفريق جمال فيصل قائد الجيش السوري الأول في القاهرة، وأن السراج قد فر من منزله في دمشق[٣]. وفي عدد آخر واصلت الصحيفة نشر ما تناقلته وكالات الأنباء عن قيام تظاهرات في كل من القاهرة وبيروت منددة بالثورة السورية على زعم الصحيفة، ومن جانب آخر أفادت الصحيفة باعتراف كل من الأردن وتركيا بحكومة دمشق[٤].

وفي عدد لاحق نشرت الصحيفة نقلا عن القاهرة قطع الرئيس عبد الناصر علاقات بلاده مع تركيا والأردن، لاعترافهما كأول دولتين بالنظام الجديد في سوريا، وأشارت الصحيفة في عمود آخر إلى تواجد ١٢٠ ألف لاجئ فلسطيني في سوريا من أنصار الرئيس عبد الناصر، وقد وجهت إذاعتا دمشق والقاهرة إذاعات خاصة، إلى الفلسطينيين المقيمين في سوريا طالبة تأييدهم[٥].

وقد ورد في عمود الصحيفة (من أسبوع إلى أسبوع) وتحت عنوان (أحداث الثورة الانفصالية في سوريا) أشارت فيه صحيفة المنار إلى خطابي الرئيس عبد الناصر والتي أوضح في أحدهما وقف جميع

العمليات العسكرية، تجاوبا مع ضميره وعقله اللذين كانا لهما الحكم الفاصل على حد زعم الصحيفة، وكذلك أشارت إلى الخطاب الثاني الذي ألقاه بعد سبعة أيام من حركة الانفصال، والذي أشارت فيه إلى كيفيه دعم الاقتصاد السوري، وأضافت الصحيفة أن الرئيس عبد الناصر طالب الجامعة العربية بتشكيل لجنة للتحقيق في بض النقاط لرد بعض الإشاعات التي روجت مؤخرا حول مسألة غطاء العملة السورية، والإعلان عن مدى المساعدة التي كانت تقدم من الإقليم الجنوبي للإقليم الشمالي وإلى غير ذلك من الأمور[٦].

وتحت عمود بارز وسط الصفحة الأولى من الصحيفة وتحت عنوان (الجمهورية العراقية تعترف بالحكومة السورية الجديدة)، أشارت الصحيفة إلى قرار مجلس الوزراء المنعقد بتاريخ ٩/تشرين الأول/١٩٦١ بالاعتراف بالجمهورية العربية السورية اعترافا كاملا لتكون عضوا فعالا في الأسرة العربية لتعمل في سبيل الإنسانية، وخير العرب والمسلمين[٧].

وواصلت الصحيفة موقفها المتحفظ جدا والمساير للمنهج الحكومي إذ أشارت في نفس العدد إلى رسالة السيد شكري القوتلي وتأييده للعهد الجديد، علما بأنه في زيوريخ حيث يرقد في المستشفى هناك[٨].

وتناقلت الصحيفة إجراءات حكومة الانفصال، ومنها إلغاء التأميم مكن الشركات وإلغاء بعض قوانين الإصلاح الزراعي، كما تطرقت الصحيفة إلى اعتراف بعض الدول الكبرى والدول الصغرى، والتي بلغ عددها أكثر من سبع وعشرين دولة[٩].

وقد كشفت الصحيفة لأول مرة عن رأيها بشكل واضح من الأحداث في سورية دون التعكز على الأخبار الوافدة، وتحت عمود بعنوان (التماسك أضمن) حيث عبرت عن رأيها في أن انفصال سوريا

عن مصر، يجب أن لا يكون ثغرة يتسلل من خلالها العدو الصهيوني في تمزيق الصف العربي، وحذرت الصحيفة من الفرقة والتباعد بين القطرين الشقيقين وتجنب الشتائم بين دمشق والقاهرة(١٠).

أما صحيفة الفجر الجديد (*) فيتجلى موقفها بوضوح، حيث يمثل النموذج الجريء في تأييدها للجمهورية العربية المتحدة، واستنكارها للانفصال، إذ اتسمت مقالاتها وأعمدتها بالتشدد والاستنكار الشديدين إزاء الحدث، وأبدت تلك المقالات موقفا ذات منهج يغاير نهج الحكومة تماما بل وتحديا له. فتحت عنوان (امتحان سوريا الأخير بحركة تمردية خطيرة الأهداف والعواقب) أشارت فيه إلى مؤامرات وقلاقل المعسكرين الغربي والشرقي، واتفاقهما في الهدف المستند على ما حدث في سوريا، وأضافت الصحيفة في أن الحركة الانفصالية لو حدثت في غير هذه الظروف التي تكتنفها شتى الأحداث والأخطار، لاحتملت تفسيرا بريئا، أما وأنها جاءت في رأي الصحيفة في هذا الوقت العصيب، فهي لا تسلم أبدا من الأصابع الاستعمارية والإقليمية، وهي لا تمت بعلاقة للوطنية والقومية من قريب أو بعيد(١١).

وفي عدد لاحق نشرت الصحيفة مقالا افتتاحيا بعنوان (بداية المرحلة الجديدة لعاقبة الحركة الانفصالية الأخيرة في سوريا)، حيث أشارت إلى أحرار العرب لم يكونوا مطمئنين إلى مقاصد هذه الحركة، بل كان خوفهم على سوريا يحول دون إعلان الاستنكار معتقدين بادئ الأمر أن الحركة لا تمس القومية، وإنما تتعلق بخلاف على بعض الأمور الداخلية، وحيث توضحت لهم الأهداف والمقاصد، أخذهم الذهول من شدة الصدمة، وذكرت الصحيفة في أن جميع النزعات والشهوات التي كانت نائمة أخذت تستيقظ الآن، وتعيد سوريا تلك المحن التي ما نجت منها إلا بتحقيق الوحدة(١٢).

ونطالع في وسط الصفحة الأولى من نفس العدد بيانا يحمل عنوانا جاء فيه (بيان إلى الأمة العربية الكريمة بشأن الحركة الانفصالية في الإقليم الشمالي من لجمهورية العربية المتحدة)، أشار إلى شجب واستنكار موقعيه الجريمة الشنعاء التي قام بها نفر من الخونة، ودعا البيان الشعب لسوري إلى إدانة الانفصال، والتزام مبدأ الوحدة، ورد الانتكاسة التي التقى فيها الاستعمار والرجعية، وكان من بين الذين وقعوا البيان أديب الجادر نقيب المهندسين وعبد الرزاق شبيب نقيب المحامين والدكتور محمد ناصر نقيب المعلمين والدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جمعية الكتاب والمؤلفين والدكتور أحمد كمال عارف نقيب ذوي المهن الطبية والدكتور حسن ثامر رئيس جمعية الاقتصاديين العراقيين(١٣).

وفي عدد آخر نطالع المقال الافتتاحي المعنون (سابقة خطرة في قيام وتشجيع الحركات الانفصالية) والتي نددت فيه بحكومة الأردن، لتأييدها حركة التمرد في دمشق، وأشارت الصحيفة إلى أن الأردن يصفق هذه الأيام طربا للانفصال في سوريا ولعله يحلم كما يحلم عبد الله من قبل بضم سوريا إلى الأردن، بعد أن يصيبها الوهن والضعف، وألمحت الصحيفة في أن الذين اعترفوا أو أوشكوا على الاعتراف مكان نكاية بالأمة العربية، وأوضحت الصحيفة في مقالها أن العرب كلهم يعرفون أن الاستعمار ما حاربهم إلا بإضعافهم، وتفريق كلمتهم وسوف يظل يشهر هذا السلاح في وجودهم القومي(١٤).

وفي العدد نفسه من الصحيفة وتحت عمود (في الأفق العربي) نطالع المقال المعنون (أنقذ الله الجمهورية العربية المتحدة) بقلم كمال جنبلاط، حيث شدد الكاتب بضرورة الوقوف إلى جانب وحدة الشعب العربي في الجمهورية العربية السورية، وأشاد الكاتب بالرئيس عبد الناصر في قوله 'لقد أتاحت العناية الإلهية في ظرف من القدر العربي أن يقوموا

وأن يتمردوا على الاستعمار على يد رجل لا تبعث به الأجيال مرتين'، واستطرد الكاتب قوله: 'اللهم ألهم القائد بأن يتحمل في أعصابه وجوارحه وقلبه وفكره الآلام الكبيرة من أجل هذه الأمة'[١٥].

وفي عدد لاحق واصلت الصحيفة تنديدها بالحركة الانفصالية في مقالها الافتتاحي المعنون (الوثبة القومية بعد أحداث التمرد في سوريا) إذ أوضحت فيه أنه لم يدر في خلد الذين دبروا الفتنة الرجعية الاستعمارية الانتهازية في دمشق، الغليان العاصف والغضب المزمجر للأحداث التي وقعت في سوريا، وأوضحت الصحيفة في أن الفئة الطائشة والانقلاب الرجعي الاستعماري، ما هي إلا فضيحة جديدة، حيث رحب بها الاستعمار والصهيونية وأعداء العرب وعبيد الأجانب، وتساءلت الصحيفة في مقالها: أليس من حق الأمة العربية، أن تبدي هذا السخط الصاع على حركة تثير إعجاب أشرار الخونة[١٦].

وواصلت صحيفة الفجر الجديد سخطها على حركة الانفصال، حيث أشارت في مقالها الافتتاحي المعنون (نقطة الأطماع خلال الردة الرجعية الاستعمارية) إلى سياسة اللف والدوران التي مارستها الحكومة الأردنية تجاه المتمردين في دمشق، وجددت الصحيفة شجبها للحركة الانفصالية واصفة إياها أنها ردة استعمارية[١٧].

وتحت عمود آخر من العدد نفسه وتحت عنوان ('إسرائيل' والتطورات الأخيرة في سوريا... خلافات الحكام العرب تعزز 'إسرائيل' وتقوي كيانها) بقلم المعلق السياسي للفجر الجديد حيث أبدى كاتب العمود استغرابه من بعض الفئات العربية الحاكمة في تماثلها لنفس النهج 'الإسرائيلي' في استبشارها بالانفصال وإظهارها التشفي بالأمة العربية، وتجربة الوحدة وأشار كاتب العمود، إلى أن حركة الانقلاب السورية ثغرة كبيرة في الصف العربي[١٨].

وفي عدد لاحق من الصحيفة نشرت وسط صفحتها الأولى عمودا تحت عنوان (فريق من الصحفيين يستنكرون التمرد الرجعي) حيث أشارت الصحيفة، إلى البرقية الموجهة إلى الرئيس عبد الناصر من عدد من أعضاء الأسرة الصحفية، والتي استعرضوا فيها نضال الأمة العربية في سبيل الوحدة عبر الأجيال، التي تتوج بقيام الجمهورية العربية المتحدة، وأبدى الصحفيون في برقيتهم استنكارهم وشجبهم للتمرد الرجعي الاستعماري، وكان من بين الموقعين على البرقية وكما ورد في الصحيفة، محمد طه الفياض، وقاسم حمودي، ومحمد العاني، وسجاد الغازي وناجي العبيدي ورجب بركات(١٩).

وتحت عنوان (عبد الناصر يذيع بيانا من راديو القاهرة) أشارت الصحيفة إلى خطاب الرئيس عبد الناصر والذي استعرض فيه بالأرقام مدى مساهمة الإقليم الجنوبي بدعم اقتصاد سوريا ودعم ميزانيتها، وأضافت الصحيفة استنادا إلى الخطاب، في أن الجمهورية العربية المتحدة لن تقف حائلا دون قبول سوريا في الأمم المتحدة والجامعة العربية، ومن جانب آخر أشارت الصحيفة في أن الرئيس عبد الناصر طلب خلال خطابه، تأليف لجنة للتحقيق في عدة قضايا تتعلق بخصوص المعتقلين والخزينة السورية قبل وبعد الوحدة(٢٠).

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع مقالها الافتتاحي المعنون (نهاية سياسة للوضع المتأزم بين مصر وسوريا) حيث استعرضت الصحيفة الظروف التي رافقت قيام الوحدة، وأكدت الصحيفة في مقالها، أن السوريين هم الذين أصروا على الوحدة للنجاة من المؤامرات الاستعمارية، التي حاقت بهم وأخذ البعض في رأي الصحيفة، يتاجر بها لقاء منافع ذاتية ونزاعات وصولية، وأشارت الصحيفة إلى بيان الرئيس عبد الناصر وحسمه للموقف سياسيا، فكان مثار إعجاب، حيث ضرب فيه أروع الأمثلة وأنبلها في إنكار الذات، وصدق الإخلاص القومي(٢١).

ولـم تتوان الصحيفـة عـن ترسيخ موقفها والإصـرار عليه، تجـاه الحـركـة الانفصاليـة، وتحـت عنـوان (شـيوعية الاسـتعمار تخـدم الحـركة الانفصاليـة والأهـداف الرجعيـة)، إذ أدانـت الصحيفـة دور الشـيوعية وتخندقـهم مـع الـدول الاسـتعمارية واستبشـارهم بجريمـة الانفصـال، وأوضحت الصحيفـة فـي أن الشـيوعية المحلية هـي فصيلة اسـتعمارية رجعية، وأن الشيوعية في رأي الصحيفة لا تتخلى عن الاندماج في كل نشاط هدم يقوم به الاستعمار في هذه المنطقة[٢٢].

ونشرت صحيفة الفجر الجديد تحت عمود بعنـوان (الاعـتراف بالجمهورية العربية السورية يبلـغ لقنصليتنـا بدمشق)، حيث أشـارت الصحيفة استنادا إلى مـا أفادتـه وكالـة الأنبـاء العراقيـة،فـي أن وزارة الخارجيـة، أبلغـت القنصليـة العراقيـة العامـة فـي دمشـق، اعـتراف العراق بالجمهورية العربية السورية. ولم تعلق الصحيفة بشيء بصدد هذا الاعتراف[٢٣].

ومـن الصحـف القومية التـي اتسـم موقفها بـالتصدي والشـجب للحـركة الانفصاليـة، صحيفـة فتـى العـراق[*] والتـي عـبرت عـن ذلـك الموقـف منـذ باديـة الانفصـال، حيث اتسـم الموقـف بالتشـدد والحمـاس سلبا إزاء التمـرد الانفصـالي، والـذي أدى إلـى فصـم عـرى الوحـدة بـي مصـر وسـوريا إلا أن ذلك الموقف لم يسـتمر بنفس الحـس فـي الأعـداد اللاحقـة للصحيفـة، ويبـدو أن الموقـف الرسـمي للسـلطة فـي العـراق واتضاح موقفه من الحـركة الانفصالية في الدعـم والتـأييد، بعـد تثبيت دعائمـــها، قـــد خفـــف مـــن موقـــف الصحيفـــة المعـــادي للانفصـــال والانفصـاليين، أو ربمـا كـان تعطيل الصحيفة لأيـام قـد أظهر لنـا هـذا التراجع في موقف الصحيفة في مقالها الـذي كـان تحـت عنـوان (علـى إخواننـا فـي مصـر وسـوريا أن يمـدوا أيديـهم للصفـاء) حيث أشـارت الصحيفـة إلـى خطـاب الزعيـم عبـد الكريـم قاسـم فـي احتفـال الاتحـاد

العام للجمعيات الفلاحية وقوله 'أننا نوجه نداءنا إلى إخواننا في سوريا وإخواننا مصر أن يمدوا أيديهم لبعضهم للصفاء والإخلاص، فالمستعمر الطامع والغادر يتربص الدوائر بهم، وأن البلاد العربية في كل مكان عندما تحدث فيها مشكلة، سوى العرب أنفسهم...'[٢٤]، وفي عدد آخر من الصحيفة يترأى موقفها بشكل واضح وجلي من الحركة الانفصالية وتحاملها في أكثر من عمود، حيث نطالع في مقالها الافتتاحي المعنون (الرجعية ترفع رأسها!!...) حيث أشارت الصحيفة إلى دور الاستعمار وحليفته الرجعية، في أن يمسكا بمعول لهدم الكيان العربي، وأفصحت عن رأيها في أن الرجعية استطاعت أن ترفع رأسها للقيام بدورها المرسوم، من أجل القيام بالحركة الانفصالية وتأدية دورها في انفصام وحدة الجمهورية العربية المتحدة[٢٥]، وفي نفس العدد من الصحيفة نطالع العمود الذي جاء تحت عنوان (أصابع تآمر الاستعمار 'وإسرائيل' وتنفيذ خطتهما الإجرامية بتقويض الوحدة بين مصر وسوريا، وأضافت الصحيفة أن هناك الموتورين والمتضررين، سواء كانوا إقطاعيين أو رأسماليين أو حزبيين وفي طليعتهم الحزب الشيوعي، الذي كان يردد على حد قول الصحيفة قبل سنتين في العراق (يا الله أطلع يا جمال... سوريا تريد الانفصال) وأن الاستعمار في رأي الصحيفة، وقف بالمرصاد لهذه الوحدة الفتية، وأخذ يكيد لها بالسر والعلن مسخرا عملاءه وأذنابه لفصم عرى الوحدة[٢٦].

وأوردت الصحيفة في نفس العدد بيانا تحت عنوان (بيان إلى الأمة العربية)، حيث أشارت فيه إلى ما جاء في البيان وقوف الشعب العربي مع الرئيس عبد الناصر، وشجبه للحركة الانفصالية التي قام بها نفر من مأجوري الاستعمار، والرجعية ودكتاتورية رأس المال،

لفرض إرادتهم على الشعب العربي في الإقليم الشمالي بقوة الحديد والنار، وعاهد موقعوا البيان أن يكونوا جنود أوفياء للذود عن القومية العربية، والحفاظ على مكاسبها، وفي مقدمتها وحدة الجمهورية العربية المتحدة، هذا وقد وقع على البيان كما جاء في الصحيفة، نقيب المعلمين، ونقيب الأطباء، ورئيس لجنة انضباط المحامين، ورئيس جمعية الاقتصاديين، ونقيب المهندسين في الموصل[٢٧].

وتحت عمود آخر من العدد نفسه وبعنوان (النقابات العمالية تستنكر الحركة الانفصالية في سوريا) حيث أشارت الصحيفة إلى برقية ممثلي النقابات بالموصل إلى الرئيس عبد الناصر، والتي استنكروا فيها الحركة الانفصالية، واستعداد موقعيها للدفاع عن الوحدة العربية، ومساندة الشعب السوري ضد التمرد الرجعي، وإعلان تمسكهم بقيادة الرئيس عبد الناصر، وكان الموقعون كما جاء في البرقية عمال السكر، والميكانيك، والمنتجات النفطية، وعمال الكهرباء والبلدية والطرق الجوفية، وعمال السكك الحديدية، والأفران والمخابز[٢٨].

وفي عدد آخر من الصحيفة نلاحظ تلاشي حماسها وانزواء موقفها تجاه الحركة الانفصالية، والاكتفاء بنشر الأخبار الرسمية، وكما نوهنا عن ذلك آنفا، وتحت عمود بعنوان (اعتراف الجمهورية العراقية بالجمهورية العربية السورية)، حيث نشرت الصحيفة ما أقره مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة بتاريخ ٩/تشرين الثاني/١٩٦١، وإقرار الاعتراف بالجمهورية العربية السورية حيث أشارت فيه إلى الاعتراف نصا ومضمونا دون تعليق[٢٩].

وفي عدد آخر من الصحيفة نطالع عمودا وسط صفحتها الأولى تحت عنوان (العراق يعمل للقومية العربية كعقيدة وأصالة) إذ

أشارت إلى خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في الحفلة التكريمية التي أقيمت على شرف الوفد الاقتصادي السوري، وأشادته بالعلاقات العراقية السورية، والتعبير عن إيمان الجمهورية العراقية بالقومية العربية كعقيدة وأصالة[٣٠].

وتشير إحدى وثائق الخارجية العراقية إلى أن الصحافة العراقية والصحافة السورية قد اهتمتا بإبراز صورة سلبية للرئيس جمال عبد الناصر، حينما اهتمتا بنشر أخبار ملفقة عن اكتشاف جهاز إلكتروني ضخم قيمته ١٠٠ ألف دولار، ينقل جميع المكالمات التي يجريها ضباط سوريا، ويقوم بإدارة هذا الجهاز نقيب في الجيش المصري اسمه فكري سامي. كما نشرت الصحيفة أن عدد الضباط المصريين بالجيش الأول بدمشق، يبلغ حوالي ألف ضابط، ونشرت كذلك محاولة استعداء الجماهير لقيادة عبد الناصر، وأن عدد الجنود في محافظة دمشق وحدها قبل حركة الانفصال بلغ حوالي ١٥ ألف جنديا، ونشرت أيضا أنه كانت هناك خطة لقصف دمشق صباح يوم الانتفاضة بالمدافع الصاروخية[٣١].

المصادر والمراجع

(١) صحيفة المنار: العدد ١٨٣٦، الصادر في ٨/آب/١٩٦٠.
(٢) المصدر نفسه: العدد ٢٠٣٥، الصادر في ٢٥/نيسان/١٩٦١.
(٣) المصدر نفسه: العدد ٢١٥١، الصادر في ٣٠/أيلول/١٩٦١.
(٤) المصدر نفسه: العدد ٢١٥٢، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٥) المصدر نفسه: العدد ٢١٥٣، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.
(٦) المصدر نفسه: العدد ٢١٥٧، الصادر في ٧/تشرين الأول/١٩٦١.
(٧) المصدر نفسه: العدد ٢١٦١، الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.
(٨) المصدر نفسه: العدد نفسه.
(٩) المصدر نفسه: العدد ٢١٦٣، الصادر في ١٤/تشرين الأول/١٩٦١.
(١٠) المصدر نفسه: العدد ٢١٦٥، الصادر في ١٦/تشرين الأول/١٩٦١.
(*) الفجر الجديد: صحيفة يومية سياسية صاحبها محمد طه الفياض وعبد الرحمن الزيدان صدرت في بغداد عام ١٩٦٠ ومنحت الامتياز في ٢٧/تشرين الثاني/١٩٦٣.
(١١) صحيفة الفجر الجديد: العدد ٢٥٠٩، الصادر في ٢٩/أيلول/١٩٦١.
(١٢) المصدر نفسه: العدد ٥١٠، الصادر في ١/تشرين الأول/١٩٦١.
(١٣) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص١.
(١٤) المصدر نفسه: العدد ٥١١، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.
(١٥) المصدر نفسه: العدد السابق نفسه، ص٢.
(١٦) المصدر نفسه: العدد ٥١٢، الصادر في ٣/تشرين الأول/١٩٦١.
(١٧) المصدر نفسه: العدد ٥١٣، الصادر في ٤/تشرين الأول/١٩٦١.
(١٨) المصدر نفسه: العدد السابق نفسه، ص٢.
(١٩) المصدر نفسه: العدد ٥١٤، الصادر في ٥/تشرين الأول/١٩٦١.
(٢٠) المصدر نفسه: العدد ٥١٥، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.
(٢١) المصدر نفسه: العدد ٥١٦، الصادر في ٨/تشرين الأول/١٩٦١.
(٢٢) المصدر نفسه: العدد ٥١٧، الصادر في ٩/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٣) المصدر نفسه: العدد ٥١٩، الصادر في ١١/تشرين الأول/١٩٦١.

(*) فتى العراق: صحيفة سياسية وصاحبها إبراهيم الحلبي ورئيس تحريرها عبد الرحمن العاني، وصدرت في الموصل سنة ١٩٣٦ وألغي امتيازها في ٢٣/كانون الأول/١٩٦٧ حيث أبدل اسمها إلى فتى العرب، بتاريخ ٨/حزيران/١٩٦٤، وأصبح رئيس تحريرها سامي النائب، وهي من الصحف المعروفة بنهجها القويم.

(٢٤) صحيفة فتى العراق: العدد ٢٤٦٠، الصادر في ٢/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٥) المصدر نفسه: العدد ٢٤٦١، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.

(٢٦) المصدر نفسه: العدد السابق، ص ص٢ - ٦.

(٢٧) المصدر نفسه: العدد نفسه، ص٤.

(٢٨) المصدر نفسه: العدد والصفحة نفسها.

(٢٩) المصدر نفسه: العدد ٢٤٦٣، الصادر في ١٣/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣٠) المصدر نفسه: العدد ٢٤٧٠، الصادر في ٦/تشرين الأول/١٩٦١.

(٣١) وزارة الخارجية/الدائرة العربية/رقم الإضبارة ع/٥٢٢٨/٨ موضوع الإضبارة البرقيات التي ترسلها القنصلية العامة للجمهورية العراقية في دمشق برقية القنصلية العامة للجمهورية العراقية في دمشق إلى وزارة الخارجية في بغداد بتاريخ ٣/تشرين الأول/١٩٦١.

الخاتمة

تبين مما سبق أن الصحافة العراقية كان لها مواقفها المتميزة من موضوع الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨، وتصدت عبر مقالاتها وتحليلاتها ودراستها ومتابعتها لكل ما رافق هذه التجربة من تطوراتها جعلتها تحوز على التفكير السياسي للعرب عبر المرحلة التي امتدت من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٣، وهي مرحلة زاخرة بالأحداث والمتغيرات المتعددة، إذا ما قلنا أنها كانت حبلى بكثير من الأحداث التي تركت بصماتها الواضحة على المرحلة اللاحقة من العمل السياسي العربي.

وعموما فأننا يمكن أن نثبت عددا من الملاحظات حول هذه الدراسة أبرزها:

١-حاولت هذه الدراسة أن تكشف بوضوح ضيق أفق ومحدودية المشاريع الوحدوية، وأبرزت بوضوح أن أغلب الساسة من دعاة هذه المشاريع كانوا أسرى للأحداث السياسية السائدة آنذاك، او حاولوا مسايرة التيار الذي كان شائعا بين صفوف الجماهير العربية الداعي للقضية العربية.

٢- إن القوى الاستعمارية لم تكن وحدها هي المسؤولة عن إخفاق المشاريع الوحدوية في تحقيق الطموح القومي الذي تنشده الجماهير العربية. بل أن دعاتها غلبوا مصالحهم الذاتية على المصالح القومية.

٣- أوضحت هذه الدراسة أن المشاريع الوحدوية التي طرحت على الساحة العربية في الأربعينات والخمسينات قد قوبلت بمشاعر الخوف والتوجس من قبل الجماهير العربية ابتداء من موقف الصحافة العراقية، إذ وفت تلك الصحافة موقفا قلقا بين التأييد والتحفظ والتنديد نتيجة نهج الحكومات العربية إزاء المشاريع الوحدوية.

٤- على الرغم من اتسام موقف الصحافة العراقية بالإيجابية والتأييد لقيام الوحدة المصرية السورية خلال العهدين الملكي والجمهوري، إلا أنها لم تفصح عن رأيها بشكل صريح في نقد بعض الإجراءات السياسية والتنظيمية والاقتصادية والاجتماعية حيث لم تنشر في هذا المجال أي شيء ينبه إلى المشاكل التي قد تنجم عن اندماج دولتي الوحدة ولم تثر ذلك إلا في ساعات صراع السلطة العراقية مع دولة الوحدة مما سجل على هذه الصحافة مؤشرا سلبيا من قضية الوحدة المصرية السورية.

٥- اعتمدت الصحافة العراقية خلال العهدين الملكي والجمهوري أسلوب التزييف والتشويه في عرض الحقائق على الجمهور بهدف التنكيل بتجربة الوحدة والنيل من صورة الرئيس عبد الناصر. فعند إعلان الاتحاد الهاشمي نلاحظ أن بعض الصحف العراقية قد رجحت كفة ذلك الاتحاد على كفة الجمهورية العربية المتحدة في حين حاولت بعض الصحف خلق موازنة في موقفها بين إعلاني وحدة مصر وسوريا وبين اتحاد العراق والأردن.

٦- في الوقت الذي لا يمكن فيه إغفال أو إنكار دور الصحافة العراقية على الساحتين الوطنية والقومية في تجسيد مفهوم الفكر القومي ونشاطاته، إلا أنها تأثرت بالموقف السياسي للحكومة العراقية من المشاريع الوحدوية قبل وبعد إعلان الوحدة عام ١٩٥٨ ووضعت بعض الصحف العراقية نفسها في موقف العداء لدولة الوحدة والشخصية ولشخصية الرئيس جمال عبد الناصر.

٧- اتصف موقف أغلب الصحف العراقية وخاصة الشيوعية بالميوعة وعدم الوضوح حيث استغفلت القضايا المهمة التي كانت تعانيها دولة الوحدة كسلبيات المؤسسة العسكرية وتنظيم الاتحاد القومي الهش بالنقد العلمي والسياسي فاكتفت بصب نقدها طوال

فترة الصراع على الوحدة كتجربة وعلى الرئيس عبد الناصر كقائد ثوري تأريخي.

٨- اتخاذ الصحافة العراقية موقف التجاهل التام إزاء مراحل التحول والمكاسب التي حققتها دولة الوحدة كإنجاز قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٩ وقوانين تموز الاشتراكية عام ١٩٦١ وكان دافع ذلك التجاهل تردي العلاقات بين بغداد والقاهرة والأكثر من ذلك طرح تلك الصحف بعض البدائل والمفاهيم كالاتحاد والتضامن العربي والوحدة الاقتصادية لترجيح تلك المفاهيم على الوحدة ومنجزاتها إضافة إلى إضفاء طابع التسلط والابتلاع والاستعمار على سياسة الجمهورية العربية المتحدة مما أدى إلى خلق جيوب عدائية محلية وعربية في طريق المسار الوحدوي.

٩- تذبذب الصحافة العراقية بين المؤيد والمعارض تجاه الحركة الانفصالية عام ١٩٦١ ففي حين أبدت بعض الصحف استنكارها للحركة الانفصالية نلاحظ أن الصحف الأخرى وقفت موقف التشفي من الجمهورية العربية المتحدة وأيدت الانفصال.

وتبقى كلمة أخيرة يود الباحث تثبيتها في خاتمة هذه الدراسة وهي أننا يجب أن نقف إجلالا وإكبارا مع شعور بالفخر والشموخ لتجربة الوحدة بين مصر وسوريا في شباط عام ١٩٥٨... وينبغي علينا إدانة واستهجان ما تحقق في أيلول عام ١٩٦١ لإجهاض هذه التجربة بهدف قتل الطموح الوحدوي في النفوس لدى الشعب العربي لتيئيسه من الوحدة كهدف وضرورة مازالت تطرح نفسها بقوة على الساحة السياسية العربية.

Abstract

This MA thesis presented by S'aad Mehdi Shalash, ponders upon the way the Iraqi press looked at the union between Syria and Egypt during the period of 1958 – 1961 which was the first experience of the kind in the modern Arab history to bring two Arab countries together as an initiation towards the dream of the united Arab republic.

This paper is divided into two parts. The first part consists of four chapters and a conclusion. The main focus of this part ia shedding light on the call for uniting the Arab countries, taking into consideration the political and ideological developments which the Arab world had withessed up to 1945.

In the scond chapter of the first part, the candidate previews the establishing of the Arab league and its projects until 1985.

This cahpter discusses the political changes in the Middle East and its effects on the declaration of the unity emphasizing the role of the Iraqi press in formulating the events.

Shalash tackles in the third chapter the economic policy of "The United Arab Republic" (The Union between Syria – Egypt) on the domestic and on the Arab level.

The fourth chapter of the first part presents the reasons behind the collapse of the Syria – Egypt union.

The second part of this paper is devoted displaying the way the Iraqi press reacted to the disintegration which eventually took palace.

The researches depended on a variety of authenticated Iraqi and Arabic dauments and a considerable amount of references and contemporary newspapers which gave the research a comprehensive touch.

الجمهورية العربية المتحدة

في منظور الصحافة العراقية

١٩٥٨ - ١٩٦١

تزامنت الحاجة للوحدة القومية في تاريخ أوروبا، مع انبثاق خطوط جذرية أساس، الأول وهو خط الفكر العلمي النقدي، الذي أسس لإقصاء الفكر الخرافي (القروسطي) من الظاهرات الطبيعية التي بُدء باستخلاص قوانينها الداخلية، سواء في مجال الطبيعة أو الإنسان والحيوان.. والخط الثاني، هو صدور حراك بنيوي مادي ومجتمعي، أدى إلى الانتقال من نمط إنتاج زراعي. رعوي إلى نمط آخر، وهو نمط الإنتاج الصناعي. المديني، حيث هو طور أعلى على سلم التطور، وأما الخط الثالث، فقد برز مع حالة الانتقال، من السلطة السماوية إلى السلطة الأرضية، حيث تحولت السلطة إلى دولة مؤسسات محكومة بمنطق القوانين، لا بالمرتبة الدينية أو الاجتماعية للأفراد في بناء الأمة التاريخي..

إن دراسة د. سعد شلاش، لمسألة الوحدة القومية، بعد أن رُكنت على الرف طويلاً، إنما هو استدراك مبجّل، لما يجب إعادة إحيائه اليوم، على الرغم من المحاولات للانتقاص من قيمة الخط القومي الوحدوي، بخطايا وأخطاء ممارسات شائنة هنا وهناك.. فإنه لا سبيل لخروج الأمة من قيعان هزائمها، دون شكل تضامني قومي، اتحادي أو موحد، فالأمة تتجرّع الهوان بسبب رسوخ نمطية إقليمية متذرّرة، لا ترى كيان الأمة ومصيرها، إلا باستمرارها في السلطة وتحقق مصالحها الأنانية فيها، حتى بقبول مبدأ الاحتلال لقطر عربي صميم.

دراسة د. شلاش، خطوة مقدامة و... لنا أن ننساه، من حيث أن الوحدة هي العـ... لخروج الأمة من النفق.



دار كنعان
للدراسات والنشر